العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

[١]

الطّبعَة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات - أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

محمدُ ناصرِ الدين الألباني

رحمه الله تعالى

حَضَرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ

مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ

أعدَّها

«أبو إسلام»

صالح بن طه عبد الواحد

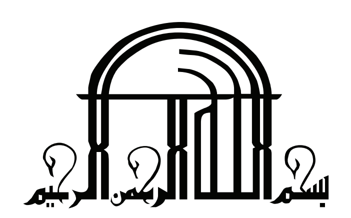
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن ـ عمان

ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

المجلد الأول

[الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله]



هذه الطبعة

تمتاز بما يلي:

- تخريج الأحاديث تخريجاً علمياً.
- نقل النصوص من مصادرها الأصلية.
- تصحيح بعض الأخطاء في الطبعة الأولى.
- وضع كلمة نافعة **للشيخ الألباني** ـ رحمه الله ـ في المجلد الأول بعنوان: **التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام**.
- وضع فهارس عامة للكتاب في المجلد الأخير.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

إنّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإنّ الله ﷻ خلقَ الزمان والمكان والإنسان واختار، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، خلق الزمان، واختار منه الجمعة، وخلق الإنسان، واختار الأنبياء ﷺ، واختار من الأنبياء الرسل، واختار من الرسل أولي العزم، واختار من أولي العزم محمداً ﷺ، وجعل له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ورثة، وورثته هم معلّمو الناس الخير.

ومن أهم الوسائل التي قصّر فيها طلبة العلم ـ إلا من رحم الله ـ في نشر العلم الشرعي (خطبة الجمعة)، فهي وسيلة؛ بل غاية وطاعة، قلَّ من يعطيها حقَّها، وينزِلُها منزلتها اللائقة بها.

فكثيراً ما يشعر السامع أن الخطيب يلقي الكلام على عواهنه، ويكون وليد لحظته، دون تزوير ـ فضلاً عن تحضير ـ له، وبعضهم يعمل على تزويق الألفاظ واختيار الغريب، وتضيع المعاني وراء المباني، ولا يدري السامع (المسكين) ماذا يريد هذا ولا ذاك؟!

وهنالك صنف آخر، يظن سامعه أنه ليس في بيت من بيوت الله؛ بل تكاد لا تميز ألفاظه من ألفاظ (الساسة)؛ إذ لا (ذكر لله) ﷻ في كلامه، فلا تجري آية كريمة ولا حديث شريف على لسانه في معرض الاستدلال، ولماذا

يفعل ذلك؟! والموضوع الذي اختاره هذا الخطيب (المسكين) مبناه على الظن والتخمين[(١)] وهو قائم على (التهييج)، لا على (التأسيس) و(التأصيل).

وهناك فريق رابع ـ وهو الأخير ـ من الخطباء[(٢)]، وهو: من لا يراعي مشاعر الناس، ولا يلتفت إلى ما يجري حواليه، فهو وإن قال الحقَّ، إلا أنّه لم يصنع العدل[(٣)].

ومن بين الخطباء الذين (أسَّسوا) و(أصّلوا)، وعملوا على (المواءمة) بين (المباني) و(المعاني)، وأكثروا من الاستدلال بنصوص الوحيين الشريفين، بأسلوب حَسَن سهل، وغَيْرَة ظاهرة على الشرع، غير ناسبين مشاعر الناس، ولا متعدّين على (الثوابت) والعاملين على ضبط (العواطف) عند (الفتن العواصف) ـ أخونا الشيخ الفاضل الصّديق أبو إسلام صالح طه ـ حفظه الله، خطيب وإمام مسجد إبراهيم الحاج حسن ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) الخطيب الموفّق يكون مدار كلامه في دائرة (اليقين) معتمداً على الأصول الشرعية التي تخص الحادثة والواقعة التي يعمل على معالجتها، والله الموفق.

(٢) أعني غير الموفَّقين منهم.

(٣) الخطيب الموفَّق يوظف (الشارع) لتأصيلٍ شرعيٍّ فيما يخص (الحدث) القائم، فهو يتكلم في دائرة (اليقين) من خلال النصوص، فيمهد ـ مثلاً ـ لنكسة أو عدم تحقق (نصر) يتعجّله (المتحمِّسون) بكلامه عن (معركة أُحد) ـ مثلاً ـ وبتواطؤ الكفار واجتماعهم على (الموحِّدين) بكلامه عن (معركة الخندق) ـ مثلاً ـ وهكذا، والله المسدّد والموعد.

وأجاب العز بن عبد السلام في «فتاويه» (ص٧٦ ـ دار المعرفة): عن حكم ذكر الخطيب على المنبر في الجمعة ما يجري ويحدث؟ فقال: «ولا ينبغي للخطيب أن يذكر في الخطبة إلا ما كان يوافق مقاصدها من الثناء والدعاء والترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد، وكل ما يحث على طاعة أو يزجر عن معصية، وكذلك تلاوة القرآن»، وقال أيضاً: «ولو حدث بالمسلمين حادثٌ، فلا بأس بالتحدّث فيما يتعلّق بذلك الحادث مما حثّ الشرع عليه، وندب إليه، كعدّو يحضر، ويحث الخطيب على جهاده والتأهب للقائه..».

ومن توفيق الله ـ جلّ ثناؤه ـ له ـ فضلاً عمّا سلف ـ حسن اختيار موضوع الخطبة، وبين يديك ـ أخي القارئ ـ جملة من الخطب[١] المؤثّرة في الإحساس، الموظفة له بتحريكه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ألقاها على التتالي، شأن الخير فإنه عادة[٢]، وقليله يدعو إلى كثيره، ومن سنّة الله فيه أنه يثبت ويستقرّ ويستمر، ومن ثمار ذلك: هذا العمل، فالخطب التي ألقيت كانت من نصيب (الآذان)، واستقرت ـ إن شاء الله تعالى ـ يشيع ويذيع لجميع المنتفعين، وهو يسدّ نقصاً في المكتبة الإسلامية؛ إذ العناية بـ(خطب الجمعة) ـ تأصيلاً وتمثيلاً ـ ليس كما ينبغي، وقلّ أن يجد غيرُ المتمكن مادةً تعينه على ذلك، أو تغنيه.

وأخيراً.. فنصيحتي لأخي المؤلف الشيخ أبي إسلام حفظه الله ورعاه، أن يبقى مستمراً مستقراً على هذا المنهج في الإلقاء، مستحضراً الإخلاص متوجّهاً إلى الله ﷻ بأن ينفع به في أوقات استجابة الدعاء، وأن يكتب إرشادات ونصائح للخطباء، وأن يعقد دورات علميّة عملية في فنِّ (الخطبة) و(الأداء)، ونفع الله به وبكتابه وذريته هذا في الدّارين، وجعلنا وإياه من أئمة الهدى، وجنّبنا الهوى وركوب ما لا يُرتضى، وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.

وكتبه

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

بعد ظهر يوم الثلاثاء الثاني والعشرون من رجب المحرم سنة ١٤٢٤ هـ

عمان ـ الأردن

---

(١) وهي في ثلاث مجموعات، على النحو التالي:

ـ المجموعة الأولى، بعنوان **(العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون)**، وهي عبارة عن (٢٣٤) خطبة، في أربعة مجلدات.

ـ المجموعة الثانية، بعنوان **(ثمرات الإيمان ـ مواقف إيمانية)**، وهي عبارة عن (٤٠) خطبة، في مجلد واحد.

ـ المجموعة الثالثة، بعنوان **(الدعاء من الكتاب والسنّة)**، وهي عبارة عن (٤٥) خطبة، في مجلد واحد.

(٢) أما الشر فإنه لجاجة، وهو خفيف وبيء، والخير ثقيل مريء.

مقدّمة المؤلف

إنَّ الحمدَ للَّهِ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ مِنْ شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

إذا نظر المسلمُ في كتاب الله مِنْ أوّله إلى آخره وَجَدَ أنَّ الأنبياء جميعاً، من نوح عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ، اهتموا بالعقيدة اهتماماً كبيراً، وَأَوْلَوْها عناية فائقةً وبدؤوا بها في دعوتهم، فجميعهم قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولقد فكّرت كثيراً في هذا الأَمر، ووجدتُ أَنَّ سعادة العَبْدِ في الدنيا والآخرة تتوقف على العقيدة الصحيحة، وأنَّ شقاءَ العبدِ في الدنيا والآخرة يكون بسبب فساد عقيدته. ووجدتُ أيضاً أَنَّ الأمة الإسلامية لا تتحد،

ولا تجتمع، ولا تنتصر على أعدائها إلَّا بالعقيدة الصحيحة، ووجدت أنَّ ما أصابَ الأمة الإسلامية مِنْ ذلٍّ وهوانٍ، وضعفٍ وفقرٍ وتفرُّقٍ... كلُّه بسبب فساد العقيدة، ولذلك قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

كذلك كنت مِنْ خلال عملي في الدعوة إلى الله أهتم بالعقيدة الصحيحة في خطب الجمعة وفي دروسي على مدار الأسبوع ـ ولله الحمد ـ.

وكنت دائماً أفكر في إلقاء سلسلةٍ مِن خطب الجمعة في العقيدة من أوَّلها إلى آخرها، ولكني كنت أتراجع، وأتوقف لأنَّ الكلام في العقيدة وحدَها على المنبر صعبٌ وثقيل على أمثالي وعلى عامة الناس، ومع هذا كلِّه فإنَّ الموضوع ظل يَشْغَلُني ويأخذُ جانباً كبيراً من تفكيري واهتمامي.

وفي يوم من الأيام شرح الله صدري لهذا الموضوع، فاستخرتُ الله ﷻ ـ كما علّمنا النبيُّ ﷺ ـ والتجأتُ إلى الله وحدَه في دعائي أسأله التوفيق والسداد، ثم ذهبت بعد صلاة الفجر يوماً إلى شيخي وأستاذي ووالدي محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أستشيره في هذا الأمر، كعادتي دائماً أستشيره في كلِّ أموري الدينية والدنيوية.

وعندما دخلت عليه في مكتبته، وذكرت له أنني أريدُ أن أَخطب في سلسلةٍ في مسائل العقيدة كاملةً، فقال لي بالحرف الواحد: (تعلم يا أَبا إسلام أنَّ الاهتمام بالعقيدة أَمرٌ مهمٌّ جداً، وهذا هو منهج الأنبياء في دعوتهم، كما أخبرنا ربُّنا ـ جل وعلا ـ في كتابه، ولكنَّ الكلام في مسائل العقيدة فقط مِنْ أوَّلها إلىٰ آخرها على المنبر مِنْ خلال خطب الجمعة صعبٌ وثقيل؛ لأنهُ في خطبة الجمعة يحضر العاميُّ، ونصف العامي، والمتعلم، والجاهل، وطالب العلم، والعالم، والصغير والكبير... ولكنْ إذا بسَّط الخطيب وسهَّل، وقدَّم الموضوع بأسلوب سهل يفهمه الجميع.. فيجوز للخطيب أنْ يُقْدِم على هذا الموضوع، وعليك يا أَبا إسلام لا

نخاف.. فتوكّل على الله، وابدأ بهذا الموضوع، وأَعدَّ له العُدّة، ونحن نمدُّك بالدعاء بظهر الغيب أن يوفّقك الله).

فانشرح صدري لكلام الشيخ، وقويت همتي ورجعت إلى منزلي وبدأت في جمع المراجع من هنا وهناك، ثم وضعت عنواناً كلّياً لهذه السلسلة، وهو:

العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون

ثمّ وضعت خطتي للمباشرة في هذه الخطب على النحو التالي:

مقدّمة: وتتضمن الإجابة على السؤال: لماذا العقيدة أولاً؟.

وكان الجواب على هذا السؤال في خمس خطب.

ثم تكلمت عن أصول العقيدة الستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ بشيءٍ من التفصيل في سائر الخطب.

وكنت إذا وضعت عنواناً للخطبة أستخير الله أولاً فيه، ثم أتّصل بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاتفياً أستشيره في عنوان الخطبة وعناصرها، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينصحني ويوجّهني ويدعو الله لي بالتوفيق والسّداد، فجزاه الله عنّي وعن المسلمين خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

وبدأت متوكلاً على الله ـ في إلقاء خطب العقيدة، ومِنْ فضل الله عليَّ وعلى الناس أجمعين، أني وجدت إقبالاً كبيراً من الناس على سماع هذه الخطب، والإفادة منها، وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتابع أخباري ويحضرُ عندي أحياناً، ويسأل عنّي وعن موضوع الخطب على وجه الخصوص.. وكنت إذا أخبرته بما مَنَّ الله به عَلَيَّ من إقبال الناس على هذه الخطب يقول: (الحمدُ للَّهِ والفضل كلُّه للَّهِ).

ومرت الأيام والأشهر والأعوام وإقبال الناس على سماع خطب العقيدة يزداد يوماً بعد يوم.. والأشرطة المسجلة لهذه الخطب تنتشر بَيْن طلاب العلم والخطباء في كل مكان..

وكان أَنْ طلب مني بعض الإخوة الأفاضل أن تطبع الخطب التي أَلقيتها في كتاب حتى ينتفع بها طلاب العلم والخطباء ـ في شتّى الأنحاء ـ، ولكنني رفضت هذا الطلب بشدةٍ في بداية الأَمر لأنني لست أهلاً لذلك.. ولكن بعد إلحاح الإخوة عليَّ في هذا الموضوع استخرتُ الله ثم ذهبت ـ كعادتي ـ إلى شيخي ووالدي محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ أستشيره في شأن طباعة هذه الخطب، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا أمرٌ جيِّدٌ، وأَنا أنصحك أن تقوم بطباعة هذه الخطب؛ بل يجبُ عليك ذلك؛ لأنَّ أَمر العقيدة أمرٌ مهمٌّ جداً ويجبُ على جميع الدعاة أن يهتمّوا به، وفي طباعتك لهذا الكتاب نشرٌ للعقيدة الصحيحة وتعاونٌ منك على البرِّ والتقوىٰ.. فتوكل على الله)... ثم قال لي: (تقابل ما ذكرت في الخطبة على المنبر مع ما كتبت في دفترك ثم تكتب أحسنَ ما خطبت وما كتبت).

فقامت زوجتي أمُّ إسلام ـ حفظها الله من كل سوءٍ ـ بتفريغ الخطب من الأشرطة ثم قامت بمقابلتها بما كتبته أنا أصلاً لهذه الخطب، ونَقَلَتِ الأدلّة من مصادرها وبَذَلَتْ في ذلك جهداً كبيراً لا يعلمه إلَّا الله؛ نسأل الله العظيم أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها.

وبينما كنت أخطبُ في الأصل الخامس مِنْ أُصول العقيدة، وهو الإيمان باليوم الآخر، وكان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ مريضاً ذهبت لزيارته في بيته، فسألني عن حالي وعن أولادي، ثم سألني ـ كعادته ـ عن موضوع خطب العقيدة، فذكرتُ له أنني لا زلت أخطب فيها، ولا زالت زوجتي تقوم بتفريغ الخطب من الأشرطة، وكان هذا بعد مرور أربع سنواتٍ أو يزيد مِنْ بداية حديثي في سلسلة العقيدة.

وفي هذا المجلس قلت: (يا شيخنا.. مِنْ بركة العلم أَن يُنْسَبَ إلى أهله، وأنت صاحب الفضل عليَّ في هذه الخطب بعد الله عَزَّ وَجَلَّ، فلو كتبت لي كلمةً تبيِّنُ فيها أنني استشرتك في هذه الخطب بعد أن استخرتُ الله عَزَّ وَجَلَّ واستشرتك في طباعتها فأشرت عَليَّ بذلك).

فقال لي رَحِمَهُ اللهُ: (أَنا الآن مريض جداً كما ترىٰ ولا أستطيع الكتابة ولكني أسمح لك أَن تكتب ذلك في مقدمة الكتاب، وأنْ تذكر ذلك على غلافه الخارجي لننتفع بدعوة رجلٍ صالحٍ ينتفع بالكتاب).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (أسأل الله أَن ينفع بكتابك هذا المسلمين وطلاب العلم في كلِّ مكان، وأَن يكتب له القَبول في الأَرض، فقلت: آمين، وأَمَّنَ معي بعض أَولاده، وبعض الإخوة الذين ذهبوا معي).

ومرت الأيام.. واشتدَّ المرضُ بالشيخ... ثم نزل به رَحِمَهُ اللهُ ما ينزل بكلِّ حيٍّ وهو الموت.. وانتقل إلى الدار الآخرة، أسألُ الله أَن يرحمه رحمةً واسعة، وأن يجعلَ مأواه الجنة.

وفي الجمعة التي تلت يوم وفاة الشيخ توقفت عن الكلام في سلسلة العقيدة، وخطبت يومها خطبةً عنوانُها: «**وإنّا على فراقك يا ناصر الدين لمحزونون**»، تكلمت فيها عن مكانة الشيخ، ومنزلته العلمية، ومصيبة الأمة بموته، وأَثر فَقْدِه على طلابه ومحبّيه؛ بل على الناس أجمعين...

ثم عدتُ في الجمعة التي تليها إلى الكلام في سلسلة العقيدة متابعاً ما كنت بدأته من الحديث في الأصل الخامس مِنْ أصول العقيدة، وهو الإيمان باليوم الآخر.

وبعدما يقرَبُ مِنْ ستة أشهر مِنْ موت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ انتهَيت مِن الحديث في سلسلة العقيدة، وبعد أنْ قمت بتفريغها من الأشرطة التي سُجّلت عليها ومقابلتها مع الأصل المكتوب.

تلك كانت قصةَ هذا الكتاب، الذي أصلُه مجموعةٌ من الخطب في العقيدة ألقيتها على مدار سنوات خمس متصلات في مسجد إبراهيم الحاج حسن، عمان ـ الأردن.

وإنْ يكن مِنْ فضل لأَحدٍ بعدَ الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الخطب، فهو لشيخي ووالدي وأستاذي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، فما هذه

الخطب إلَّا ثمرةً يانعةً من ثمرات جهود الشيخ وعنايته ونصائحه التي كان يُتحفنا بها مدَّة وجوده معنا ـ ووجودنا معه ـ في الأردن.

فما كان مِنْ توفيقٍ في هذه الخطب، وسدادٍ في القول فيها، فالفضلُ فيه كلُّه لله وحدَه، ثم لشيخي وأستاذي ووالدي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

ولمَّا كنا بشراً نخطئ ونصيب، فما كان فيها مِنْ خطأ فمني ومن الشيطان، وأنا تائبٌ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ منه، والشيخ الألباني مِنْ هذا الخطأ بريءٌ، وصدورنا واسعةٌ لقبول نصح الناصحين في الله.

وإنْ يكن لي مِنْ طلب ورجاء من إخواني الذين ينتفعون بهذا الكتاب أن يدعوا لي ولشيخي الألباني ـ ولأهل بيتي كافّةً ـ، وجميع مَنْ ساهم في إخراج هذا الكتاب.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب جميع المسلمين في بقاع الدنيا عامَّةً، وطلاب العلم خاصَّةً، وأن يضع له القبول في الأرض، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، أجدُ ثوابه عند الله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

وكتبه

«أبو إسلام»

صالح بن طـٰه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

عمان ـ الأردن

سنة ١٤٢٤ هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة حقٍّ بيْن يدي الكتاب

يقول ﷺ: «مَنْ لم يشكُرِ الناسَ، لم يشكُرِ اللَّهَ»[(١)].

فما أنا فيه مِنْ نعمةٍ في ديني، ودنيايَ ودروسي وخطبي، فالفضل فيه كلُّه للَّهِ وحدَه أولاً وآخراً، ثم: للشيخ الوالد محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وللشيخ عبد العظيم بن بدوي الخلفي حفظه الله.

وشكراً لهما، ووفاءً بفضلهما عليَّ ـ بعد الله ﷻ ـ أردت أَن أشير إلى شيءٍ مما نفعني الله به منهما:

أولاً: بالنسبة للشيخ الوالد محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ:

مِنْ فضل الله عليَّ أنني كنت قريباً جداً منه حيث كنت أتّصل به في أَيِّ وقت هاتفياً، وأذهب إليه في بيته في أي وقت دُوْنَ مَوْعِدٍ مسبقٍ، وما قال لي رَحِمَهُ اللَّهُ يوماً: أنا مشغول... والقاصي والداني يعلم ذلك جيداً.. وبسبب هذا القرب من الشيخ، فإنني قد انتفعت أنا وأهل بيتي من الشيخ بما يلي:

١ ـ الإخلاص:

فقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يهربُ مِنْ حُبِّ الظهور، وتصدُّر المجالس، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (حبُّ الظهور يقصم الظهور)، وقلتُ أمامه يوماً يا شيخنا: (الإخلاصُ هو سِرُّ النجاح) فقال لي: (أَحسنت يا أبا إسلام). ومما يذكر في هذا: أن رجلاً دعا الشيخ يوماً لزيارته في بيته وأعلن عن

---

(١) صحيح: د: (٤٨١١)، ت: (١٩٥٥)، حم: (٢/٢٥٨)، خد: (٢١٨)، [«ص.ج» (٦٥٤١)].

هذه الزيارة في بعض وسائل الإعلام، فاجتمع عددٌ كبيرٌ مِن الناس، لرؤية الشيخ والاستماع له، فلما علم الشيخ بذلك رفض الذهاب إلى تلك الدعوة، ولما سألته بعدَ ذلك عن سبب عدم ذهابه قال: (حُبُّ الظهور يقصم الظهور).

فأين نحن ـ يا طلاب العلم ـ من الإخلاص.. فإيَّاكم وحبَّ الظهور وتصدُّر المجالس، فالإخلاص ـ يا طلاب العلم ـ هو سرُّ النجاح، واعلموا أنَّ الناس لن يُغْنوا عنكم من الله شيئاً.

٢ ـ الأَمانة في الاستشارة:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أَميناً فيما يُسْتَشَار فيه.. عملاً بقول النبيّ ﷺ: «المستشار مؤتمن»[(١)].

وكان مِنْ فضل الله عليَّ أَنني كنت أستشيره في كلِّ أَمْرٍ مِنْ أموري الدينية والدنيوية بعد أَن أستخير الله عَزَّ وَجَلَّ، وما أَشار عليَّ بأمرٍ إلَّا كان فيه الخيرُ الكثير عليَّ وعلى أهل بيتي وعلى إخواني طلاب العلم.

ومِنَ الأمور التي كنت استشرته فيها فوجدت فيها خيراً كثيراً:

* سلسلة خطب العقيدة، هذه التي بَيْن يديك.

* بقائي للعمل في الدعوة في الأردن، فقد استشرته رَحِمَهُ اللَّهُ في بقائي في الأردن، فأشار عليَّ بالبقاء ورغَّبني في ذلك، بعدَ أنْ ذكَّرني بالأحاديث التي جاءَت في فضل بلاد الشام، وكان هذا بعدَ أَن طلب مني بعض المحبين والناصحين أنْ أَعود للدعوة في بلدي مصر... فأخذت بمشورة شيخي الألباني وبقيت إلى الآن في الأردن، وكان في بقائي ـ بفضل الله ـ الخير العميم عليَّ وعلى إخواني مِنْ طلاب العلم، وهذا الخير لا يخفىٰ علىٰ أحد، والحمدُ لله على فضله وتوفيقه.

* دروسي التي بدأتها قبل ثلاث سنوات، وهي: دَرْسُ التفسير،

---

(١) صحيح: د: (٥١٢٨)، ت: (٢٨٢٢)، هـ: (٣٧٤٥)، حم: (٥/ ٢٧٤)، [«ص.ج» (٦٧٠٠)].

والحديث يومَ الجمعة، ودرس الفقه مِنْ شرح بلوغ المرام يوم الأحد، ودرس العقيدة مِنْ كتاب شرح العقيدة الطحاوية يوم الثلاثاء، ودرس أصول الفقه يوم الأربعاء...

وهذه الدروس جميعها كنت استشرت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها فأشار عليَّ بها، وكنت أتصل به دائماً أسأله عما أشكل عليَّ في ما يَعْرِضُ لي مِنْ مسائل... فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحل ما أشكل عليَّ بكلمةٍ واحدةٍ، مما أنعم الله عليه مِنَ الفقه في الدين... سائلاً الله ـ جلَّ وعلا ـ أن يجعل ذلك كله في ميزان حسناته.

ولا زالت هذه الدروس قائمة حتى كتابة هذه المقدمة في مسجدي المذكور آنفاً.

❊ إرسال أولادي الثلاثة إسلام صالح، وعبد العظيم صالح، وأحمد صالح ـ حفظهم الله ـ إلى مِصْر للدراسة عند أَخي وقرَّة عيني وأستاذي الشيخ عبد العظيم بدوي حفظه الله. استشرت الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوماً في إخراج أولادي من المدرسة بعد أن حفظوا القرآن على يديَّ ويدي والدتهم ـ حفظها الله ـ وإرسالهم إلى مصْر لطلب العلم عند الشيخ عبد العظيم فأشار عليَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: (نعم... افْعَل، فإنَّ الأخ عبد العظيم مِنْ إخواننا أصحاب العقيدة السلفية الصحيحة وهو على المنهج الصحيح، وننصح إخواننا الذين يتمكنون من حضور دروسه أن يحافظوا عليها)، وكان فيما أشار به عليَّ الخير الكثير لأوْلادي، فهم الآن عند الأخ عبد العظيم في مصر على درجة جيدةٍ من الانتفاع بالعلم، نسأل الله أن يحفظهم وأن يجعلهم في ميزان حسنات شيخيَّ الفاضلين الشيخ الألباني والشيخ عبد العظيم.

❊ ومن الأمور التي استشرته فيها قبل موته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيع مكتبتي التجارية، فذهبت يوماً إلى منزله فوجدت عنده الأخ الشيخ علي الحلبي ـ حفظه الله ـ، وكنت كثيراً ما أجده عند الشيخ، فقلت له: يا شيخنا،

أُريد أَن أبيع مكتبتي التجارية التي تعرفها، فسكت قليلاً، ثم قال: (لا، لا تبْعها، أَمسكْها، فهي سبب رزقك، وهي وسيلة لنشر الدعوة الصحيحة حيث إنك تبيع فيها الكتب التي تساهم في معرفة العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم).

فقال الأخ علي الحلبي: (وأنا أؤيِّد رأي الشيخ في عدم بيع المكتبة).

ثم قام الشيخ إلى غرفة نومه ليستريح، وبعد دقائق أرسلَ إليَّ ولدَهُ يقول لي: الشيخ يطلبك يا أبا إسلام، فذهبت إليه فأجلسني بجواره ثم قال لي: (لا تبع المكتبة، وإذا كنت بحاجةٍ إلى مالٍ فأنا أقرضك قرضاً تردّه إليَّ عند استطاعتك)، فقبَّلتُ رأسه وقلت له: جزاك الله خيراً، المسألة ليست متعلقةً بالمال وإنما تتعلَّقُ بالوقت، فقال لي: (أعطِ للمكتبة شيئاً مِنْ وقتك...) فأخذت بمشورته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعدلت عن بيعها، فقدَّر الله في ذلك خيراً كثيراً، والحمدُ للَّهِ على فضلهِ.

٣ ـ الدقة في المواعيد:

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُرَبِّينا على الدقة في المواعيد، ومِنْ أَمثلة ذلك أَنني كنت إذا دعوته إلى زيارتي أو صحبته إلى دعوة كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يتأخر ولا يتقدَّم عن الموعد المضروب له ويقول: (الذهاب قبل الموعد كالتأخر عن الموعد، فالتأخر عن الموعد يضر بصاحب الدعوة والمدعوين، والتقدم على الموعد يُرْبك صاحب الدعوة)، وحَدَث أَن دعوته يوماً عندي الساعة الواحدة ظهراً فوصل بسيارته قبل الموعد بربع ساعة فبقي في سيارته جالساً ولم ينزل حتى حان الموعد... ولم أكن أعلم بوجود الشيخ إلَّا أنَّ الذين كانوا برفقة الشيخ ذكروا لي ذلك، فلما سألتُ الشيخ عن ذلك قال: (لأنك قبل الموعد تكون مشغولاً بالاستعداد لاستقبال الضيوف في الموعد المحدَّد. فإذا دخلنا عليك قبل الموعد شغلناك عما أَنت فيه مِنْ استعداد وتجهيز لاستقبال ضيوفك...).

فرحم الله شيخنا.. ما أَدق فقهه! وما أَشدَّ حرصه على العمل بسنّة رسول الله ﷺ!

وكان رَحِمَهُ اللهُ إذا دُعِيَ لا يأخذ أَحداً معه حتى يستأذن له صاحبَ الدعوة، وذاتَ مرَّةٍ دعوته قائلاً: يا شيخنا، أدعوكم للغداء عندي غداً، وأنا أقصد دعوته هو وزوجته أمُّ الفضل، وفي اليوم الثاني جاء في الموعد وحدَه، فقلت له: أَين أمُّ الفضل؟ فقال: (أنت لم تذكر لي أَن أُحضر أم الفضل معي، ونحن نلتزم الدقة في الكلام).

٤ ـ الحرص على الأوقات واغتنامها:

كان رَحِمَهُ اللهُ لا يضيِّع دقيقةً مِنْ وقته دون استفادةٍ منها، وكنا إذا دخلنا عليه في مكتبته لا يرفع رأسه عن الكتاب إلَّا بعد أن ندخل عليه ونقول: السلام عليكم ورحمة الله، فيردُّ علينا السلام ويصافحنا، فإذا جلسنا رَحَّبَ بنا، ثم طلب منا أَن نبدأَ بالأسئلة التي نريد طرحها، وهو يجيب عليها، فإذا انتهت أسئلتنا قال لنا: (انصرفوا...) فإذا انصرفنا عاود النظر في كتابه الذي كان بين يديه.

وكذلك إذا كنا معه في سيارته كان يطلب منا استغلال الوقت في الأسئلة وكان يجيب على أسئلتنا، وينصح، ويُوَجِّه...

٥ ـ العمل بالعلم:

فالعمل هو ثمرة العلم، وكان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يُعَلِّمنا العمل بالعلم دون كثير كلام، فكان رَحِمَهُ اللهُ يحافظ على صيام النوافل حتى بعدَ سنِّ الثمانين مِنْ عمره، فكنا نذهب لزيارته في بيته.. أو نخرج معه إلى البَرّ ونفاجأ بصيام الشيخ، الاثنين والخميس.. في حين أن كثيراً منا ـ ونحن في سن الشباب ـ لم يكن صائماً، فكان يقول بعضنا للآخر: الشيخ في هذه السن يحافظ على الصيام ويغتنم أيامه، ونحن ـ معشر الشباب ـ نضيِّع أيامنا.. فكنا نعود من رحلتنا مع الشيخ وقد قويت عزائمنا على المحافظة على صيام النوافل.

وهكذا ينفع الله بصحبة العلماء.. فهم كالغيث أينما نزل نَفَعَ.

وسمعته يوماً يقول: (أَخذتُ على نفسي أَلَّا أُخالف بفعلي قولي، واستفدت ذلك مِنْ قول نبيّ الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾ [هود: ٨٨]).

وما علمنا سنّةً عن رسول الله ﷺ إلَّا وهو يعمل بها، ويدعو إليها، حتى إننا كنا معه يوماً في أحد المساجد وهو جالسٌ يدرّسُ، فدخل ضابط شُرطة ووقف يصلي بدون سترة فقطع الشيخ الدرس ونادىٰ الشُّرطيَّ قائلاً له: (يا شرطيُّ استتر)، فتقدّم الشُّرطي إلى السارية ليتخذها سترةً، وبعد فراغه من صلاته شكر الشيخ.

٦ ـ مراعاة الحكمة في النصيحة:

كان رحمه الله حكيماً في نصحه.. يُنْزِل الناسَ منازلَهم، وقد حَضَر عندي يوماً خطبة الجمعة، وكنت لا أعلم بوجوده، فَسَبق لساني بكلمة وأنا على المنبر لا دليلَ عليها من السنّة، وبعد الصلاة فوجئت بوجود الشيخ، وطلب أن يزورني، فرحّبت به، وجلسنا في البيت، وأخذ الإخوة من طلاب العلم يسألونه وهو يجيب، ثم قال لي: (يا أبا إسلام.. ذكرت جملة كذا على المنبر وأنا لا أعلم دليلاً عليها، فهلَّا أعلمتنا يا أبا إسلام بدليلها لنستفيد منك) ـ فانظروا ـ أيها الإخوة ـ إلى حكمة الشيخ في إسداء النصح دون تجريح ...ـ، فقلت له: (يا شيخنا إنها سبقُ لسان ولا أذكر أنا أيضاً لها دليلاً)، فقال الشيخ: (جزاك الله خيراً أرحتنا، وقصَّرْت علينا الطريق).

واتصل بي رحمه الله يوماً بالهاتف ولم أكن موجوداً فردّت ابنتي الصغيرة عليه قائلةً عند رفع سماعة الهاتف: السلام عليكم ورحمة الله، فسأل الشيخ عني، ثم قال لها: (أخبري أباك أن محمد ناصر الدين الألباني اتصل). ـ ولم يَقُل: «الشيخ»... وهذا من تواضعه ـ رفع الله درجته في الجنة.

فلما عدت إلى البيت أخبرتني ابنتي أنه اتصل بك رجل اسمه: محمد ناصر الدين الألباني، فاتصلت به على الفور وبعد أن طلب مني ما كان يريده قال لي: (يا أبا إسلام، عندما اتصلت بك ردَّت عَلَيَّ ابنتك الصغيرة وقالت: السلام عليكم ورحمة الله، فهلْ هذا التصرف عن علم؟ أم هو تصرُّف شخصيٌّ من الصغيرة؟ نريد أن نستفيد يا أبا إسلام). ـ وهذا أيضاً من تواضعه وحكمته في الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

فقلت له: إنَّ هذا تصرف مِنَ الصغيرة وللمرَّة الأوْلىٰ، والذي نعلمه في هذا الأمر أن يرفع الإنسان سماعة الهاتف قائلاً: نعم، فيُسَلِّم عليه مَنْ يطلبه، فيردّ هو السلام عليه لا أن يبدأه بالسلام، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا هو الصحيح الذي نعلمه؟ لأن الطالب على الهاتف كالطارق على الباب، لا فرق بينهما).

٧ ـ الثبات على المنهج:

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ دائماً يقول: (عليكم بالثبات على التوحيد، والتمسك بالسنّة، والسير على منهج الصحابة رضوان الله عليهم)، وكان دائماً يردد في مجالسه قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ . .﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقولَه ﷺ: «... **وتفترق أُمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة، كلهم في النار إلَّا ملة واحدة**»، فلما سئل عنها قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(١)].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسرُّ لي فيقول: (أدعياءُ المنهج كثير، والذين يثبتون عليه قليل، وستعرف ذلك بعد موْتي..)، وكان ما كان مما ذكر... فكم ممَّن

(١) حسن: ت: (٢٦٤١)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)]، وسيأتي تخريجه لاحقاً.

كان يدَّعي محبة الشيخ واتباع المنهج قد تركوا المنهج! وناصبوا الشيخ العداء ورموه بما هو منه براء، ولا حوْل ولا قوة إلَّا بالله!.

وقد علم الجميعُ حرصَ الشيخ على اتِّباع المنهج السلفيِّ الصحيح، البعيد عن الإفراط والتفريط حياته كلَّها...

وهذه بشرىٰ أسوقها لكلِّ مَنْ أَحبَّ الشيخ في رؤيا ـ أرجو أن تكونَ صالحةً ـ رأيتها للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي بالحرف الواحد كما رأيتُها:

رأيت فيما يرىٰ النائم أَحدَ طلابِ العلم الذين كانوا في حياة الشيخ يحبُّونه، وبعد موْته بدأوا يرمونه بالإرجاء.. رأيته وقد دخلَ عليَّ في منزلي، وكان مضطرباً، فلما جلس قال لي:

يا أَبا إسلام، هَلْ عندك علم بتأويل الرؤىٰ؟

قلت له: لا.

قال لي: أنا أصبح عندي علمٌ جيّدٌ بتأويل الرّؤىٰ.

فقلت: لقد رأيت اليوم رؤيا ففسِّرها لي.

قال: أَفعلُ.

قلت: رأيت شيخنا الألبانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو جالسٌ في بستان مليءٍ بالزهور والثمار والمطر الخفيف ينزل عليه وهو يشير بيده إلىٰ الأَمام كأنه يخط خطاً مستقيماً.

فقال هذا الأخ: هذه الرؤيا تبشر أنَّ الشيخ في نعيم، وهذه الإشارة من الشيخ يقول فيها لطلابه: اثبتوا على المنهج السلفي الذي تركتكم عليه.

فقلت أنا لهذا الأخ: إذا كان الأَمرُ كذلك فلماذا اتهمت الشيخ بالإرجاء؟ فقال لي: لهوىً في نفسي، ودفعني لذلك مبالغة بعض الإخوة في الدفاع عن الشيخ...

واستيقظت من النوم مسروراً بهذه البشرىٰ التي فيها أنَّ الشيخ نحسبه عند الله كما أَوَّلها الأخ في نعيم؛ لأن البستان والثمار والزهور والمطر كلُّها يؤوَّل بالنعيم والرحمة.

وكذلك لوصية الشيخ بالثبات على المنهج والاستقامة عليه بلا إفراط أو تفريط. ومِنْ شدّة حرصي على هذه الرؤيا وسروري بها حدَّثت بها في اليوم نفسه الذي رأيتها فيه في درس العقيدة طلاب العلم.

٨ ـ التواضع:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يعلمنا التواضع، ومِنْ تواضعه وحسن معاملته لي أنه كان كثيراً ما يتفضل علينا بالزيارة بعدَ صلاة الفجر، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحضرُ لنا معه هدية متواضعة، ويقول مداعباً ـ أحياناً ـ: (هذه هديّةٌ لا يقدِّمها لك إلَّا الألباني) لتواضعها ـ وتواضعهِ ـ.

ومن تواضعه كذلك أنه كان يتصل بي هاتفياً ليطمئنَّ عليَّ وعلى أهل بيتي، مستفسراً عَنْ دروسي وخطبي، مما كان له في نفسي أبلغ الأثر وأطيبه.

٩ ـ الصَّبْر على الدعوة:

كنتُ إذا اشتدَّت الفتن، وضعفت الهممُ ذهبت إليه، أجلسُ عنده، وأذكر له ما ألقاه مِنْ بعض أصحاب البدعِ والأهواء، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ بكل بساطةٍ يوجّهُ وينصحُ ويقول لنا: (سحابةٌ وتمرُّ..)، ويذكر لنا أمثلةً من الكتاب والسنّة على الصبر والثبات عند اشتداد الفتن، فنخرج مِنْ عندِّه وقد امتلأت قلوبنا عزيمة وقوة في الدعوة والثبات على الحق. ومِنْ الأمثلة الرائعة، والنماذج العظيمة على صَبْر الشيخ على مَنْ آذاه، ما كان منه مِنْ صبرٍ حينما أفتى بوجوب الهجرة للمسلم مِن البلد الذي لا يستطيع أن يعبد الله فيه، فقام بعض المغرضين وأصحاب الهوى، وطلابُ الدنيا بإذاعة الفتوى وتحميلها ما لا يقصده الشيخ، واستعمالها في أغراضهم الدنيوية...

فلما وصل الخبر إلى الشيخ قال بكل هدوء وثبات: (حسبيَ الله ونعم الوكيل، اللهمَّ! إني مظلوم فانتصر، ثم قال لنا: سحابة وتمر..)، ومرت كما قال الشيخ، وظل الشيخ كالجبل الراسخ الأشمّ لا تهزّه الرياح... أما

الذين أطلقوا ألسنتهم في الشيخ، فإنهم الآن عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر، فمن كان منهم خطيباً سقط وحُرِمَ الخطابة بعدَ أن رفضه الناس!! ومَنْ كان منهم يريد بهذه الاتهامات الزائفة منصباً دنيوياً فقد خَسِر في الانتخابات!! ومَنْ كان منهم صحيحاً قوياً فقد صار اليوم إلى ضعفٍ ومرض!!.

وهذه هي نهاية كل مَنْ يتجرأ على النيل من العلماء والوقوع في أعراضهم.. وصدق مَن قال: (لحوم العلماء مسمومة) فهل مِنْ معتبر؟!

وفي أثناء اشتداد هذه الفتنة كان لا بُدَّ أن أقف مع الحقِّ مدافعاً عنه، فخطبت خطبة دافعت فيها عن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وعن العلماء، وتكلمت فيها عن صفات علماء السوء الذين يريدون بعلمهم الدنيا الفانية.. وقَدَّر الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكون الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ يصلي عندي، دون أن أعلم بوجوده...

وبعد الخطبة والصلاة زارني وقال لي: (جزاك الله خيراً يا أَبا إسلام لقد نصرتني مظلوماً، والرسول ﷺ يقول: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»[1]).

١٠ ـ الحرص على فهم الكتاب والسنّة بفهم السلف الصالح:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول دائماً: (كثيرٌ هُمْ أولئك الذينَ يدَّعون التمسك بالكتاب والسنّة، ولكنهم لا يفهمون الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة، فالذي يريدُ النجاة في الدنيا والآخرة، والصادقُ في قوله: «**أنا على منهج الصحابة**» هو الذي يتمسك بالكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة).

وفي آخر وصيةٍ أوصىٰ بها الشيخ قبل موته في آخر لقاء التقىٰ فيه مع طلابه قال فيها: (أوصيكم بالعلم النافع، والعمل الصالح، والعلم النافع هو علم الكتاب والسنّة، بفهم سلف الأمة، والعمل الصالح هو ما كان لله ووافق السنّة).

---

(١) صحيح: خ: (٢٣١١).

ثانياً: بالنسبة للأخ العزيز الشيخ عبد العظيم بن بدوي الخلفي حفظه الله:

فإنَّ له عليَّ فضلاً عظيماً بعد الله ﷻ، ومِنْ ذلك الفضل:

١ ـ أنه ـ حفظه الله ـ كان سبباً في توبتي إلى الله ﷻ، فقبل ثلاثين عاماً مِنْ كتابة هذه المقدّمة ـ وكان حينئذٍ طالباً في الأزهر ـ جاء إلى قريتنا، قرية الزعفران في مصر، وأعطىٰ درساً في مسجد القرية، حول تفسير سورة الواقعة، وقد نفعني الله بهذا الدرس.

٢ ـ لمَّا سافرنا معاً إلى الأردن، وشرعنا في طلب العلم في قرية الفيصلية مِنْ قرى ضواحي عمان رأى الشيخ في منامه رجلاً يقول له: (أبو إسلام مِنْ أكثر الناس انتفاعاً منك) وبشرني بها الشيخ، والحمد للَّهِ فمنذ تلك اللحظة وأنا وأهلُ بيتي ننتفع من الشيخ حفظه الله.

٣ ـ ومما تعلمته منه، ولا يزال له أبلغ الأثر في دروسي وخطبي أنْ يكون الحرص على إرضاء الله وحده عند تحضير الدرس أو الخطبة ولا يُلتفتُ إلى إرضاء الناس؛ لأن الناس لا يغنون عنا من الله شيئاً، كما أن رضاهم غاية لا تُدْرك، قال ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضيَ الله عنه، وأَرَضى عنه الناس، ومَنْ التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»[(١)].

* * *

(١) صحيح لغيره: ت: (٢٤١٤)، حب: (٢٧٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٥٠)].

تحذيرٌ بَيْن يَدَي الكتاب
من الطعن في العلماء

* الجناية على العلماء خرق في الدين، فمن ثمَّ قال الطحاويُّ في عقيدته: (وعلماء السلف من السابقين، ومَنْ بعدهم من التابعين أَهلِ الخير والأثر، وأهلِ الفقه والنظر لا يُذْكرون إلَّا بالجميل، ومَنْ ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

فماذا تقول يا مَنْ ترمي الشيخ الألبانيَّ رحمه الله بالإرجاء، وتدَّعي أَنك على السبيل!!؟.

قال ابن المبارك: (مَن استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته)[(١)].

وقال الإمام أحمد بن الأذرعيّ: (الوقيعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب)[(٢)].

فهل تنكر يا مَنْ ترمي الشيخ الألباني رحمه الله بالإرجاء أنه من أكابر العلماء، وأنه محدثُ العصر، وأنه من أَئمة السنّة في هذا الزمان؟!.

وقال جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: (كفىٰ بالمرء شراً أَنْ لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين)[(٣)].

* والطاعنون في العلماء لا يضرون إلَّا أَنفسهم، وهم يستجلبون لها

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٤٤٤).
(٢) كتاب «الرد الوافر» (ص١٩٧).
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٣٠).

بفعلتهم الشنيعة أخبث الأوصاف، ﴿بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وهم مِنْ شرار عباد الله بشهادة رسول الله ﷺ الذي قال: «خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة المفرِّقون بَيْن الأحبة...»(١) الحديث.

وهم مفسدون في الأرض، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وهم عرضة لحرب الله تعالىٰ القائل في الحديث القدسي: «مَنْ عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب... ...»(٢).

وهم متعرِّضون لاستجابة دعوة العالم المظلوم عليهم، فدعوة المظلوم ـ ولو كان فاسقاً ـ ليس بينها وبَيْن الله حجاب، فكيف بدعوة وليِّ الله الذي قال الله فيه: «وإن سألني لأعطِيّنه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه»(٣).

ألا يتقي الله أولئك الذين يرمون الشيخ الألباني بما هو منه بريء براءة الذئب مِنْ دم يوسف؟.

فوالله الذي لا إله غيره، ولا رَبَّ سواه، لقد دعا الشيخ على مَنْ ظلموه واتهموه بما هو منه بريء في حياته، فاستجاب الله له فيهم، وهم الآن عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر.

يا صاحب البغي إنَّ البغي مَصْرَعَةٌ ... فاعدلْ فخيرُ فِعال المرءِ أَعدلُهُ
فلو بغىٰ جبلٌ يوماً على جبلٍ ... لاندكَّ منه أعاليهِ وأسفلُهُ

* وَلْيُعْلَمْ أَنه يُخْشَىٰ على مَنْ تلذَّذ بغيبة العلماء والقدح فيهم، أَن يُبْتلى بسوء الخاتمة، عياذاً بالله منها.

---

(١) حسن لغيره: حم: (٤/٢٢٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٢٤)] وسيأتي تخريجه لاحقاً.
(٢) صحيح: خ: (٦١٣٧).
(٣) المصدر السابق.

* ثمَّ الخائض في أعراض العلماء ظلماً وعدْواً إنْ حُمِلَ عنه ذلك، واقتُدي به فيه، فقد سَنَّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلىٰ يوم القيامة، والدال على الشرِّ كفاعله، والسعيد مَنْ إذا مات ماتت معه سيئاته قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: ١٢].

وما مِنْ كاتب إلَّا سيلقىٰ غداةَ الحشر ما كتبت يداهُ

فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسُرُّك في القيامة أَن تراهُ

* ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال: (لحوم العلماء مسمومة، مَنْ شمَّها مَرِض، ومَنْ أكلها مات)[١].

وقال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حقَّ تقاته ـ إن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأنَّ الوقيعة فيهم بما هم منه بَرآء أَمرٌ عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيم)[٢].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومَنْ أطلق لسانه في العلماء بالثَّلْب ابتلاه الله تعالىٰ قبل موته بموت القلب، ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] [النور: ٦٣].

* وأقول للذين يتطاولون بألسنتهم على الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويتهمونه بالإرجاء: قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، ونقول لهم ـ ما كان الشيخ يكرّره أحياناً ـ: (وعند الله تجتمع الخصوم).

ومِنْ مخاطر الطعن في العلماء:

ـ التسبب إلى تعطيل الانتفاع بعلمهم:

وقد نهىٰ النبيّ ﷺ عَنْ سبِّ الديك؛ لأنه يدعو للصلاة.

---

(١) كتاب «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» (ص٧١).

(٢) قاله في كتابه «تبيين كذب المفتري».

(٣) المصدر السابق.

فكيف يستبيح قومٌ إطلاق أَلسنتهم في ورثة الأنبياء الداعين إلى الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (ما نحن لولا كلمات العلماء؟!)[١].

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: (الدنيا كلها ظُلمة إلَّا مجالس العلماء)[٢].

ـ ومِنْ مخاطر الطعن في العلماء:

أن القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشرع والدين، ولهذا أطبق العلماء على أنَّ مِنْ أسباب الإلحاد (القدح في العلماء).

وقال الشيخ بكر أبو زيد ـ عافاه الله ـ: (بادرةٌ ملعونةً... وهي تكفير الأئمة، النووي، وابن دقيق العيد، وابن حجر العسقلاني، أو الحط مِنْ أقدارهم، أو أنهم مبتدعةٌ ضلَّال، كل هذا مِنْ عمل الشيطان، وباب ضلالةٍ وإضلال وفسادٍ وإفساد، وإذا جرح شهود الشرع جُرح المشهود به، لكنَّ الأغرار لا يفقهون ولا يتثبّتون).

ألا يُقال هذا الكلام الجميل، الطيب في حقِّ الذين تجرّؤوا على عرض محدِّث العصر الشيخ، ورموه بالإرجاء؟!.

وقال الشيخ العلامة طاهر الجزائري وهو على فراش الموت: (عُدُّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلَّاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأُمة منهم، ولا تنفّروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم)[٣].

فليتق اللَّهَ قومٌ أطلقوا أَلسنتهم في أعراض العلماء، ونفّروا الناس مِنْ علمهم ومِنْ مجالسهم ومِنْ كتبهم، وليعلم الجميع أَنه إذا خلت الساحة مِنْ أهل العلم والتُّقىٰ اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً يُفْتونهم بغير علم، وإذا

---

(١) مي: (٣٩٠).
(٢) كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢٦٤)، (ص٢٣٦).
(٣) كتاب «التعالم» (ص٩١).

أفتوهم بغير علم فلا تسألْ عنِ الحُرُمات التي تستباح، والدم المعصوم الذي يُهْراق، والعرض الذي ينتهك، والمال الذي يهدر، ونظرة واحدة إلى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين، وما يقع فيها مِنْ مجازر ومذابح بأيدي الأدعياء الذين استبدوا برأيهم، وتأوَّلوا بأهوائهم، وركبوا رؤوسهم ولم يصغوا إلى نصائح العلماء، تنبئك عن مخاطر تغييب العلماء وقطع الصلة بينهم وبين الشباب، وما نصحُ الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشباب الجزائر ألَّا يفعلوا ما فعلوا وألَّا يتسرعوا استجابةً لقول الرسول ﷺ لخباب بن الأرتِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**والله ليتمَّنَّ هذا الأَمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموتَ لا يخافُ إلَّا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(١)]، أقول: ما نصح الشيخ لهم ببعيد، ولكنهم لم يستجيبوا لنصيحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهل جزاءُ الذي ينصح للأمة ـ حقناً لدمائها، وحفظاً لشبابها ـ ألَّا تتسرَّع ـ هل جزاء هذا أن يُرْمىٰ ببدعة الإرجاء؟! سبحانك هذا إفكٌ مبين، كبرت كلمةً تخرج منْ أفواههم إنْ يقولون إلا كذباً، فواللَّهِ ما عرفنا الشيخ يوماً.. ولا سمعنَاه يوماً إلَّا وهو يحذرنا مِنْ بدعة الخوارج ومِنْ بدعة المرجئة وهو يقول: (عليكم بمنهج السلف الصالح).. فرحم الله الشيخ رحمةً واسعة..

وأقول: (يا طلابَ العلم.. ويا شبابَ الإسلام، اعلموا أنَّ العلماء هم عقول الأُمة، والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرةٍ بالبقاء).

فنصيحتي لإخواني طلاب العلم في كل مكان هي:

احذروا الوقيعة في أهل العلم، وإلَّا حشرتم أنفسكم في خندق واحدٍ تُظاهرون أعداء الإسلام الذين يحاولون تحطيم قمم الإسلام باعتبار ذلك أقصر طريقٍ لطعنِ الإسلام نفسه فلا تَكونُنَّ ظهيراً للمجرمين، واستحضروا قول الله تعالى على لسان موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧].

---

(١) صحيح: خ: (٦٥٤٤).

واعلموا أن محاولة هدم القمم للتوصل بذلك إلى هدم الدين، وإطفاء نوره هي سياسة قديمة قِدَم الكائدين لهذا الدين.

فمن محاولاتها الأوْلىٰ: ما جرىٰ مِنْ حديث الإفك في حقِّ الصّديقة بنت الصديق الطاهرة البتول المبرأة مِنْ فوق سبع سماوات أم المؤمنين عائشة ﵂، فقد كان الإفك طعنةً موجهة في المقام الأول إلى صاحب الرسالة ﷺ، ثم للرجل الثاني في الإسلام أبي بكر الصديق ﵁، ثم لعائشة الصّديقة التي حُمل عنها ربع الشريعة.

- ومن هذه المحاولات اجتهاد أعداء السنّة والتوحيد من المستشرقين وأذنابهم من الذين نافقوا، في الطعن في راوية الإسلام أبي هريرة ﵁، وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، فإذا هدم أبو هريرة، انهدم قسمٌ عظيم مِنْ سنّة رسول الله ﷺ.

- ومن ذلك ما يدأبُ فيه الرافضة - قَبَّحهم الله، ونكّس راياتهم - من الطعن في صحابة رسول الله ﷺ وتصويرهم - إلَّا خمسَةً منهم - في أشنع الصور وأقبحها.

ولقد فقه السلف هذه الحقيقة وتنبّهوا لمراميها البعيدة، فكشفوا عوارها وهتكوا سترها، فعن مصعب بن عبد الله قال:

حدثني أبي عبدُ الله الزبيري، قال: قال لي أمير المؤمنين المهدي: (يا أبا بكر، ما تقول فيمن ينقص أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: زنادقة. قال: ما سمعت أحداً قال هذا قبلك، قال: قلت: هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ بنقص فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء، فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء، فقال: ما أراه إلَّا كما قلت)[١].

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٧٥)، «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٨٣).

وقال الإمام أحمد: (إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله بسوء، فاتهمه على الإسلام)(١).

وقال الإمام أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أَدَّىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح أَوْلىٰ بهم وهم زنادقة)(٢).

فكل مَنْ أراد طعن الإسلام طعن في رموزه وحملة شريعته، والذابِّين عن حوزته.

قال سفيان بن وكيع: (أحمد عندنا محنةٌ، مَنْ عاب أحمد عندنا فهو فاسق)(٣).

وقال أبو الحسن الطرخاباذي: (أحمد محنةٌ، به يعرف المسلم من الزنديق)(٤).

وقال الدورقي: (مَنْ سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام)(٥).

ـ ومن ذلك حرص الأبواق المنافقة على الطعن في المجدِّدين الذين بعثوا سنّة النبيِّ ﷺ وذبُّوا عن دعوة التوحيد؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وعبد العزيز بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهم الله جميعاً، وغيرهم من المجددين.

فمن وافق القوم في تطاولهم على رموز الإسلام، فقد أعانهم مِنْ

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٢) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٣) «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٢٢).

(٤) المصدر السابق.

(٥) «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٢١).

حيث يدري أو مِنْ حيث لا يدري على تحقيق غاياتهم الخبيثة، وشمّت بنا أعداءَ الإسلام، وقد قال هارون لأخيه موسى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وقد أمرنا النبيُّ ﷺ أن نتعوّذ بالله من **(شماتة الأعداء)**[(١)].

فكونوا يا طلاب العلم في كل مكان على درجةٍ رفيعةٍ من الوعي وسلامة النظر بما يفعله أعداء الإسلام ويخططون له مِنْ النيل من رموز وقمم الإسلام وهم العلماء الذين شهدت لهم الدنيا بالعلم والصلاح والتقوىٰ.

نسأل الله العظيم أن يحفظنا وإياكم من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا وإياكم مفاتيح خير، مغاليق شر، ولا يجعلنا مفاتيح شرٍّ مغاليق خير، إنه سميع الدعاء.

وكتبه

«أبو إسلام»

صالح بن طٰه عبد الواحد

---

(١) صحيح: خ: (٥٩٨٧)، م: (٢٧٠٧)، وهو جزء من حديث.

(نصيحةٌ للدعاة)

إخواني الدعاة في كلِّ مكان، أسألُ الله لي ولكم أَن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، واعلموا أنَّ خطيب الجمعة ينجح في خطبته إذا أقامها على هذه الأَركان:

الأول: الإخلاصُ لله.

الثانية: العلم الشرعي (علم الكتاب والسنة).

الثالث: فن الخطابة، أي: أَن يكون على درايةٍ بهذا الفن وأساليبه.

• فالخطيب إذا كان مخلصاً لله، وعلى علم، ولم يكن على قدر من العلم بفنِ الخطابة عجز عن إيصال الموعظة إلى قلوب سامعيه.

• وإذا كان الخطيب على علمٍ، متمكناً من فَنِّ الخطابة، ولا إخلاص عنده فترى كلامه لا يخلص إلى قلوبِ الناس، ولا ينتفعون بكلامه.

• وإذا كان الخطيب مخلصاً، وخطيباً بارعاً، ولا علم عنده، فتراه يملأُ خطبته بالسبِّ والشتم لا تسمع فيها (قال الله) ولا (قال رسول الله) لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، وما أكثر هذا الصنف في زماننا!!. خطبٌ حماسيةٌ، رنَّانة، خاوية مِنْ ذكر الله تُدمر ولا تُعمر، وتُفْسدُ ولا تُصلح..

أما الخطيب الناجح فهو الذي يبتغي بخطبته وجه الله، ويملئوها بـ (قال الله) و(قال رسول الله)، ويقدِّمها للناس كما تعلم مِنَ الكتاب والسنة.

إخواني الدعاة، وفيما يلي فائدة نقدِّمها لإخواننا الدعاة في كل مكان وهي عبارة عن جملةٍ من النصائح اقتبسناها من مقدِّمة كتاب (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل)، التي قدم بها لهذا الكتاب القيِّم الدكتور صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

الحمد لله رب العالمين، أمرنا باتِّباع رسوله، والدَّعوة إلى سبيله، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الدعوة إلى الله هي سبيلُ الرسول ﷺ وأتباعه ـ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، بل الدَّعوة إلى الله هي مهمَّة الرُّسل وأتباعهم جميعاً، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النار إلى الجنَّة. وهي مرتكزة على دعائم وتقوم على أسس لا بدَّ منها ـ متى اختلَّ واحدٌ منها لم تكن دعوة صحيحة ولم تثمر الثمرة المطلوبة، مهما بُذل فيها من جهود وأُضيع فيها من وقت ـ كما هو المشاهد والواقع في كثير من الدعوات المعاصرة التي لم تؤسَّس على تلك الدعائم ولم تقم على تلك الأسس.

● وهذه الدعائم التي تقوم عليها الدعوة الصحيحة هي كما دل عليه الكتاب والسُّنَّة تتلخص فيما يلي:

١ ـ **العلمُ بما يدعو إليه،** فالجاهل لا يصلح أن يكون داعية ـ قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] والبصيرة هي العلم، ولأنَّ الداعية لا بدَّ أن يواجه علماء ضلال يوجِّهون إليه شبهات ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحقَّ، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال النَّبي ﷺ لمعاذ: «**إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب**»[١]. فإذا لم يكن الداعية مسلحاً بالعلم الذي يواجه به كل شبهة ويجادل به كل خصم فإنَّه سينهزم في أوَّل لقاء وسيقف في أوَّل الطريق.

٢ ـ **العمل بما يدعو إليه** حتى يكون قدوةً حسنة تصدق أفعالُه أقوالَه ولا يكون للمبطلين عليه حجَّة، قال الله تعالى عن نبيِّه شعيب عليه السلام أنَّه قال

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٠٩٠)، م: (١٩).

لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الإنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

٣ ـ **الإخلاص**، بأن تكون الدَّعوة لوجه الله لا يقصد بها رياء ولا سمعة ولا ترفعاً ورئاسةً ولا طمعاً من مطامع الدنيا ـ لأنها إذا دخلها شيء من تلك المقاصد لم تكن دعوة لله، وإنَّما هي دعوة للنَّفس أو للطمع المقصود ـ كما أخبر الله عن أنبيائه أنَّهم يقولون لأممهم: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ﴾ [هود: ٢٩].

٤ ـ **البداءة بالأهم فالأهم**، بأن يدعو أوّلاً إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنَّهي عن الشرك، ثمَّ الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات وترك المحرمات كما هي طريقة الرسل جميعاً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وغير ذلك من الآيات.

ولما بعث النَّبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هُم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...**»[1] الحديث.

وفي طريقته وسيرته ﷺ في الدعوة خير قدوة وأكمل منهج حيث

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٠٩٠)، م: (١٩).

مكث ﷺ في مكَّة ثلاث عشرة سنة يدعو النَّاس إلى التَّوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج، وقبل أن ينهاهم عن الربا والزنا والسرقة وقتل النّفوس بغير حق.

٥ ـ الصبر على ما يلاقي في سبيل الدعوة إلى الله من المشاق وما يواجه من أذى النَّاس، لأنَّ طريق الدَّعوة ليس مفروشاً بالورود، وإنَّما هو محفوف بالمكاره والمخاطر، وخير أسوة في ذلك هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيما واجهوا من أقوامهم من الأذى والسخرية ـ كما قال الله تعالى لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وكذلك ينال أتباعُ الرسل من الأذى والمشاق بقدر ما يقومون به من الدعوة إلى الله اقتداءً بهؤلاء الرسل الكرام عليهم مِن الله أفضل الصلوات وأزكى السلام.

٦ ـ على الداعية أن يكون متحلِّياً بالخلق الحسن مستعملاً للحكمة في دعوته لأنَّ هذا أدعى لقبول دعوته كما أمر الله نبييه الكريمين موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، أن يستعملا ذلك في مواجهة أكفر أهل الأرض وهو فرعون الذي ادَّعى الربوبيَّة ـ حيث قال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

وقال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧ ـ ١٩].

وقال تعالى في حقِّ نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٧ ـ **على الدَّاعية أن يكون قوي الأمل** لا ييأس من تأثير دعوته وهداية قومه ولا ييأس من نصر الله ومعونته ولو امتدَّ الزمن وطال عليه الأمد، وله في رُسُلِ الله خير قدوة في ذلك.

فهذا نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله.

وهذا نبيُّنا محمد ﷺ لما اشتدَّ عليه أذى الكفار وجاءه مَلَك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين ـ قال: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**»[1].

ومتى فقد الداعية هذه الصفة، فإنَّه سيقف في أوَّل الطريق ويبوء بالخيبة في عمله.

وإنَّ أيَّة دعوة لا تقوم على هذه الأسس ويكون منهجها قائماً على منهج الرسل فإنَّها ستبوء بالخيبة وتضمحل وتكون تعباً بلا فائدة ـ وخير دليل على ذلك تلك الجماعات المعاصرة التي اختطت لنفسها منهجاً للدعوة يختلف عن منهج الرسل ـ فقد أغفلت هذه الجماعات إلّا ما قلَّ منها ـ جانب العقيدة ـ وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانبيَّة ـ فجماعة تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة وتطلب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين الناس ـ وهذا جانب مهم ـ لكنَّه ليس الأهم ـ **إذ كيف يطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على المشرك، كيف يُطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير، قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على عباد الأوثان والقبور، وعلى الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطِّلونها عن مدلولاتها ويحرفون كلماتها.**

أهؤلاء أشد جرماً أم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون؟!!! إنَّ هذه الجرائم إساءة في حق العباد، والشرك ونفي الأسماء والصفات إساءة في حق الخالق سبحانه ـ وحق الخالق مقدَّم على حقوق المخلوقين ـ.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٥٩)، م: (١٧٩٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة» (١/ ٤٦٦): (فهذه الذنوب مع صحّة التوحيد خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب)[(١)] انتهى.

هذا وجماعة أخرى تنتمي إلى الدعوة ـ لكنَّها تسير على منهج آخر يختلف أيضاً عن منهج الرسل، فلا تعير العقيدة أهميّة ـ وإنَّما تهتم بجانب التعبد وممارسة بعض الأذكار على نهج الصوفيَّة ويركزون على الخروج والسياحة والذي يهمهم هو استقطاب الناس معهم دون نظر إلى عقائدهم ـ وهذه كلها طرق مبتدعة تبدأُ من حيث انتهت دعوة الرسل ـ وهي بمثابة من يعالج جسداً مقطوع الرأس ـ لأنَّ العقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ـ والمطلوب من هذه الجماعات أن تصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنَّة لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلى الله ـ فإنَّ الله سبحانه أخبر أنَّ الحاكميَّة والسلطة التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها لا تتحقق إلّا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ـ قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وهؤلاء يريدونَ قيام دولة إسلاميَّة قبلَ تطهير البلاد من العقائد الوثنيَّة المتمثلة بعبادة الموتى والتَّعلق بالأضرحة بما لا يختلف عن عبادة اللّات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل تزيد عليها أنَّهم يحاولون محالاً:

ومن طلب العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحال

إنَّ تحكيم الشريعة وإقامة الحدود وقيام الدولة الإسلاميَّة واجتناب المحرمات وفعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته وهي تابعة له فكيف يُعتنى بالتابع ويُهمل الأصل؟.

---

(١) ودليل هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] وقد تعجب حين تعلم أنا قد وجدنا لبعض قادة هذه الجماعة كتباً يؤيدون فيها التبرك بالأضرحة والتوسل بالصالحين.

وإنَّني أرى أنَّ ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريقة الدعوة إلى الله إنَّما نشأ من جهلهم بهذا المنهج ـ **والجاهل لا يصلح أن يكون داعية، لأن من أهم شروط الدعوة العلم كما قال تعالى عن نبيِّه**: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأهم مؤهلات الداعية العلم[1].

ثمَّ إننا نرى هذه الجماعات المنتسبة إلى الدعوة مختلفة فيما بينها فكل جماعة تختط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرى وتنتهج غير منهجها، وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ فإنَّ منهج الرسول واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأتباع الرسول ﷺ على هذه السبيل الواحدة لا يختلفون.

وإنَّما يختلف من خالف هذه السبيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ولما كان أمر هذه الجماعات المخالفة والمختلفة يشكل خطراً على الإسلام قد يصد عنه من أراد الدخول فيه كان لا بدَّ من بيانه وبيان أنَّه ليس من الإسلام في شيء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ولأنَ الإسلام يدعو إلى الاجتماع على الحق كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، لمَّا كان بيان ذلك واجباً وكشفه لازماً قام جماعة من العلماء من ذوي الغيرة والتحقيق بالتَّنبيه على أخطاء تلك الجماعات وبيان مخالفتها في الدعوة لمنهج الأنبياء لعلها ترجع إلى صوابها ـ فإنَّ الحق ضالَّة المؤمن ـ ولئلا يغترَّ بها من لا يعرف ما هيَ عليه من خطأ، اهـ.

---

(١) وبعض هؤلاء الذين ينتسبون للدعوة إلى الإسلام لو سألتَ أحدهم: ما هو الإسلام؟ وما هي نواقضه؟ لم يستطع أن يجيب إجابة صحيحة فكيف جاز لمثل هذا أن يكون داعية؟!!!.

التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام
هذا هو منهج الأنبياء جميعاً وورثة الأنبياء
محاضرة لإمام العصر محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قلنا في مقدمة هذا الكتاب (العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون): إن هذا الكتاب مجموعة مِنْ خطب الجمعة في موضوع العقيدة، نصحني بها والدي وأستاذي وشيخي محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأَمرني بطبعها ونشرها لينتفع بها المسلمون مكتوبةً كما نَفَعَ بأصلها مسموعةً..

فما كانَ مني إلا أن امتثلت أمره، وعملت بنصيحته سائلاً الله عَزَّ وَجَلَّ أن يثيبني وشيخي وكلَّ مَن ساهم في إخراج هذا الكتاب.

وبقدر الله جل وعلا بعد أن انتهينا مِنْ مراجعة الكتاب وصلني كتابٌ صغير الحجم، كبير الفائدة عنوانه: «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قام بنشره إخواننا في مسجد إبراهيم الخليل في دبي.

ولما كانَ موضوع هذا الكتاب يلتقي مع ما تضمنه كتابنا من وجوب الاهتمام والعناية بالعقيدة أولاً وقبل كل شيء، رأيت أَن أُلحق هذا الكتاب بكتابي لسببين اثنين:

أَوَّلُهما: أَنَّ للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضلاً عليَّ عظيماً بعد الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه المواعظ.

ثانيهما: ليتبيَّن للجميع اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بموضوع العقيدة، ومن هؤلاء العلماء شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأصل هذا الكتاب الذي وصلني إجابة أجاب بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على سؤال وُجِّه له، ونصُّ السؤال:

* فضيلة الشيخ! لا شك أنكم تعلمون بأن واقع الأمة الديني واقع مرير من حيث الجهل بالعقيدة، ومسائل الاعتقاد، ومن حيث الافتراق في المناهج وإهمال نشر الدعوة الإسلامية في أكثر بقاع الأرض طبقاً للعقيدة الأولىٰ والمنهج الأول الذي صلحت به الأمة، وهذا الواقع الأليم لا شك بأنه قد ولّد غيرة عند المخلصين ورغبة في تغييره وإصلاح الخلل، إلا أنهم اختلفوا في طريقتهم في إصلاح هذا الواقع؛ لاختلاف مشاربهم العقدية والمنهجية ـ كما تعلم ذلك فضيلتكم ـ من خلال تعدد الحركات والجماعات الإِسلامية الحزبية والتى ادَّعت إصلاح الأمة الإسلامية عشرات السنين، ومع ذلك لم يكتب لها النجاح والفلاح، بل تسببت تلك الحركات للأمة في إحداث الفتن ونزول النكبات والمصائب العظيمة، بسبب مناهجها وعقائدها المخالفة لأمر الرسول ﷺ وما جاء به، مما ترك الأثر الكبير في الْحَيْرَةِ عند المسلمين ـ وخصوصاً الشباب منهم ـ في كيفية معالجة هذا الواقع، وقد يشعر الداعية المسلم المتمسك بمنهاج النبوة المتبع لسبيل المؤمنين، المتمثل في فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان من علماء الإِسلام؛ قد يشعر بأنه حمل أمانة عظيمة تجاه هذا الواقع وإصلاحه أو المشاركة في علاجه.

- فما هي نصيحتُكم لأتباع تلك الحركات أو الجماعات؟
- وما هي الطرق النافعة الناجعة في معالجة هذا الواقع؟
- وكيف تبرأ ذمة المسلم عند الله ﷻ يوم القيامة؟



الجواب

*** يجب العناية والاهتمام بالتوحيد أولاً كما هو منهج الأنبياء والرسل** عليهم السلام:

بالإِضافة لما ورد في السؤال ـ السابق ذكره آنفاً ـ، من سوء واقع المسلمين، نقول: إن هذا الواقع الأليم ليس شراً مما كان عليه واقع

العرب في الجاهلية حينما بُعث إليهم نبينا محمد ﷺ؛ لوجود الرسالة بيننا، وكمالها، ووجود الطائفة الظاهرة علىٰ الحق، والتي تهدي به، وتدعو الناس للإسلام الصحيح: عقيدة، وعبادة، وسلوكاً، ومنهجاً، ولا شك بأن واقع أُولئك العرب في عصر الجاهلية مماثل لما عليه كثير من طوائف المسلمين اليوم!.

بناء علىٰ ذلك نقول: العلاج هو ذلك العلاجُ، والدواء هو ذاك الدواءُ، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأُولىٰ، فعلىٰ الدعاة الإسلاميين اليوم ـ جميعهم ـ أن يعالجوا سوء الفهم لمعنىٰ «لا إله إلا الله»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه. ومعنىٰ هذا واضح جداً؛ إذا تدبرنا قول الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانياً، ومن سلوكهم ثالثاً. ولست أعني من هذا الترتيب فصلَ الأمر الأول بَدءاً بالأهم ثم المهم، ثم ما دونه!. وإنَّما أريد أن يهتم بذلك المسلمون اهتماماً شديداً كبيراً، وأعني بالمسلمين بطبيعة الأمر الدعاة، ولعل الأصح أن نقول: العلماء منهم؛ لأن الدعاة اليوم ـ مع الأسف الشديد ـ يدخل فيهم كل مسلم ولو كان علىٰ فقر مدقع من العلم، فصاروا يعدون أنفسهم دعاة إلىٰ الإسلام، وإذا تذكرنا تلك القاعدة المعروفة ـ لا أقول: عند العلماء فقط بل عند العقلاء جميعاً ـ تلك القاعدة التي تقول: «فاقد الشيء لا يعطيه». فإننا نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جداً يعدون بالملايين من المسلمين تنصرف الأنظار إليهم حين يطلق لفظة: الدعاة. وأعني بهم: «جماعة الدعوة»، أو «جماعة التبليغ»، ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله ﷻ: ﴿... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ومعلوم من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام

بالأصل الأول ـ أو بالأمر الأهم ـ من الأمور التي ذُكرت آنفاً، وأعني: العقيدة والعبادة والسلوك، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .﴾ [النحل: ٣٦]. فهم لا يُعنون بهذا الأصل الأصيل والركن الأول من أركان الإسلام ـ كما هو معلوم لدىٰ المسلمين جميعاً ـ؛ هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام ألا وهو نوح ﷺ قُرابةَ ألف سنة، والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصرف وقته وجلّ اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بيَّن الله ﷻ ذلك في محكم التنزيل: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]. فهذا يدلّ دلالة قاطعة علىٰ أن أهم شيء ينبغي علىٰ الدعاة إلىٰ «الإسلام الحقّ» الاهتمامَ به دائماً هو الدعوةُ إلىٰ التوحيد، وهو معنىٰ قوله ـ تبارك تعالىٰ ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . .﴾ [محمد: ١٩].

هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملاً وتعليماً.

أما **فعله**: فلا يحتاج إلىٰ بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنَّما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلىٰ عبادة الله لا شريك له.

أما **تعليماً**: ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الوارد في الصحيحين أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذاً إلىٰ اليمن قال له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم**...»(١). إلخ الحديث. وهو معلوم ومشهور إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٨٩)، م: (١٩).

إذاً، قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدؤوا بما بدأ به وهو الدعوة إلىٰ التوحيد، ولا شك أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين أولئك العرب المشركين ـ من حيث إنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم ـ، وبين أغلب العرب المسلمين اليوم الذي ليسوا بحاجة أن يُدْعَوْا إلىٰ أن يقولوا: لا إله إلا الله؛ لأنهم قائلون بها علىٰ اختلاف مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم، فكلهم يقولون: لا إله إلا الله، لكنهم في الواقع بحاجة أن يفهموا ـ أكثر ـ معنىٰ هذه الكلمة الطيبة، وهذا الفرق فرق جوهري ـ جداً ـ بين العرب الأولين الذين كانوا إذا دعاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا: لا إله إلا الله يستكبرون، كما هو مبين في صريح القرآن العظيم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، لماذا يستكبرون؟ لأنهم يفهمون أن معنىٰ هذه الكلمة أن لا يتخذوا مع الله أنداداً وألا يعبدوا إلا الله، وهم كانوا يعبدون غيره، فهم ينادون غير الله، ويستغيثون بغير الله؛ فضلاً عن النَّذْر لغير الله، والتوسل بغير الله، والذبح لغيره والتحاكم لسواه. . . إلخ.

هذه الوسائل الشركية الوثنية المعروفة التي كانوا يفعلونها، ومع ذلك كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة ـ لا إله إلا الله ـ من حيث اللغة العربية أن يتبرؤوا من كل هذه الأمور؛ لمنافاتها لمعنىٰ «لا إله إلا الله».

• غالب المسلمين اليوم لا يفقهون معنى لا إله إلا الله فهماً جيداً:

أما غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن «لا إله إلا الله» فهم لا يفقهون معناها جيداً، بل لعلهم يفهمون معناها فهماً معكوساً ومقلوباً تماماً؛ أضرب لذلك مثلاً: بعضهم ألَّف رسالة في معنىٰ «لا إله إلا الله» ففسرها: «لا رب إلا الله!!». وهذا المعنىٰ هو الذي كان المشركون يؤمنون به وكانوا عليه، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ . . .﴾ [لقمان: ٢٥].

فالمشركون كانوا يؤمنون بأن لهذا الكون خالقاً لا شريك له، ولكنهم كانوا يجعلون مع الله أنداداً وشركاء في عبادته، فهم يؤمنون بأن الرب واحد ولكن يعتقدون بأن المعبودات كثيرة، ولذلك ردَّ الله تعالىٰ ـ هذا الاعتقاد ـ الذي سمَّاه عبادة لغيره من دونه بقوله تعالىٰ: ﴿... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴾ [الزمر: ٣].

لقد كان المشركون يعلمون أن قول: «لا إله إلا الله» يَلْزَمُ له التبرؤُ من عبادة ما دون الله ﷻ، أما غالب المسلمين اليوم؛ فقد فسَّروا هذه الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله» بـ: «لا رب إلا الله!!». فإذا قال المسلم: «لا إله إلا الله»، وعبد مع الله غيره؛ فهو والمشركون سواء، عقيدة، وإن كان ظاهره الإسلام؛ لأنه يقول لفظة: لا إله إلا الله، فهو بهذه العبارة مسلم لفظياً ظاهراً، وهذا مما يوجب علينا جميعاً ـ بصفتنا دعاةً إلىٰ الإسلام ـ الدعوة إلىٰ التوحيد وإقامةَ الحجة علىٰ من جهل معنىٰ «لا إله إلا الله» وهو واقع في خلافها؛ بخلاف المشرك؛ لأنه يأبىٰ أن يقول: «لا إله إلا الله»، فهو ليس مسلماً لا ظاهراً ولا باطناً، فأما جماهير المسلمين اليوم هم مسلمون؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**فإذا قالوا لا إلٰه إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله ـ تعالى ـ**»[١].

لذلك، فإني أقول كلمة ـ وهي نادرة الصدور مني ـ، وهي: إن واقع كثير من المسلمين اليوم شرٌّ مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولىٰ من حيث سوءُ الفهم لمعنىٰ هذه الكلمة الطيبة؛ لأن المشركين العرب كانوا يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما غالب المسلمين اليوم، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: لا إله إلا الله، ولا يؤمنون ـ حقاً ـ بمعناها، لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب علىٰ الدعاة المسلمين ـ حقاً ـ هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم: بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة بالإخلاص لله ﷻ في العبادات بكل أنواعها؛ لأن الله ﷻ

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٨٦)، م: (٢١).

لما حكىٰ عن المشركين قولهم: ﴿... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴾ [الزمر: ٣]، جعل كل عبادة توجَّه لغير الله كفراً بالكلمة الطيبة: لا إله إلا الله؛ لهذا؛ أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقاً من تكتيل المسلمين ومن تجميعهم، ثم تركهم في ضلالهم دون فهم هذه الكلمة الطيبة، وهذا لا يفيدهم في الدنيا قبل الآخرة! نحن نعلم قول النبي ﷺ: «**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً (وفي رواية: مخلصاً) من قلبه دخل الجنة**»[1]. فيمكن ضمان دخول الجنة لمن قالها مخلصاً، حتىٰ لو كان بعد لأي وعذاب يمسُّ القائل والمعتقد الاعتقاد الصحيح لهذه الكلمة، فإنه قد يعذب بناء علىٰ ما ارتكب واجترح من المعاصي والآثام، ولكن سيكون مصيره في النهاية دخول الجنة، وعلىٰ العكس من ذلك؛ من قال هذه الكلمة الطيبة بلسانه، ولما يدخل الإيمان إلىٰ قلبه؛ فذلك لا يفيده شيئاً في الآخرة، قد يفيده في الدنيا النجاة من القتال ومن القتل إذا كان للمسلمين قوة وسلطان، وأما في الآخرة فلا يفيده شيئاً إلا إذا كان قائلاً لها وهو فاهم معناها أولاً، ومعتقداً لهذا المعنىٰ ثانياً؛ لأن الفهم وحده لا يكفي إلا إذا اقترن مع الفهم الإيمانُ بهذا المفهوم، وهذه النقطة؛ أظن أن أكثر الناس عنها غافلون! وهي: لا يلزم من الفهم الإيمان بل لا بد أن يقترن كل من الأمرين مع الآخر حتىٰ يكون مؤمناً، ذلك لأن كثيراً من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ كانوا يعرفون أن محمداً ﷺ رسول صادق فيما يدّعيه من الرسالة والنبوة، ولكن مع هذه المعرفة التي شهد لهم بها ربنا ﷻ حين قال: ﴿... يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ...﴾ [الأنعام: ٢٠]. ومع ذلك هذه المعرفة ما أغنت عنهم من الله شيئاً! لماذا؟ لأنهم لم يصدقوه فيما يدعيه من النبوة والرسالة، ولذلك فإن الإيمان تسبقه المعرفة ولا تكفي وحدها، بل لا بدّ أن يقترن مع المعرفة

(١) **حسن**: حم: (٥/ ٢٢٩)، (٥/ ٢٣٦)، حب: (٢٠٠)، طب: (٢٠/ ٤١)، ع: (٣/ ٣٥٢)، هب: (١/ ١٤٧)، [«س.ص» (٥/ ٣٤٨/ ٢٢٧٨)].

الإيمان والإذعان، لأن المولىٰ ﷻ يقول في محكم التنزيل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ...﴾ [محمد: ١٩].

وعلىٰ هذا، فإذا قال المسلم: لا إله إلا الله بلسانه؛ فعليه أن يضم إلىٰ ذلك معرفة هذه الكلمة بإيجاز ثم بالتفصيل، فإذا عرف وصدّق وآمن؛ فهو الذي يَصْدُقُ عليه تلك الأحاديث التي ذكرت بعضها آنفاً، ومنها قوله ﷺ مشيراً إلىٰ شيء من التفصيل الذي ذكرته آنفاً: «**من قال: لا إله إلا الله، نفعته يوماً من دهره**»(١)، أي: كانت هذه الكلمة الطيبة بعد معرفة معناها منجية له من الخلود في النار ـ وهذا أكرره لكي يرسخ في الأذهان ـ وقد لا يكون قد قام بمقتضاها من كمال العمل الصالح والانتهاء عن المعاصي ولكنه سلم من الشرك الأكبر وقام بما يقتضيه ويستلزمه شروط الإيمان من الأعمال القلبية ـ والظاهرية حسب اجتهاد بعض أهل العلم وفيه تفصيل ليس هذا محل بسطه ـ؛ وهو تحت المشيئة، وقد يدخل النار جزاء ما ارتكب أو فعل من المعاصي أو أخلّ ببعض الواجبات، ثم تنجيه هذه الكلمة الطيبة أو يعف الله عنه بفضل منه وكرمه، وهذا معنىٰ قوله ﷺ المتقدم ذكره: «**من قال: لا إله إلا الله، نفعته يوماً من دهره**»، أما من قالها بلسانه ولم يفقه معناها، أو فقه معناها ولكنه لم يؤمن بهذا المعنىٰ؛ فهذا لا ينفعه قوله: لا إله إلا الله، إلا في العاجلة إذا كان يعيش في ظل الحكم الإسلامي وليس في الآجلة.

لذلك لا بدّ من التركيز علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد في كل مجتمع أو تكتل إسلامي يسعىٰ ـ حقيقة وحثيثاً ـ إلىٰ ما تدندن به كل الجماعات الإسلامية أو جُلُّها، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله علىٰ أي أرض لا تحكم بما أنزل الله؛ هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقق هذه الغاية ـ التي أجمعوا

(١) **صحيح**: طس: (٤/ ١٢)، طص: (١/ ٢٤١)، هب: (١/ ١٠٩)، حل: (٧/ ١٢٦)، [«ص.غ.هـ» (١٥٢٥)].

علىٰ تحقيقها وعلىٰ السعي ـ حثيثاً ـ إلىٰ جعلها حقيقة واقعية ـ إلا بالبدء بما بدأ به الرسول ﷺ.

• وجوب الاهتمام بالعقيدة لا يعني إهمال باقي الشرع من عبادات وسلوك ومعاملات وأخلاق:

وأعيد التنبيه بأنني لا أعني الكلام في بيان الأهم فالمهمّ وما دونه علىٰ أن يقتصر الدعاة فقط علىٰ الدعوة إلىٰ هذه الكلمة الطيبة وفهم معناها، بعد أن أتم الله ﷻ علينا النعمة بإكماله لدينه! بل لا بد لهؤلاء الدعاة أن يحملوا الإسلام كُلًا لا يتجزأ، وأنا حين أقول هذا ـ بعد ذلك البيان الذي خلاصته: أن يهتم الدعاة الإِسلاميون حقاً بأهم ما جاء به الإِسلام، وهو تفهيم المسلمين العقيدة الصحيحة النابعة من الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله»، أريد أن أسترعي النظر إلىٰ أن هذا البيان لا يعني أن يفهم المسلم فقط أن معنىٰ: «لا إله إلا الله»، هو لا معبود بحق في الوجود إلا الله فقط! بل هذا يستلزم أيضاً أن يفهم العبادات التي ينبغي أن يُعبد ربنا ﷻ بها، ولا يُوجَّه شيءٌ منها لعبد من عباد الله تبارك وتعالىٰ، فهذا التفصيل لا بدّ أن يقترن بيانه أيضاً بذلك المعنىٰ الموجز للكلمة الطيبة، ويَحسُن أن أضرب مثلاً ـ أو أكثر من مثل؛ حسبما يبدو لي ـ؛ لأن البيان الإِجمالي لا يكفي.

أقول: إن كثيراً من المسلمين الموحدين حقاً والذين لا يوجّهون عبادة من العبادات إلىٰ غير الله ﷻ، ذهنهم خالٍ من كثير من الأفكار والعقائد الصحيحة التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، فكثير من هؤلاء الموحدين يمرون علىٰ كثير من الآيات وبعض الأحاديث التي تتضمن عقيدة وهم غير منتبهين إلىٰ ما تضمنته، مع أنها من تمام الإيمان بالله ﷻ، خذوا مثلاً عقيدة الإيمان بِعُلُوّ الله ﷻ، علىٰ ما خلقه، أنا أعرف بالتجربة أن كثيراً من إخواننا الموحدين السلفيين يعتقدون معنا بأن الله ﷻ علىٰ العرش استوىٰ دون تأويل، ودون تكييف، ولكنهم حين يأتيهم معتزليون

عصريون أو جهميون عصريون، أو ماتريدي أو أشعري ويلقي إليه شبهة قائمة على ظاهر آية لا يفهم معناها الموسوس ولا الموسوس إليه، فيحَار في عقيدته، ويضلُّ عنها بعيداً، لماذا؟ لأنه لم يتلق العقيدة الصحيحة من كل الجوانب التي تعرض لبيانها كتاب ربنا ﷻ وحديث نبينا محمد ﷺ، فحينما يقول المعتزلي المعاصر: الله ﷻ يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [الملك: ١٥، ١٦]. وأنتم تقولون: إن الله في السماء، وهذا معناه أنكم جعلتم معبودكم في ظرف هو السماء المخلوقة!! فإنه يلقىٰ شبهة علىٰ من أمامه.

• بيان عدم وضوح العقيدة الصحيحة ولوازمها في أذهان الكثيرين:

أريد من هذا المثال أن أبين أن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة ـ للأسف ـ في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية أو الماتريدية أو الجهمية في مثل هذه المسألة، فأنا أرمي بهذا المثال إلىٰ أن المسألة ليست بهذا اليُسر الذي يُصوره اليوم بعض الدعاة الذين يلتقون معنا في الدعوة إلىٰ الكتاب والسنة إن الأمر ليس بالسهولة التي يدّعيها بعضهم، والسبب ما سبق بيانه من الفرق بين جاهلية المشركين الأولين حينما كانوا يُدْعون ليقولوا: لا إله إلا الله فيأبون؛ لأنهم يفهمون معنىٰ هذه الكلمة الطيبة، وبين أكثر الناس المسلمين المعاصرين اليوم حينما يقولون هذه الكلمة؛ ولكنهم لا يفهمون معناها الصحيح، هذا الفرق الجوهري هو الآن متحقق في مثل هذه العقيدة، وأعني بها علو الله ﷻ علىٰ مخلوقاته كلها، فهذا يحتاج إلىٰ بيان، ولا يكفي أن يعتقد المسلم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طـه: ٥]. «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[1]، دون أن يعرف أن كلمة «في» التي وردت في هذا الحديث ليست ظرفية، وهي مثل «في» التي وردت في قوله تعالىٰ:

---

(١) **صحيح**: د: (٤٩٤١)، ت: (١٩٢٤)، ش: (٥/ ٢١٤)، هب: (٧/ ٤٧٦)، هق: (٩/ ٤١)، [«س. ص» (٩٢٥)].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [الملك: ١٥، ١٦]؛ لأن «في» هنا بمعنىٰ «علىٰ» والدليل علىٰ ذلك كثير وكثير جداً؛ فمن ذلك: الحديث السابق المتداول بين ألسنة الناس، وهو بمجموع طرقه ـ والحمد لله ـ صحيح، ومعنىٰ قوله ﷺ: «**ارحموا من في الأرض**» لا يعني الحشرات والديدان التي هي في داخل الأرض! وإنَّما مَن علىٰ الأرض؛ من إنسان وحيوان، وهذا مطابق لقوله ﷺ: «... **يرحمكم من في السماء**»، أي: علىٰ السماء، فمثل هذا التفصيل لا بد للمستجيبين لدعوة الحق أن يكونوا علىٰ بينة منه، ويقرّب هذا: حديث الجارية وهي راعية غنم، وهو مشهورٌ معروفٌ وإنَّما أذكر الشاهد منه؛ حينما سألها رسول الله ﷺ: («**أين الله؟**» قالت له: في السماء)[١]. لو سألتَ اليوم كبار شيوخ الأزهر ـ مثلاً ـ أين الله؟ لقالوا لك: في كل مكان! بينما الجارية أجابت بأنه في السماء، وأقرّها النبي ﷺ، لماذا؟؛ لأنها أجابت علىٰ الفطرة، وكانت تعيش بما يمكن أن نسميه بتعبيرنا العصري (بيئة سلفية) لم تتلوث بأي بيئة سيئة ـ بالتعبير العام ـ؛ لأنها تخرّجت كما يقولون اليوم ـ من مدرسة الرسول ﷺ ـ، هذه المدرسة لم تكن خاصة ببعض الرجال ولا ببعض النساء، وإنَّما كانت مشاعة بين الناس وتضم الرجال والنساء وتعم المجتمع بأكمله، ولذلك عرَفتْ راعية الغنم العقيدة؛ لأنها لم تتلوث بأي بيئة سيئة؛ عرفت العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة وهو ما لم يعرفه كثير ممن يدّعي العلم بالكتاب والسنة؛ فلا يعرف أين ربه! مع أنه مذكور في الكتاب والسنة، واليوم أقول: لا يوجد شيء من هذا البيان وهذا الوضوح بين المسلمين بحيث لو سألت ـ لا أقول: راعية غنم ـ بل راعي أُمّة أو جماعة؛ فإنه قد يحار في الجواب كما يُحار الكثيرون اليوم إلا من رحم الله وقليل ما هم!!!

---

(١) **صحيح**: م: (٥٣٧).

• الدعوة إلى العقيدة الصحيحة تحتاج إلى بذل جهد عظيم ومستمر:

فإذاً، فالدعوة إلىٰ التوحيد وتثبيتها في قلوب الناس تقتضي منا ألا نمرّ بالآيات دون تفصيل كما في العهد الأول؛ لأنهم ـ أولاً ـ كانوا يفهمون العبارات العربية بيسر، وثانياً: لأنه لم يكن هناك انحراف وزيغ في العقيدة نَبَعَ من الفلسفة وعلم الكلام، فقام ما يعارض العقيدة السليمة، فأوضاعنا اليوم تختلف تماماً عما كان عليه المسلمون الأوائل، فلا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول، وأقرّب هذا في مثل لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ:

من اليسر المعروف حينئذ أن الصحابي يسمع الحديث من رسول الله ﷺ مباشرة ثم التابعي يسمع الحديث من الصحابي مباشرة... وهكذا نقف عند القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، ونسأل: هل كان هناك شيء اسمه علم الحديث؟ الجواب: لا، أما الآن فهذان العلمان لا بد منهما لطالب العلم، وهما من فروض الكفاية؛ وذلك لكي يتمكن العالم اليوم من معرفة الحديث إن كان صحيحاً أو ضعيفاً، فالأمر لم يعد ميسراً سهلاً كما كان ذلك ميسراً للصحابي، لأن الصحابي كان يتلقىٰ الحديث من الصحابة الذين زُكُّوا بشهادة الله ﷻ لهم... إلخ. فما كان يومئذ ميسوراً ليس ميسوراً اليوم من حيث صفاء العلم وثقة مصادر التلقي، لهذا لا بد من ملاحظة هذا الأمر والاهتمام به كما ينبغي مما يتناسب مع المشاكل المحيطة بنا اليوم بصفتنا مسلمين، والتي لم تحط بالمسلمين الأولين من حيث التلوث العقدي الذي سبّب إشكالات وأوجد شبهات من أهل البدع المنحرفين عن العقيدة الصحيحة ومنهج الحق تحت مسميات كثيرة، ومنها الدعوة إلى الكتاب والسنة فقط! كما يزعم ذلك، ويدّعيه المنتسبون إلىٰ علم الكلام.

ويحسن بنا هنا أن نذكر بعض ما جاء في الأحاديث الصحيحة في ذلك ومنها: أن النبي ﷺ لما ذكر الغرباء في بعض تلك الأحاديث، قال:

«**للواحد منهم خمسون من الأجر**»، قالوا: منا يا رسول الله أو منهم؟ قال: «**منكم**»[(١)]. وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول، ولا شك أن غربة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خالٍ من كل شائبة، بين كفر بواح وإيمان صادق، أما الآن فالمشكلة بين المسلمين أنفسهم، فأكثرهم توحيده مليء بالشوائب، ويوجه العبادات إلىٰ غير الله ويدعي الإيمان؛ هذه القضية ينبغي الانتباه لها أولاً، وثانياً: لا ينبغي أن يقول بعض الناس: إننا لا بد لنا من الانتقال إلىٰ مرحلة أخرىٰ غير مرحلة التوحيد وهي العمل السياسي!! لأن الإسلام دعوته دعوة حق أولاً، فلا ينبغي أن نقول: نحن عرب والقرآن نزل بلغتنا، مع تذكيرنا أن العرب اليوم عكس الأعاجم الذين استعربوا، بسبب بعدهم عن لغتهم، وهذا ما أبعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، فهب أننا ـ نحن العرب ـ قد فهمنا الإسلام فهماً صحيحاً، فليس من الواجب علينا بأن نعمل عملاً سياسياً، ونحرك الناس تحريكاً سياسياً، ونشغلهم بالسياسة عما يجب عليهم الاشتغال به، في فهم الإسلام: في العقيدة، والعبادة، والمعاملة والسلوك!! فأنا لا أعتقد أن هناك شعباً يُعد بالملايين قد فهم الإسلام فهماً صحيحاً ـ أعني: العقيدة، والعبادة، والسلوك ـ، ورُبّي عليها.

• أساس التغيير هو منهج التصفية والتربية:

ولذلك نحن ندندن أبداً ونركز دائماً حول النقطتين الأساسيتين اللتين هما قاعدة التغيير الحقّ، وهما: التصفية والتربية، فلا بد من الأمرين معاً؛ التصفية والتربية، فإن كان هناك نوع من التصفية في بلد فهو في العقيدة، وهذا ـ بحد ذاته ـ يعتبر عملاً كبيراً وعظيماً أن يحدث في جزء من المجتمع الإسلامي الكبير ـ أعني: شعباً من الشعوب ـ، أما العبادة فتحتاج إلىٰ أن تتخلص من المذهبية الضيقة، والعمل علىٰ الرجوع إلىٰ

---

(١) **صحيح**: د: (٤٣٤١)، هـ: (٤٠١٤)، طب: (١١٧/١٧)، طس: (٢٧٢/٣)، بز: (١٧٨/٥)، [«س.ص» (٤٩٤)].

السنة الصحيحة، فقد يكون هناك علماء أجلَّاء فهموا الإِسلام فهماً صحيحاً من كل الجوانب، لكني لا أعتقد أن فرداً أو اثنين، أو ثلاثة، أو عشرة، أو عشرين يمكنهم أن يقوموا بواجب التصفية؛ تصفية الإِسلام من كل ما دخل فيه؛ سواء في العقيدة، أو العبادة، أو السلوك، إنه لا يستطيع أن ينهض بهذا الواجب أفراد قليلون يقومون بتصفية ما علق به من كل دخيل ويُرَبُّوا من حولهم تربية صحيحة سليمة، فالتصفية والتربية الآن مفقودتان.

ولذلك سيكون للتحرك السياسي في أي مجتمع إسلامي لا يحكم بالشرع آثارٌ سيئةٌ قبل تحقيق هاتين القضيتين الهامتين، أما النصيحة فهي تحل محل التحرك السياسي في أي بلد يحكم بالشرع من خلال المشورة أو من خلال إبدائها بالتي هي أحسن بالضوابط الشرعية بعيداً عن لغة الإِلزام أو التشهير، فالبلاغ يقيم الحجة ويبرأ الذمَّة.

ومن النصح أيضاً، أن نشغل الناس فيما ينفعهم؛ بتصحيح العقيدة، والعبادة، والسلوك، والمعاملات.

وقد يظن بعضهم أننا نريد تحقيق التربية والتصفية في المجتمع الإِسلامي كله! هذا ما لا نفكر فيه ولا نحلم به في المنام؛ لأن هذا تحقيقه مستحيل؛ ولأن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨]. وهؤلاء لا يتحقق فيهم قول ربنا تعالىٰ هذا إلا إذا فهموا الإِسلام فهماً صحيحاً وربُّوا أنفسهم وأهليهم ومن كان حولهم علىٰ هذا الإِسلام الصحيح.

• من يشتغل بالعمل السياسي؟ ومتى؟

فالاشتغال الآن بالعمل السياسي مشغلة! مع أننا لا ننكره، إلا أننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آن واحد، نبدأ بالعقيدة، ونثني بالعبادة، ثم بالسلوك؛ تصحيحاً وتربية، ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي؛ لأن السياسة معناها: إدارة شؤون

الأمة، من الذي يدير شؤون الأمة؟ ليس زيداً، وبكراً، وعمراً؛ ممن يؤسس حزباً أو يترأس حركةً، أو يوجّه جماعة!! هذا الأمر خاص بولي الأمر؛ الذي يبايع من قِبَل المسلمين، هذا هو الذي يجب عليه معرفة سياسة الواقع وإدارته، فإذا كان المسلمون غير متحدين ـ كحالنا اليوم ـ فيتولىٰ ذلك كل ولي أمر حسب حدود سلطاته، أما أن نشغل أنفسنا في الأمور لو افترضنا أننا عرفناها حق المعرفة فلا تنفعنا معرفتنا هذه؛ لأننا لا نتمكن من إدارتها، ولأننا لا نملك القرار لإدارة الأمة، وهذا وحده عبث لا طائل تحته، ولنضرب مثلاً: الحروب القائمة ضد المسلمين في كثير من بلاد الإِسلام هل يفيد أن نشعل حماسة المسلمين تجاهها ونحن لا نملك الجهاد الواجب إدارته من إمام مسؤول عُقدت له البيعة؟!. لا فائدة من هذا العمل، ولا نقول: إنه ليس بواجب! ولكننا نقول: إنه أمر سابق لأوانه، ولذلك فعلينا أن نشغل أنفسنا وأن نشغل غيرنا ممن ندعوهم إلىٰ دعوتنا؛ بتفهيمهم الإِسلام الصحيح، وتربيتهم تربية صحيحة، أما أن نشغلهم بأمور حماسية وعاطفية، فذلك مما سيصرفهم عن التمكن في فهم الدعوة التي يجب أن يقوم بها كل مكلف من المسلمين؛ كتصحيح العقيدة، وتصحيح العبادة، وتصحيح السلوك، وهي من الفروض العينية التي لا يُعذر المقصر فيها، وأما الأمور الأخرىٰ فبعضها يكون من الأمور الكفائية، كمثل ما يسمىٰ اليوم بـ «فقه الواقع»، والاشتغال بالعمل السياسي الذي هو من مسؤولية من لهم الحل والعقد؛ الذين بإمكانهم أن يستفيدوا من ذلك عملياً، أما أن يعرفه بعض الأفراد الذين ليس بأيديهم حل ولا عقد ويشغلوا جمهور الناس بالمهم عن الأهم، فذلك مما صرفهم عن المعرفة الصحيحة! وهذا ما نلمسه لمس اليد في كثير من مناهج الأحزاب والجماعات الإسلامية اليوم، حيث نعرف أن بعضهم انصرف عن تعليم الشباب المسلم المتكتل والملتف حول هؤلاء الدعاة من أجل أن يتعلم ويفهم العقيدة الصحيحة، والعبادة الصحيحة والسلوك الصحيح، وإذا ببعض هؤلاء الدعاة ينشغلون بالعمل السياسي ومحاولة الدخول في

البرلمانات التي تحكم بغير ما أنزل الله! فصرفهم هذا عن الأهم واشتغلوا بما ليس مهماً في هذه الظروف القائمة الآن.

أما ما جاء في السؤال عن كيفية براءة ذمة المسلم أو مساهمته في تغيير هذا الواقع الأليم؛ فنقول: كلّ من المسلمين بحسبه، العالم منهم يجب عليه ما لا يجب علىٰ غير العالم، وكما أذكر في مثل هذه المناسبة: إن الله ﷻ قد أكمل النعمة بكتابه، وجعله دستوراً للمؤمنين به، من ذلك أن الله تعالىٰ قال: ﴿. . . فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. فالله سبحانه وتعالىٰ قد جعل المجتمع الإسلامي قسمين: عالماً، وغير عالم، وأوجب علىٰ كل منهما ما لم يوجبه علىٰ الآخر، فعلىٰ الذين ليسوا بعلماء أن يسألوا أهل العلم، وعلىٰ العلماء أن يجيبوهم عما سُئلوا عنه، فالواجبات ـ من هذا المنطلق ـ تختلف باختلاف الأشخاص، فالعالم اليوم عليه أن يدعوَ إلىٰ دعوة الحق في حدود الاستطاعة، وغيرُ العالم عليه أن يسأل عما يهمه بحق نفسه أو من كان راعياً له؛ كزوجة أو ولد أو نحوه، فإذا قام المسلم ـ من كلا الفريقين ـ بما يستطيع؛ فقد نجا؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

نحن ـ مع الأسف ـ نعيش في مأساة أَلَمَّت بالمسلمين، لا يعرف التاريخ لها مثيلاً، وهو تداعي الكفار علىٰ المسلمين؛ كما أخبر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مثل حديثه المعروف والصحيح: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[1].

---

(١) **صحيح**: د: (٤٢٩٧)، حم: (٥/ ٢٧٨)، لس: (٩٩٢)، هب: (٧/ ٢٩٧)، حل: (١/ ١٨٢)، [«س.ص» (٩٥٨)].

فواجب العلماء إذاً، أن يجاهدوا في التصفية والتربية، وذلك بتعليم المسلمين التوحيد الصحيح وتصحيحَ العقائد، والعبادات، والسلوك؛ كلّ حسب طاقته وفي البلاد التي يعيش فيها؛ لأنهم لا يستطيعون القيام بجهاد اليهود في صف واحد ما داموا كحالنا اليوم؛ متفرقين؛ لا يجمعهم بلد واحد ولا صف واحد، فإنهم لا يستطيعون القيام بمثل هذا الجهاد لصد الأعداء الذين تداعوا عليهم، ولكن عليهم أن يتخذوا كل وسيلة شرعية بإمكانهم أن يتخذوها؛ لأننا لا نملك القدرة المادية، ولو استطعنا؛ فإننا لا نستطيع أن نتحرك فعلاً؛ لأن هناك حكومات وقيادات وحكَّاماً في كثير من بلاد المسلمين يتبنون سياسات لا تتفق مع السياسة الشرعية ـ مع الأسف الشديد ـ، لكننا نستطيع أن نحقق ـ بإذن الله تعالىٰ ـ هذين الأمرين العظيمين اللذين ذكرتهما آنفاً وهما: التصفية والتربية، وحينما يقوم الدعاة المسلمون بهذا الواجب المهم جداً في بلد لا يتبنىٰ سياسة لا تتفق مع السياسة الشرعية، ويجتمعون علىٰ هذا الأساس، فأنا أعتقد ـ يومئذ ـ أنه سيصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥].

• الواجب على كل مسلم أن يطبق حكم الله في شؤون حياته كلها فيما يستطيعه:

إذاً، واجب كل مسلم أن يعمل ما باستطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وليس هناك تلازم بين إقامة التوحيد الصحيح والعبادة الصحيحة، وبين إقامة الدولة الإسلامية في البلاد التي لا تحكم بما أنزل الله؛ لأن أول ما يُحكم بما أنزل الله ـ فيه ـ هو إقامة التوحيد، وهناك ـ بلا شك ـ أمورٌ خاصة وقعت في بعض العصور وهي أن تكون العزلة خيراً من المخالطة، فيعتزل المسلم في شِعبٍ من الشِّعَاب ويعبد ربه، ويكف من شر الناس إليه، وشره إليهم، هذا الأمر قد جاءت فيه أحاديث كثيرة جداً وإن كان الأصل كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»(١). فالدولة المسلمة ـ بلا شك ـ وسيلة لإقامة حكم الله في الأرض، وليست غاية بحد ذاتها.

ومن عجائب بعض الدعاة أنهم يهتمون بما لا يستطيعون القيام به من الأمور، ويدعون ما هو واجب عليهم وميسور!! وذلك بمجاهدة أنفسهم كما قال ذلك الداعية المسلم؛ الذي أوصىٰ أتباعه بقوله: (أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم لكم في أرضكم). ومع ذلك فنحن نجد كثيراً من أتباعه يخالفون ذلك، جاعلين جلّ دعوتهم إلىٰ إفراد الله ﷻ بالحكم، ويعبرون عن ذلك بالعبارة المعروفة: «الحاكمية لله». ولا شك بأن الحكم لله وحده ولا شريك له في ذلك ولا في غيره، ولكنهم؛ منهم من يقلد مذهباً من المذاهب الأربعة اليوم، ثم يقول ـ عندما تأتيه السنة الصريحة الصحيحة ـ: هذا خلاف مذهبي! فأين الحكم بما أنزل الله في اتباع السنة؟!

ومنهم من تجده يعبد الله علىٰ الطرق الصوفية! فأين الحكم بما أنزل الله بالتوحيد؟! فهم يطالبون غيرهم بما لا يطالبون به أنفسهم، إن من السهل جداً أن تطبق الحكم بما أنزل الله في عقيدتك، في عبادتك، في سلوكك، في دارك، في تربية أبنائك، في بيعك، في شرائك، بينما من الصعب جداً، أن تجبر أو تزيل ذلك الحاكم الذي يحكم في كثير من أحكامه بغير ما أنزل الله، فلماذا تترك الميسر إلىٰ المعسر؟!.

هذا يدلُّ علىٰ أحد شيئين: إمَّا أن يكون هناك سوء تربية، وسوء توجيه. وإما أن يكون هناك سوء عقيدة تدفعهم وتصرفهم إلىٰ الاهتمام بما لا يستطيعون تحقيقه عن الاهتمام بما هو داخل في استطاعتهم، فأما اليوم فلا أرىٰ إلا الاشتغال كلّ الاشتغال بالتصفية والتربية ودعوة الناس إلىٰ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٠٧)، هـ: (٤٠٣٢)، حم: (٥/ ٣٦٥)، خد: (٣٨٨)، لس: (١٨٧٦)، حل: (٧/ ٣٦٥)، [«س.ص» (٩٣٩)].

صحيح العقيدة والعبادة؛ كلٌّ في حدود استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والحمد لله رب العالمين.

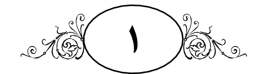
وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلى آله وسلم.

❁ ❁ ❁

الرموز المستخدمة في التخريج

خ: صحيح البخاري.
م: صحيح مسلم.
د: سنن أبي داود.
ت: سنن الترمذي.
ن: سنن النسائي.
هـ: سنن ابن ماجه.
حم: مسند أحمد.
حب: صحيح ابن حبان.
خز: صحيح ابن خزيمة.
طب: المعجم الكبير للطبراني.
طس: المعجم الأوسط للطبراني.
طص: المعجم الصغير للطبراني.
ش: مصنف ابن أبي شيبة.
عب: مصنف عبد الرزّاق.
قط: سنن الدارقطني.
مي: سنن الدارمي.
ك: المستدرك على الصحيحين.
فع: مسند الشافعي.
ع: مسند أبي يعلى.
لس: مسند الطيالسي.

خد: الأدب المفرد للبخاري.
هب: شعب الإيمان للبيهقي.
هق: السنن الكبرى للبيهقي.
حل: حلية الأولياء لأبي نعيم.
(ص.ت): صحيح سنن الترمذي.
(ص.د): صحيح سنن أبي داود.
(ص.ن): صحيح سنن النسائي.
(ص.هـ): صحيح سنن ابن ماجه.
(ص.خد): صحيح الأدب المفرد.
(ص.غ.هـ): صحيح الترغيب والترهيب.
(ض.غ.هـ): ضعيف الترغيب والترهيب.
(س.ص): السلسلة الصحيحة.
(ص.ج): صحيح الجامع الصغير.
(ض.ج): ضعيف الجامع.
المشكاة: مشكاة المصابيح.
إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد.



أهمية العقيدة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: «فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار»[(١)].

---

(١) **صحيح**: د: (٢١١٨)، ت: (١١٠٥)، ن: (١٤٠٤)، هـ: (١٨٩٢)، حم: (١/ ٣٩٢)، مي: (٢٢٠٢)، ك: (٢/ ١٩٩)، لس: (٣٣٨)، طب: (١٠/ ٩٨)، وللشيخ الألباني رحمه الله رسالة قيمة بعنوان «خطبة الحاجة».

أيها الإخوة! موعدنا اليوم مع بداية سلسلةٍ جديدة من الخطب، وهي بعنوان:

العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون

والذي دفعني للحديث في العقيدة **أمران اثنان:**

الأمر الأول: حُبي لكم في الله، وحرصي أن أُقدِّم لكم العقيدة الإسلامية الصحيحة في صورة ميسّرة؛ لعلمي أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة بالعقيدة الصحيحة، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [غافر: ٤٤].

الأمر الثاني: علمي بكم بعد عشر سنوات في هذا المسجد أنكم ـ يا روّاد هذا المسجد ـ على درجة عالية من الفهم والعقل، ولا أزكيكم على الله، وهو حسيبكم.

إخواني: الكلام في العقيدة ربما يطول بنا؛ فإنْ وُفّقت في تقديمها فمن الله وحده، والفضل كله لله، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [هود: ٨٨]، وإن كانت الأخرى ـ والعياذ بالله ـ؛ فأستغفر الله وحده، وأتوب إليه قبل أن ألقاه، واللّهَ أسأل أن يرزقني حسن البيان ويرزقكم حسن الفهم. ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

أمّة التوحيد: العقيدة في الإسلام ليست تَرَفاً في التفكير، ولا نافلةً في القولِ، ولا حاشيةً على هامش الحياة، ولا مظهراً من مظاهر الضعف أو الخوف...

وإنّما العقيدة هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وحاجةٌ مُلِحَّةٌ للنفس والروح؛ بحيثُ إذا فُقدت العقيدة تركتْ فراغاً في النفس لا يُملأ، وجوعة في الروح لا تسد، وخراباً في الضمير لا يعمر، نعم؛ واللّهِ!...

إخوة الإسلام! **ما هي العقيدة؟**

العقيدة هي ما يَدين الإنسانُ به ربه ـ جلَّ وعلا ـ، وما يعقد قلبه عليه،

بحيث تتغلغل في أعماق النفس، فتصعب زعزعتها أو دخول الشك فيها، فالجبال تتحرك من أماكنها والعقيدة ثابتة في قلب المؤمن لا تتحرك.

وقالوا: العقيدة: هي الأمور التي يجب أن يصدِّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، ولا يمازجها ريبٌ ولا يخالطها شكٌّ.

العقيدة ليست كلاماً يقال! وإنما هي شيء يوضع في القلب، فتعقد عليه قلبك، لتلقى الله عليه.

إخوة الإسلام! من أين نأخذ عقيدتنا؟

هل نأخذها من كتب الفلاسفة؟! من الشرق والغرب؟! لا... عبر شاشات المفسديون؟! بقراءة الجريدة اليومية؟! لا لا لا... بل نأخذ عقيدتنا من كتاب ربنا الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]. ومن سنّة نبينا ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]. ولذلك قال ﷺ: «**تَرَكْتُ فيكمْ شيئين: لَنْ تَضلُّوا بعدهُما: كِتابَ اللّهِ، وسُنّتي، ولنْ يتفرَّقا حتَّى يرِدا عليَّ الحوض**»[1].

إذن: ما هذا الضلال الذي تعيشه الأمة!؟ وما سببُ هذا الانحطاط الذي تعيشه الأمة!؟

السبب أنهم تركوا كتاب ربهم وسنّة نبيهم، فضلُّوا وأضلُّوا، وإن أرادوا العزة والسيادة فعليهم أن يعودوا إلى كتاب ربهم وسنّة نبيهم.

إخوة الإسلام! كيف نفهم عقيدتنا من الكتاب والسنّة؟.

نفهم عقيدتنا من الكتاب والسنّة كما فهمها الرعيل الأول ـ رجال الإسلام ـ الذين غيّروا مسار التاريخ، أتعرفونهم؟ إنهم أصحاب محمد ﷺ، وما الضَّيْرُ في ذلك: أن نفهم عقيدتنا كما فهموا؟! والله ﷻ يقول عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ويقول ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)].

إخوة الإسلام! وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن، ألا وهو: لماذا العقيدة أولاً؟ لماذا نبدأ بالعقيدة أولاً؟ لماذا لا نبدأ أولاً بالتجميع، ثم بالجهاد، ثم نتعلمُ العقيدة ثانياً؟!.

افهموا وعُوا عني ـ يا عباد الله ـ: لماذا العقيدة أولاً؟ سؤال يتكوّن من ثلاث كلمات، نوجّههُ إلى كل مسلم ومسلمة في بقاع الدنيا، والإجابة عن هذا السؤال نقدمها في هذه الجمعة، وفي الجُمع القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية؛ لعلّنا نستيقظ من نومنا العميق، ومن رقدتنا التي طالت، فننتبه من غفلتنا قبل فوات الأوان.

١ ـ لماذا العقيدة أولاً؟

لأنها هي أصل الدين وأساس الملة، فلو قال قائل: أنا أستطيع أن أبني الطابق الثاني قبل الأول، فهل يُعقل هذا؟! هل يخرج هذا الكلام من عاقل؟! أو قال قائل: أنا أستطيع أن أبني داراً على أمواج البحر! فهل يُعْقل هذا؟! هذا خيال! وكفانا خيالاً، هذا استعجال! وكفانا استعجالاً؛ فقد ضاعت الأمة وضاعت الجهود بسبب العواطف الهدامة التي لا تتقيّدُ بالكتاب والسنّة.

٢ ـ العقيدة أولاً:

لأنها الأساس، فالأساس إذا كان سليماً صحيحاً قوياً؛ فالبناء الذي يُبنى عليه يكون قوياً ثابتاً لا يتزحزحُ؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، طس: (٤٨٨٦)، طص: (٧٢٤)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

[إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، الشجرة ثابتة، فرعها في السماء، تؤتي ثَمَرَها كل حين بإذن ربها؛ لأنها ثابتة.

أما إذا كان الأساس هشًّا ضعيفاً، فسرعان ما يزول؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم: ٢٦].

إخوة الإسلام! لذلك ما من أمة إلا خلا فيها نذير يَبني ويُقَعِّدُ هذا الأساس؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

فهذا نبي الله نوح يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهذا نبي الله هود يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

وهذا نبي الله صالح يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٦١].

ورسولنا ﷺ مَكَثَ ثلاثة عشر عاماً في مكة، يؤسس هذا الأساس، ـ أتعرفون ذلك؟! ـ يقول: «**يا قوم قولوا: لا إله إلا الله**»، حتى قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

وقد اهتم الرسول ﷺ بهذا الأساس اهتماماً بالغاً حتى لقي ربه، قال رجلٌ مرة بين يَدَيه ﷺ: ما شاء اللّهُ وشئتَ؛ فيقول له ﷺ غَضِباً: «**أجعلتني لله نداً! قل: ما شاء الله وحده**»[١]، نعم؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) **صحيح**: خد: (٧٨٣)، حل: (٤/ ٩٩)، حم: (١/ ٢١٤)، طب: (١٢/ ٢٤٤)، ش: (٥/ ٣٤٠)، [«س.ص» (١٣٩)].

ويقول ﷺ: «**مَنْ حلفَ بغير الله فقد أشرك**»[١]. ويقول ﷺ مهتماً بهذا الأساس: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢].

واهتم رسولنا ﷺ بهذا الأساس حتى عند الأطفال؛ فيقول ﷺ لابن عباس ـ وهو غلامٌ ـ: «**يا غلامُ! إني أُعلِّمكَ كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدهُ تجاهكَ، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعن باللّهِ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروكَ بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٣]؛ أي: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

***إخوة الإسلام!* هل نحن أفضل من الأنبياء؟**

فقد بدأوا بالعقيدة، التي هي الأساس.

٣ ـ العقيدة أولاً:

لأن الأعمال والأقوال لن تقبل عند الله إلا بالعقيدة الصحيحة، فإذا صدرت الأقوال والأعمال والعبادات من صاحب عقيدة صحيحة قُبِلَتْ عند الله، ووجد ثوابها عند الله يوم القيامة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾**﴾ [النساء: ١٢٤].

أما إذا صدرت الأعمال والأقوال من صاحب عقيدة فاسدة؛ فهي

---

(١) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، ك: (٤/ ٣٣٠)، [«ص.ج» (٦٢٠٤)].

(٢) **صحيح**: ك: (١/ ٤٩)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٣)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

مردودة عليه، ولا يجد لها ثواباً عند الله يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٤ ـ العقيدة أولاً:

لأنها ضرورية للإنسان أعظم من ضرورة الماء والهواء، فإن استطاع الإنسان أن يعيش بدون الماء والهواء؛ قلنا: إنه يستطيع أن يعيش بدون العقيدة؛ فالإنسان بدون العقيدة ضائع، تائه، معذب؛ يفقدُ ذاته ووجوده...

وبالمثال يتضح البيان: فهذا سائلٌ بدون عقيدة، ضائع تائه معذب، وهذا شعره بين أيديكم؛ لتنظروا ماذا يكون الإنسان بدون عقيدة؟ لا شيء...

يقول الشاعر الضائع المعذَّب:

جئتُ، لا أعلمُ من أين ولكنّي أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُدَّامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لستُ أدري!

يقول الشاعر:

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجود؟
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود؟

هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مَقود؟
أتمنى أنني أدري...
ولكنني لست أدري!

يقول الشاعر:

أتراني قبلما أصبحتُ إنساناً سوياً
كنت محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شَيَّا
ألهذا اللغز حَلٌّ؟ أم سيبقى أبدياً
لست أدري... ولماذا لست أدري؟
لستُ أدري!

يقول الشاعر:

أَوَراءَ القبر بعد الموتِ بعثٌ ونشور؟
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ فثبور؟
أكلامُ الناسِ صدقٌ أم كلامُ الناسِ زور؟
أصحيحٌ أن بعضَ الناسِ يدري؟
لستُ أدري!

نعم؛ بدون العقيدة لا يدري المرءُ من الذي خلقه، ولعل يقول قائل: وهل على وجه الأرض من لا يعرف هذا؟! نقول: نعم؛ أما سمعتم من شبابنا الذين تربوا في بلاد الإسلام وبعدما ذهبوا إلى بلاد الإلحاد مُسخوا، فرجعوا إلى بلادهم لا يعترفون بوجود الله! لا يعترفون بالذي أوجدهم! ولا يعترف الواحد منهم بأمه! بل يستحلُّ أمَّهُ!! ويستحل أخته!! وليس عنده حلال ولا حرام! فيعيش ضائعاً تائهاً!!!

هكذا تربوا! هكذا مُسخوا!! أما بالعقيدة الصحيحة؛ فالإنسانُ يدري: يدري من الذي خلقه، ولماذا خلقه، ويدري ماذا سيكون بعد هذه الدنيا، ويدري ماذا سيكون يوم القيامة، ويدري أن الناس فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير.

إخوة الإسلام! أفمن يدري كمَن لا يدري؟!!!

قـال ـ تـعـالـى ـ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [تبارك: ٢٢].

سؤال رباني نوجهه إلى كل مسلم:

الذي يمشي مكبّاً على وجهه هو صاحب العقيدة الفاسدة، والذي يمشي سوياً على صراط مستقيم هو صاحب العقيدة الصحيحة، أفيكون الأول أهدى من الثاني؟ كلا، والله!! إذن؛ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

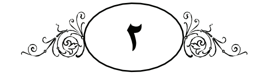
قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

٥ ـ العقيدة أولاً:

لأنها هي التي تربي الرجال، ونؤجّل هذا البند إلى الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ؛ لتعلموا أن الرجال لا يثبتون إلا بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها الرعيل الأول، فبالعقيدة ينجحون في الامتحان، وبالعقيدة يثبتون عند الابتلاء، وبالعقيدة ينتصرون على الأعداء.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





لماذا العقيدة أولاً؟

عباد الله!

في الجمعة الماضية بدأنا الحديثَ عن العقيدة، وفَرَضَ سؤالٌ نفسَه علينا، وهو: لماذا العقيدة أولاً...؟ وكان جوابنا عليه أن قلنا: لأنها هي أساس الدين، والأساس إن كان قوياً فالبناء يكون قوياً ثابتاً إلى يوم القيامة، وإن كان ضعيفاً هشّاً فسرعان ما يزول، وقلنا: العقيدة أولاً؛ لأن الأقوال والأعمال التي يتقرّب بها العبد إلى ربه ـ جلَّ وعلا ـ لا تقبل إلا بالعقيدة الصحيحة.

قال ـ تعالى ـ عن أصحاب العقيدة الصحيحة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ عن أصحاب العقيدة الفاسدة: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقلنا ـ أيضاً ـ: العقيدة أولاً؛ لأنها ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، فكما لا يمكنه أن يعيش بدون الماء والهواء؛ فكذلك لا يمكنه أن يعيش بدون العقيدة الصحيحة! ولو عاش بعقيدة فاسدة فهو معذب ضائع تائه. ينتقل من كاهن إلى كاهن، ومن عرّاف إلى عرّاف، ومن مشعوذ إلى مشعوذ!!... يتحطم في الدنيا، يتمنى الموت والفناء!!.

إخوة الإسلام! وفي هذا اليوم نُكمل الإجابة عن هذا السؤال (لماذا العقيدة أولاً؟)، فنقول: لأنها هي التي تربّي الرجال، والرجال الذين تربوا على العقيدة الصحيحة هم الذين يثبتون عند الامتحان والابتلاء، والإنسان في هذه الدنيا خُلِقَ للامتحان والابتلاء. إياك أن تظن ـ يا عبد الله ـ أنك

خلقت في هذه الدنيا لتلعب وتلهو!! إنما خُلِقت للامتحان والابتلاء؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢]، والابتلاءُ سنّة من سنن الله في عباده، ولا يكون بالضرَّاء فحسب؛ بل يكون بالسرَّاء والضرَّاء، والشر والخير، والحسنات والسيئات، والفقر والغنى، والمرض والصحة، فأنت في هذه الدنيا تتقلب دائماً في ابتلاء بعد ابتلاء، وامتحان بعد امتحان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: (أي: نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى؛ لننظر من يكفر ومن يشكر، ومن يصبر ومن يقنط).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨].

والحسنات: هي كل ما تحبه النفس من حظوظ الدنيا الفانية، والسيئات: هي ما تكرهُهُ النفس من حظوظ الدنيا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧].

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا ۖ﴾: إنما هو الابتلاء بالسراء والضراء، بالحسنات والسيئات، بالصحة والمرض. والابتلاء ـ يا عباد الله ـ لا بد منه، ولا ينجو من الابتلاء أحد! إنه سنّةُ الله في خلقه؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليعلم الصادق من الكاذب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

عباد الله! من الذي ينجح في هذا الامتحان؟ إنه صاحب العقيدة الصحيحة فقط، ولا ينجح أحد سواه؛ قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن! إن**

أمره كُلَّهُ له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر، فكان خيراً له»[١].

صاحب العقيدة الصحيحة إذا أصابته سرّاءُ شَكَرَ؛ فبعقيدته الصحيحة يعلم أنها من الله؛ كما أخبر ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ...﴾ [النحل: ٥٣] فَشكَرَ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، وإذا أصابته ضراءُ صبر؛ لأنه يعلم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

أمة الإسلام! وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف لهذا الضر إلا هو ـ سبحانه في علاه ـ، إذن إذا نزلت بك نعمة فاشكر؛ لتنجح في الامتحان، وإذا نزلت بك مصيبة فاصبر؛ لتنجح في الامتحان.

لأجل ذلك ـ يا عباد الله ـ: ربي رسولنا الكريم ﷺ أصحابه وأمته على العقيدة الصحيحة، لماذا؟ لأن الإنسان بالعقيدة يثبت عند الابتلاء، فيفوز بالرضوان، وينتصر على الأعداء، يقول خبَّاب بن الأَرَتّ رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسِّدٌ بُردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟! فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحْفَرُ له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضعُ على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه! والله ليُتِمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرمَوت لا يخاف إلا اللّهَ والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون!»**[٢].

الجبال تتزحزح والعقيدة في قلبه ثابتة لا تتزحزح؛ يقول ﷺ مربياً لخباب بن الأَرَتِّ ولأصحابه وللأمةِ بأسرها: **«ما يصده ذلك عن دينه، ولكنكم تستعجلون»**.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

يا أمة الإسلام: ولكنكم تستعجلون! يا شباب الإسلام! ولكنكم تستعجلون! كفانا عاطفة! كفانا تهوُّراً! لستم أكرم من خبَّاب على رسول الله! فلم يقل له ﷺ: سأصنع لك حزباً، أو: سأصنع لك جماعة، وسأنتقم من الكفار الذين يعذبونك!! لا؛ ربَّاه على العقيدة وربّى الأمة على العقيدة، وبيّن لهم أن النصر من عند الله، ولا يكون أبداً إلا بالعقيدة الصحيحة.

«ولكنكم تستعجلون»! فبالاستعجال أُكِلَت الثمار وهي غيرُ ناضجة، وبالاستعجال امتلأت السجون بشباب المسلمين! إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على جهلٍ في التفكير، وعلى عاطفة غير مقيدة بالكتاب ولا بالسنّة! هذا بلال الذي تربَّى على العقيدة الصحيحة، يُلقى على وجهه في الصحراء في جوّ مكة الذي تعرفونه ويوضع على ظهره ويسحب، وتوضع الصخور الثقيلة على صدره، ويُطْلَبُ منه أن يتزحزحَ وأن يرتد عن دين محمدٍ فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ. وهذا عمار بن ياسر وأبوه وأمه، وقد عذّبوا في الله عذاباً شديداً، ومع ذلك يمرّ المصطفى ﷺ الرحيم بهم ويراهم وهم يعذبون، فيقول: «**صبراً يا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[1]، لَمَ قال لهم ذلك؟! لأنه ﷺ يعلم أن الابتلاء يصنع الرجال، وأن الرجال لا يثبتون إلا بالعقيدة الصحيحة.

إخوة الإسلام! تعالوا بنا نشهد مشهداً واحداً لِرجال الإسلام؛ الرعيل الأول الذين تربوا على العقيدة الصحيحة لنعلم جميعاً ـ يا أمة الإسلام ـ أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

في يوم الأحزاب، وما أدراك ما يوم الأحزاب! يوم شديد! يوم عصيب! زاغت فيه الأبصار، وبلغت فيه القلوب الحناجر! وزلزلوا زلزالاً شديداً حتى قال الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟!.

---

(١) **حسن صحيح**: ك: (٣/ ٤٣٢)، طب: (٢٤/ ٣٠٣)، هب: (٢/ ٢٣٩)، [«تخريج أحاديث فقه السيرة»].

يقول الله ﷻ في وصف هذا اليوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١١].

فتعالَوْا بنا ـ يا عباد الله ـ لننظر إلى أصحاب العقيدة الصحيحة ماذا قالوا، وكيف كانوا في هذا الامتحان!.

يقول ربنا في وصفهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢]، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، لِمَ؟ لأنهم يعتقدون أنهم ملاقوا الله؛ لأنهم يعتقدون أن النصر من عند الله؛ لأنهم يعتقدون أن الغلبة ليست بالكثرة، إنما الغلبة بإذن الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣].

انظروا ـ يا عباد الله ـ إلى الفريق الآخر إلى أصحاب العقيدة الفاسدة في يوم الأحزاب، فقد سقطوا من اللحظة الأولى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التوبة: ٤٩] ماذا قال هؤلاء؟ يقول رب العزة في وصف هؤلاء: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ۝١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ۝١٣﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣]، عقيدة فاسدة؛ جعلتهم يسقطون في الامتحان من أول وهلة، وفي هؤلاء يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [العنكبوت: ١٠].

مرضىٰ القلوب، يدَّعون الإيمان وما هم بمؤمنين! يقولون بأفواههم

ما ليس في قلوبهم! ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩].

قال ـ تعالى ـ في أمثال هؤلاء: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج: ١١].

عباد الله! انظروا إلى نتيجة المعركة يوم الأحزاب! لمن كان النصر؟ لأصحاب العقيدة الصحيحة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥] هل انتصروا بقوة السلاح؟! هل انتصروا بقوة العضلات؟! هل انتصروا بالكثرة؟! إنها العقيدة الصحيحة التي اجتمعوا وتربَّوا عليها.

عباد الله! المؤمن في هذه الدنيا مُعَرَّضٌ دائماً لنزول المصائب على رأسه في كل لحظة، وليس ذلك بغضاً من الله له، ولا كراهية من الله له! إنما هي محبة الله لعبده المؤمن؛ قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّلَ لهُ العُقُوبةَ في الدنيا، وإذا أراد اللّهُ بعبدِهِ الشر أمسك عنهُ بذنبهِ حتى يُوافي به يوم القيامة**»(١).

ويقول ﷺ: «**إن عِظَمَ الجَزاءِ مع عِظَمَ البلاء، وإن الله ـ تعالى ـ إذا أحب قوماً ابتلاهُمْ؛ فمن رضي فلهُ الرضا، ومن سخط فلهُ السخط**»(٢).

ويقول ﷺ: «**ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة في نفسهِ وولدهِ ومالهِ حتى يلقى الله ـ تعالى ـ وما عليه خطيئة**»(٣).

فيا من لا يصبرون على البلاء! ويا من يركضون إلى المشعوذين! أنسيتم المرأة التي كانت تُصرع، فجاءت إلى النبي ﷺ، (قالت: إني أُصرعُ وإني أتكشَّفُ، فادعُ الله ـ تعالى ـ لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٩٦)، [«ص.ج» (٣٠٨)].
(٢) **حسن**: ت: (٢٣٩٦)، هـ: (٤٠٣١)، [«ص.ج» (٢١١٠)].
(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٩٩)، [«ص.ج» (٥٨١٥)].

الجنةُ، وإن شئتِ دعوتُ الله ـ تعالى ـ أن يُعافيك»، قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشّفُ، فادع الله أن لا أتكشّف، فدعا لها)(١).

أمة الإسلام! الذي يصرع يقول: إني مسحور! الفتاة التي لا يأتيها زوج تقول: إني مسحورة! والشاب الذي لا يجد عملًا يقول: إني مسحور! والتاجر الذي يأتي آخر النهار ولا يبيع يقول: إني مسحور! عقيدة فاسدة!! أين الصبر والأخذ بالأسباب؟!! لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يلقى الله ما عليه خطيئة.

والمؤمن صاحب العقيدة الصحيحة هو الذي إذا نزل به البلاء حمد الله واسترجع؛ أي: قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. العقيدة الصحيحة تجعلك إذا نزل بك البلاء في نفسك ـ من مرض ـ أو في مالك، تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. هي العقيدة، (إنا لله) أي: تعترف أنك لله عبد، (وإنا إليه راجعون) أي: تعتقد أنك راجع إلى الله.

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وبشر الصابرين أصحاب العقيدة الصحيحة الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالمثال يتضح البيان ليتبين لكم أن العقيدة تُثَبِّت عند الصدمة الأولى، فالصدمات كثيرة، ولكن هذه مصيبةٌ عظيمةٌ ما أُصبنا بمثلها، أتدرون ما هي؟! هي موت رسول الله ﷺ، مصيبة كبيرة أصابت المسلمين، ولكن انظروا إلى العقيدة، ماذا تفعل بأصحابها إذا نزلت بهم المصائب؟! فإنّ أصحاب المصطفى ﷺ كانوا رجالاً يحبون الرسول ﷺ

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦).

حباً عظيماً أكثر من أنفسهم وأموالهم والناس أجمعين، فلما مات ﷺ وانتشر الخبر تأثَّروا؛ فهذا صحابي يقول: لا، ما مات رسول الله! وآخر يقول: مات ﷺ! وهذا ثالثٌ وقع على الأرض!.

موقف شديد ما تعرَّضت الأمة لمثله، انظروا إلى العقيدة؛ من الذي يستطيع أن يتكلم في هذا الموقف؟ واللهِ نحن لا نقدرُ، ولكن انظروا إلى الرجال الذين تربوا على العقيدة، كيف يأخذون بزمام الأمور؟ وكيف يتلقون الصدمة؟ بـ(إنّا لله وإنا إليه راجعون). فهذا أبو بكر يقف خطيباً في الناس فيقول: (من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)[١].

إنها العقيدة حتى في هذه الشدة، ثم تلا عليهم قوله ـ تعالى ـ وكأنهم أول مرةٍ يسمعونه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]. كانوا يُقِرّون أنه ميت وأنهم ميتون، ولكنها الصدمة، وعند الصدمة يثبت أصحاب العقيدة السليمة، فلما عرفوا أنه ﷺ قد مات رضوا بقضاء الله وقدره.

موقف آخر: موقف فاطمة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ فقالت: (يا أبتاه أجابَ رباً دعاهُ، يا أبتاهُ مَن جنةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمةُ رضي الله عنها: يا أنس أطابت أنفُسُكُم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟)[٢].

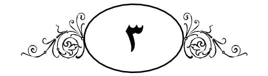
إنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

اللّهم يا ذا الجلال والإكرام
ردّ المسلمين إلى عقيدتهم الصحيحة ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (١١٨٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٤١٩٣).



لماذا العقيدة أولاً؟

عباد الله!

والسؤال ما يزال يفرض نفسه علينا: لماذا العقيدة أولاً؟ أي: لماذا يجب على المسلمين وعلى الدعاة أن يهتموا بأمر العقيدة، وأن يربّوا المسلمين على العقيدة الصحيحة أولاً قبل أن ينشغلوا بأي أمر آخر؟!.

قلنا في الجمعة الماضية: العقيدة أولاً؛ لأنها هي التي تربّي الرجال وهي التي تثبِّتُ عند الصدمة الأولى، ونقول في هذا اليوم: العقيدة أولاً؛ لأنها هي التي تدفع العبد إلى الطاعات والأعمال الصالحة، فالعقيدة هنا بمثابة المُحَرِّك الذي يحرك الإنسان إلى العمل الصالح.

إخوة الإسلام! الإنسان حين يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ويعتقد أن الله ﷻ خلقه في هذه الدنيا لعبادته، ويعتقد أنه من هذه الدنيا راحل إلى ربه، ويعتقد أنه واقف بين يدي ربه يوم القيامة، ويعتقد أن الله سائله عن كل شيءٍ، ويعتقد أن الوزن يوم القيامة عند ربك هو الحق، ويعتقد أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير، ويعتقد أن حسنةً واحدة تكون سبباً لسعادة العبدِ، ويعتقد أن سيئة واحدة تكون سبباً في شقاء العبد يوم القيامة، تدفعه هذه العقيدة إلى العمل الصالح بالليل والنهار، ولذلك قال بعض الصالحين: لو أخبرتُ أن غداً الساعة ما استطعت أن أزيد على ما أنا فيه شيئاً. دليلٌ على أنه يتقدم إلى ربه بالأعمال الصالحة بكل ما يستطيع، ورسولنا ﷺ يقول: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليلِ المُظلمِ، يُصبحُ الرَّجلُ مؤمناً ويُمسي كافراً، أو يُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيعُ**

دينَهُ بعَرَضٍ منَ الدُّنيا»[١].

بادروا بالأعمال الصالحة فتناً؛ وها هي الفتن قد ظهرت، وإننا لنسمع عن أُناس يؤمنون في الصباح، ويرتدُّون في المساء، ويؤمنون في المساء، ويرتدُّون في الصباح، يبيع أحدهم دينه بخمسة دنانير.

إخوة الإسلام! العقيدة أولاً؛ لأنها تدفع إلى العمل الصالح وبالمثال يتضح البيان؛ فتعالوا يا عباد الله معي لنرى كيف تفعل العقيدة الصحيحة بأصحابها؟.

أولاً: بالنسبة للصلاة المكتوبة:

انظروا إلى أحوال المسلمين مع الصلاة الآن لتروا أثر ضعف العقيدة؛ فإن الله أمرنا في كتابه بالمحافظة على الصلاة فقال ـ تعالى ـ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وسُئل ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «**الصلاةُ على وقتها**»[٢].

فسمع هذا الكلام أصحاب المصطفى ﷺ، والمسلمون الآن يسمعون هذا الكلام، ولكن انظروا إلى العقيدة الصحيحة ماذا تفعل بأصحابها؟.

قال أحد الصحابة، وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من سَرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً ـ أي: من سرّه أن يموت على الإسلام، ويبعث يوم القيامة على الإسلام ـ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنَّ ـ أي: في المساجد ـ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهنَّ ـ أي: الصلوات الخمس ـ من سنن الهُدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يُصلِّي هذا المتخلفُ في بيتهِ لتركتُم سُنَّةَ نبيكم، ولو تَركتُم سُنّةَ نبيكم لَضَلَلْتُم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، وَلَقَدْ رأيتنا وما يتخلّف عنها ـ أي: عن صلاة

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٠٤)، م: (٨٥).

الجماعة ـ إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ، ولقد كان الرجلُ يُؤتى به يُهادى بين الرجلين ـ أي: يسند بين الرجلين ـ حَتَّى يُقامَ في الصفِّ)[١].

إخوة الإسلام! بدون تعليق انظروا إلى العقيدة التي جعلت هذا المريض يُؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، وانظروا إلى المسلمين الآن ماذا يصنعون في الصلوات لتعلموا أنها العقيدة.

واستمعوا الآن إلى أُبيٍّ بن كعب ﵁ حيث يقول: (كانَ رجلٌ لا أعلمُ رجلاً أبعدَ من المسجد منه وكان لا تخطئه صلاة ـ أي: لا تفوته صلاة خلف رسول الله ﷺ ـ قال: فقيل له، ـ أو قلتُ له ـ: لو اشتريت حماراً تركبهُ في الظلماءِ وفي الرمضاءِ. قال: ما يَسُرُّنِي أن منزلي إلى جنبِ المسجدِ! إني أريدُ أن يُكتبَ لي ممشايَ إلى المسجدِ وَرُجُوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «**قد جمع اللّهُ لَكَ ذلك كُلّهُ**»)[٢]، إنها العقيدة!.

يأتي إلى المسجد وهو يعتقد أن الله يرفعه بكل خطوة درجة في الجنة، وأنه كلما غدا إلى المسجد، أو راح أعدّ الله له في الجنة نُزُلاً كلما غدا أو راح، فأين نحن الآن يا عباد الله؟!.

إذاً عقيدة صحيحة تدفع صاحبها إلى الصلاة في المسجد، وعقيدة ضعيفة يُضيِّع صاحبها الصلاة؛ أي: يصلي في البيت.

فأصحاب العقيدة الفاسدة تراهم إذا جاؤوا إلى الصلاة جاؤوا كُسَالى ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ لـمَ؟ ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ـ يصلون من أجل الناس ـ ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

ثانياً: قيام الليل:

انظروا إلى العقيدة كيف تحرّك أصحابها إلى العمل الصالح،

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: م: (٦٦٣).

يقول ﷺ: «**يا أيُّها الناسُ! أفشوا السلام، وأطعموا الطعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام**»[(١)].

أصحاب المصطفى ﷺ أخذوا هذا الكلام عقيدةً في قلوبهم فقاموا الليل ولم يناموا إلا قليلاً، يقول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في وصفهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: ١٦]، كيف يبيتون لربهم؟ ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤] ماذا يريدون؟ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥] يخافون من الله ويريدون الجنة.

انظروا إلى حال هؤلاء، وانظروا إلى أحوالنا الآن!!.

فهذا صُهيب الرومي، لا ينام من الليل إلا قليلاً، يتقلب على فراشه كما يتقلب العصفور في المقلى، تقول له زوجته: (يا صهيب، اتق الله ونم قليلاً فقد جعل الله الليل سكناً، يقول لها: نعم، الليل سكنٌ لكل الناس إلا لصهيب. تقول له: ولِمَ؟ فيقول لها: إذا تذكرت الجنة وما فيها من النعيم طار نومي شوقاً لها، وإذا تذكرت النار وما فيها من العذاب الأليم طار قلبي خوفاً منها فلا أنام).

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُوا۟ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

ثالثاً: بالنسبة للجهاد في سبيل الله:

إن الذين يتكلمون عن الجهاد كثيرون، والذين يعتقدون الجهاد قليلون.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/١٤)، [«ص.ج» (٧٨٦٥)].

أمة الإسلام! ليس كل من تكلم عن الجهاد فهو محبٌ للجهاد، وليس كل من تكلم عن الجهاد يفهم معنى الجهاد، فالذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله هم أصحاب العقيدة الصحيحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

فالذي اشترى هو الله، والذي باع هو المؤمن الصادق، فالمؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله، ولا يقاتلون في سبيل الحزب، ولا يقاتلون في سبيل الجماعة، ولا يقاتلون حميّةً ولا شجاعةً ولا رياءً ولا سمعةً إنما يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

اسمعوا ـ يا عباد الله ـ أَنباءَ الذين تربّوا على العقيدة الصحيحة كيف باعوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (غاب عمِّي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيُرينَّ اللّهُ ما أصنعُ! فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون، قال أنس بن النضر: اللّهم إني أعتذرُ إليكَ مما صنعَ هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أُحدٍ، قال سعدٌ: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانِه، يقول أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه)[١].

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٥١).

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] إنها العقيدة أولاً.

إخوة الإسلام! وهذا أعرابي جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسم وقسم له: فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**»، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدقَ اللَّهَ فصدَقَهُ**»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللّهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتِلَ شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلك**»[1] إنها العقيدة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠].

وهذا حنظلة يا عباد الله! تعرفونه يا أمة الإسلام؟! غسيل الملائكة كان عروساً ليلة يوم أُحد فصلى الفجر خلف رسول الله ﷺ، ثم رجع إلى بيته ونام مع عروسه، ونودي للجهاد في سبيل الله فخرج من بيته بسيفه للجهاد وهو جُنب فقاتل وقُتِلَ، فرآه الرسول ﷺ تُغسِّله الملائكة بين السماء والأرض فقال لأصحابه: «**اسألوا أهله ما شأنه؟**» قالت: كان جنباً فلما سمع النداء للجهاد خرج وهو جنب، ورأى أنه لو تأخر حتى يغتسل من الجنابة لعدّ ذلك تخلُّفاً عن الجهاد. يقول ﷺ: «**لذلك غسلته**

---

(١) صحيح: ن: (١٩٥٣)، ك: (٣/ ٦٨٨)، طب: (٧/ ٢٧١)، [«ص.غ.ه» (١٣٣٦)].

الملائكة»[١]، إنها العقيدة، لم يصبر حتى يغتسل من الجنابة!. نعم، وهذا رجل آخر يوم أُحُدْ يأكل تمرات بيده يقول: (أين أنا يا رسول الله، إن قُتلتْ؟ قال: «**في الجنة**»، فألقى تمرات كُنَّ في يده، ثم قاتل حتى قُتل)[٢]، لم يصبر حتى يأكل التمرات ـ إنها العقيدة ـ. فهل الذين يأكلون الربا يجاهدون في سبيل الله؟! أم الذين ينظرون إلى المفسديون يجاهدون في سبيل الله؟! أم الذين خرجت نساؤهم متبرجات يجاهدون في سبيل الله؟!.

عباد الله! هل أتاكم نبأُ الثلاثة الذين جاؤوا إلى رسول الله وهم فقراء فقالوا: يا رسول الله احملنا؛ أي: جهّزنا للجهاد في سبيل الله. فقال ﷺ: «**والله لا أجد ما أحمِلكُم عليه**» فرجعوا وهم يبكون حتى جهزهم بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

وإذا نظرنا إلى أمتنا الإسلامية الآن وجدناها في غفلة عن الأعمال الصالحة، وذلك يدلُّ على ضعف في العقيدة، فيجب على كل مسلم ويجب على الدعاة أن يهتموا بالعقيدة أولاً قبل أن يضيعوا الأوقات والجهود فيما لا ثمرة فيه.

فالعقيدة تدفع إلى الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. قال ـ تعالى ـ مبيناً أن العمل الصالح سبب للحياة الطيبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، إذن أعمال صالحة؛ حياة طيبة. أعمال سيئة؛ حياة كلها

---

(١) **حسن**: حب: (١٥/ ٤٩٥)، ك: (٣/ ٢٢٥)، هق: (٤/ ١٥)، حل: (١/ ٣٥٧)، [«س.ص» (٣٢٦)].

(٢) **صحيح**: م: (١٨٩٩).

نكد وضنك، فالذي يعيش في نكد وضنك فلا يلومن إلا نفسه!.

الأعمال الصالحة...

ولتعلم أن الأعمال الصالحة سبب للفوز بالجنة. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

وأن الأعمال الصالحة سبب للتمكين في الأرض، فإلى الذين يريدون دولة الإسلام، وإلى الذين يريدون العزة والسيادة، نقول لهم: دولة مسلمة تقوم بعمل صالح وعقيدةٍ صحيحةٍ، أما قيام دولة مسلمة على آكِل الربا وعلى نساء متبرجات وعلى قوم لا يؤدون الصلاة؛ بل يحافظون على أفلام المفسديون، وتراهم في السينما ودور اللهو أكثر من المساجد، فهذا من المحال.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

إخوة الإسلام!(١) وأُذَكِّر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بالإكثار من الأعمال الصالحة والمسارعة إليها في العشر الأوائل من ذي الحجة، ـ وها هي تقبل علينا بعد أيام ـ يقول ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُ إلى الله من هذه الأيام**».

ـ يعني العشر من ذي الحجة ـ قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»(٢). فلا تحرموا أنفسكم من العمل الصالح في هذه

---

(١) هذه الخطبة كانت قبل قدوم أيام ذي الحجة بقليل.

(٢) **صحيح**: د: (٢٤٣٨)، ت: (٧٥٧)، هـ: (١٧٢٧)، حم: (١/ ٢٢٤)، طب: (١٢/ ٤٨)، [«ص.غ.هـ» (١٢٤٨)].

الأيام من صلاة وصيام وإنفاق في سبيل الله، صوموا هذه الأيام إلا ما نُهِيَ عنها، صوموا يوماً وأفطروا يوماً، صوموا الاثنين والخميس. ولا تحرم نفسك ـ يا عبد الله ـ من صيام عرفة فإنه يُكفر ذنوب سنتين الماضية والقابلة، ولا تحرموا أنفسكم من ذبح الأضاحي في يوم العيد، وفي أيام التشريق الثلاثة، ولا تلتفتوا إلى هؤلاء الذين يطلبون منكم ثمن الأُضحية فيوزعونه على الفقراء!؛ نقول: لأن العبرة من الأضحية سفك الدماء، والأجر عند الله أنك تذبح هذه الأضحية تقرباً إلى الله، ومن أراد منكم أن يضحّي ـ يا عباد الله ـ فليمسك عن شعره وقص أظافره من بداية الشهر.

وأنت ـ يا عبد الله ـ في دار العمل وغداً الحساب، والموت يأتي بغتة، فسارعوا إلى الأعمال الصالحة، فقد يصلي أحدنا اليوم ويكون في الجمعة القادمة تحت الثرى.

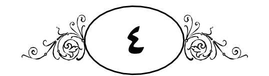
نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن مراحلُ

أسأل الله أن يتوفنا وإياكم على الإسلام، وأن يلحقنا بالصالحين





لماذا العقيدة أَولاً؟

عباد الله!

لا زلنا نجيب عن هذا السؤال: لماذا العقيدة أولاً؟.

قلنا في الجمعة الماضية: العقيدة أولاً؛ لأنها هي التي تدفع العبد إلى فعل الطاعات، وإلى المسارعة إلى الأعمال الصالحات.

ونقول في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ: العقيدة أولاً؛ لأنها تمنع العبد من فعل المعاصي.

إخوة الإسلام! هناك علاقة بين المعاصي والذنوب وبين ضعف العقيدة؛ أي: أننا إذا نظرنا إلى مجتمع ما، ووجدناه مُلِءَ بالمعاصي والذنوب: فوجدنا الربا والزنا والتبرج كَثُرَ فيه، فهذا يدل على ضعف العقيدة في قلوب العباد، فالعقيدة إذا تمكنت ورسخت في القلوب وتغلغلت في أعماق النفس حالت بين العبد وبين اقتراف المعصية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥] فالذي منعهُ من اقتراف المعصية ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ وهذه هي العقيدة، عقيدة في القلب بالله واليوم الآخر تمنع صاحبها من اقتراف المعاصي، فصاحب العقيدة السليمة إذا دُفعت له الرشوة رفضها، لماذا؟ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، وإذا هَمَّ بالزنا تركه، لماذا؟ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

أما إذا ضعفت العقيدة وغابت من القلوب كثرت المعاصي. قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦﴾

[القيامة: ٥، ٦] (يريد الإنسان أن يفجر): يريد الإنسان أن يقترف المعاصي فينسى أو يتناسىٰ يوم القيامة، ولذلك تراه يرتشي ويزني ويأكل الربا ويسرق، فإذا قلت له: اتق الله! واتق يوماً ترجع فيه إلى الله! قال: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

ولذلك ربط ﷺ بين ضعف العقيدة والمعاصي فقال ﷺ: «**لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن**»(١).

يقترف الكبائر لأن العقيدة ضعفت عنده فغاب عنه نور الإيمان، ولا نكفّره بارتكاب هذه الكبائر، لا؛ فنحن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلّه. أما إذا استحلّ الزنا والربا وشُرْبَ الخمر كفر وخرج عن الإسلام بالكلية.

إخوة الإسلام! أريد أن يفهم الجميع على كل المستويات أن المعاصي كثرت في المجتمع بسبب ضعف العقيدة.

أمة التوحيد! العقيدة الصحيحة إذا تمكنت من القلب وفكر صاحبها في المعصية، منعته من اقتراف المعصية، فالله ﷻ وصف عباده أصحاب العقيدة الصحيحة في كتابه: أنهم إذا فكروا في المعصية تذكروا بما يحملون في قلوبهم من عقيدة سليمة فرجعوا عن المعصية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] ماذا تذكّروا؟ الموت، تذكّروا القبر، تذكّروا الميزان، تذكّروا يوم القيامة، تذكّروا الوقوف بين يدي الله، تذكّروا الجنة والنار فرجعوا عن المعصية.

وبالمثال يتضح البيان:

* الثلاثة الذين دخلوا الغار وسَدّت الصخرة عليهم باب الغار،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٤).

«**فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم** ـ علموا أنه لا ينجي في الكروب إلا الله، وعلموا أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، ما قالوا: يا سيدي فلان، أو يا ولي الله ولكن! انظروا إلى العقيدة حيث قالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ـ الشاهد: أن أحدهم ترك الزنا بعدما تمكن منه بسبب العقيدة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ ـ قال أحدهم: **اللّهم! كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمّت بها سنة من السنين** ـ أي: أصابها الفقر والحاجة ـ، **فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت** ـ يقول: ـ **حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفضَّ الخاتم إلا بحقه.** ـ أي: بالزواج الشرعي، فذكرته بالله فتذكر ـ يقول: **فتحرجتُ من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللّهم إن كنت فعلت** ـ أي: تركت الزنا والمال ـ **ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة**»[(١)]، دلّ على أن الله تقبل منه هذا العمل. الشاهد: أنه عندما ذُكِّر تَذَكَّر، لماذا؟ لأنه يخاف إن عصى الله عذابَ يومٍ عظيمٍ، فالعقيدة منعته من الزنا.

* أما سمعتم عن هذا المجرم الذي اختطف فتاة صغيرة وذهب بها بعيداً عن أعين الناس ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [النساء: ١٠٨] الفتاة الصغيرة تبكي بين يديه فلم يرحمها! تذكره بالله فلم يذَّكَّر! تستحلفه بالله أن يردها إلى أهلها فلم يفعل! ثم ماذا زنى بها وقتلها[(٢)]! هل هذا إنسان؟! هل هذا يخاف الله؟! أظنه لا يخاف الله ولا الناس، ولا يؤمن بالله، الإيمانَ الذي يمنعه مِن ارتكاب المعصية، وأظن أنه نسي أنه إلى الله راجع!! فانظر الفرق: هذا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٥٢).

(٢) جرت هذه الحادثة في مثل هذا الوقت، رجل خطف فتاة صغيرة ثم زنىٰ بها وقتلها.

ذُكِّر فَتَذَكَّر. وأما هذا المجرم فقد ذكّرته الفتاة فلم يتذكر!! إذن؛ العقيدة أولاً....

* **يوسف** عليه السلام في بيت العزيز، امرأة العزيز راودته عن نفسه، وغلَّقت الأبواب وقالت: هيت لك، فماذا قال يوسف؟ قال: معاذ الله! وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] السجن!! يعيش مع المساجين بعد القصور ولا يزني! نعم؛ إنها العقيدة....

* **ٱبنا آدم**: تقرأون عنهما في كتاب الله؛ تقرَّبا بقربان إلى الله فتقبل الله من صاحب العقيدة السليمة ولم يتقبل من الآخر، قال صاحب العقيدة الفاسدة: لأقتلنَّك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال صاحب العقيدة السليمة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨] تريدون أن يغيب القتل عن المجتمع فعلِّموا الناس العقيدة، تريدون أن يغيب الزنا عن المجتمع فعلِّموا الناس العقيدة....

إخوة الإسلام! العقيدة الصحيحة تدفع العبد إذا وقع في المعصية إلى أن يبادر بالتوبة إلى الله، وصف لنا ربنا ـ جل وعلا ـ عباده أصحاب العقيدة السليمة بأنهم إذا فعلوا فاحشة أو وقعوا في معصية تابوا وأنابوا إلى الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٞ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، فالعقيدة تدفع إلى التوبة، وليس أحد معصوماً من المعصية إلا الأنبياء.

* **آدم وحواء** نهاهما الله عز وجل عن الأكل من تلك الشجرة فأكل آدم ناسياً، فناداهما ربهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣].

إخوة الإسلام! المعاصي تغيب في ظل العقيدة، وإذا غاب القتل والزنا عن المجتمع عاش الفرد والمجتمع في أمنٍ وأمان، والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه! لو أن دولة كاملة بكل شعبها أصبحت أمناً وشُرَطة لم يكن هناك أمنٌ ولا أمان إلا في ظل العقيدة الصحيحة؛ يقول ربنا ـ جل وعلا ـ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢] الذين آمنوا: أصحاب العقيدة السليمة هم الذين يستحقون الأمن والأمان.

إخوة الإسلام! تعالوا بنا الآن واسمعوا وعوا عني ليتبين للجميع، وللذين يتعجلون: أنها العقيدة أولاً. بُعِثَ ﷺ للناس في مكة وأرض العرب في الشمال تحت سيطرة الرومان، وفي الجنوب تحت سيطرة الفرس، فلو أعلنها ﷺ وطنية ورفعها راية وطنية لتحرير الأرض من الاستعمار لاجتمع حوله الكثير، ولكنه لم يفعل فانتبهوا يا عباد الله!.

بُعِثَ ﷺ في مكة والمجتمع العربي أسوأُ ما يكون إضاعةً للثروة وللعدالة، فلو رفعها ﷺ راية اجتماعية لتحسين الأوضاع لالتف حوله الجميع، لماذا؟ لأنه كان قلة قليلة من الناس هم الذين يملكون المال والشرف، والكثرةُ الكثيرة مستعبدون فقراء، ولكنه لم يفعل.

بُعِثَ ﷺ في الناس وهم يشربون الخمر ويأكلون الربا ويزنون ويقتل بعضهم بعضاً، فلو رفعها راية إصلاحية لإصلاح الأخلاق لالتفَّ حوله الجميع، ولكنه لم يفعل؛ بل بدأ بالعقيدة أولاً وهي أصعب ما يكون.

فإلى الذين يتعجلون فيسلكون طريقاً يريدون من خلاله دولة الإسلام، ثم بعد ذلك يأمرون بالعقيدة وتحسين الأوضاع، نقول لهم: هل أنتم على

سنّةٍ في الدعوة إلى الله أهدى مِنْ سنّة رسول الله ﷺ؟! فلم يعلنها راية وطنية لتحرير الأرض، ولم يعلنها راية اجتماعية لتحسين الأوضاع، ولم يعلنها راية إصلاحية للقضاء على الفساد؛ بل قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والقرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاماً ينزل على الناس في مكة بالعقيدة أولاً، ورسولنا ﷺ طيلة هذه المدة يدعو الناس إلى (لا إله إلا الله)، لماذا؟ لأنه إذا رسخت العقيدة في القلوب أولاً حُلَّتْ المشاكل، بعدها يقول الإنسان: سمعنا وأطعنا، إذا أُمِرَ أوْ نُهِيَ قال: سمعنا وأطعنا، كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

انظروا يا عباد الله إلى الجيل الأول، إلى رجال الإسلام، أمرهم الله أن يهاجروا من مكة قالوا: سمعنا وأطعنا، تركوا الديار، تركوا الأولاد، تركوا الأموال، سمعنا وأطعنا لما هاجروا إلى المدينة ونزلت الأحكام ونزلت الآية التي تحرم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، قالوا: انتهينا ربنا.

إنه المنادي ينادي: إن الله حرم عليكم الخمر، فقالوا جميعاً بلا استثناء: انتهينا ربنا، وأخرجوا الخمور من بيوتهم وأَراقوها في شوارع المدينة! إنها العقيدة أولاً.

بل كان أحدهم إذا اقترف المعصية جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن وقال: يا رسول الله، أصبت حدّاً فطهّرني، وهذه امرأة زنت على عهد رسول الله ﷺ فجاءت وهي حُبلى من الزنا، قالت: يا رسول الله أصبت حدّاً فطهّرني، فدعا وليها فأمره أن يحسن إليها حتى تضع، فلما وضعت جاءت إلى رسول الله، والعقيدة في قلبها تخاف من عذاب الله، وتعلم أن

عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]، فأمر رسول الله ﷺ بها فشدت ثيابها ثم أمر بها فرُجمت.

أقام عليها حدّ الله ثم صلَّى عليها فتعجب عمر وقال: تُصلّي عليها يا نبيّ الله! وقد زنت؟ قال ﷺ: «**لقد تابت توبة لو قُسِّمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟!!**»(١). إنها العقيدة أولاً...

إخوة الإسلام! هذه امرأة تقول لابنتها: اخلطي اللبن بالماء ـ وأنتم تعرفون ذلك وتسمعونه ـ تأمرها بالغش، تريد أن تبيع ذلك للناس، فقالت الفتاة التي تحمل في قلبها عقيدةً سليمةً: يا أماه ألا تخافين من عمر!! تقول الأم: وهل يرانا عمر؟! فقالت الفتاة صاحبة العقيدة السليمة: يا أماه! إذا كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا!! عقيدة تعمر القلبَ أينما كان، رقابة داخلية، لا يخاف إلا من الله، يعمل لله، ويترك المعصية لله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، كم تستريح الأمةُ إذا رسخت العقيدة! كم يطهر المجتمع إذا رسخت العقيدة! أين تذهب؟! أنت على أرض الله وتحت سماء الله؟! إذا أردت أن تعصي الله فابحث عن أرض غير هذه الأرض، وعن سماء غير هذه السماء! ولن تجد؛ لأنك عبد ولك رب، فلا تَعْصِ الله.

هذا رجل يراود الأعرابية في الصحراء عن نفسها فيقول لها: لا يرانا أحدٌ إلا الكواكب، تقول الأعرابية التي تعيش في الصحراء ـ الأعرابية التي لا تحمل شهادة الدكتوراه ـ تقول: ويحكَ!! وأين رب الكواكب؟! عبدَ الله! أما ثبت لديكم الآن أنها إذا رسخت العقيدة في القلوب حُلَّتْ المشاكل؟!.

---

(١) **صحيح**: انظر القصة كاملة كما في: م: (١٦٩٦).

فالمرتشي لا يرتشي، والسارق لا يسرق، لسان حال الجميع: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

إخوة الإسلام! الله مُطَّلعٌ علينا، استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وهو معنا أينما كنا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

أتزني وأنت تعلم أن الله مطلعٌ عليك؟! أتأخذ الرشوة وأنت تعلم أن الله يراك؟!

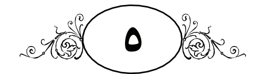
ولله در القائل:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلوتُ ولكن قلْ: عليَّ رقيبُ
ولا تحسبن اللّهَ يغفُلُ ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ

ابن آدم، العقيدة أولاً؛ تمنع من المعاصي، تحول بينك وبين المعصية، فتسعد في الدنيا والآخرة. اللّهم قد بلغت، اللّهم فاشهد! اللّهم قد بلغت، اللّهم فاشهد!....

اللّهم رُدَّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً!
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه،
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁



٥

أثرُ العقيدة الصحيحة على العبد عند الموت وفي الدار الآخرة

عباد الله!

قلنا في الجُمَع الماضية: العقيدة أولاً؛ لأن سعادة العبد في الحياة الدنيا تتوقف على العقيدة الصحيحة، ونقول ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذا اليوم: العقيدة أولاً؛ لأن سعادة العبد في الدار الآخرة أيضاً تتوقف على العقيدة الصحيحة.

عباد الله! حديثنا إليكم في هذا اليوم عن أثرِ العقيدة الصحيحة على العبد في الدار الآخرة؛ ليتبين لكم ـ يا أمة الإسلام ـ أن سعادة العبد في الحياة الدنيا والآخرة تتوقف على العقيدة الصحيحة، والحياة الآخرة للعبد تبدأ من الموت، وحتى يسكن إما في الجنة وإما في النار.

إخوة الإسلام! تعالوا وانظروا إلى العقيدة الصحيحة ماذا تفعل بأصحابها عند الموت؟ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**». وقلت: أنا ـ يعني ابن عمر ـ (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)[1]؛ أي: من مات على التوحيد على العقيدة الصحيحة دخل الجنة، «**ومن مات يشرك بالله**»؛ أي: مَنْ مات على الشرك على عقيدة فاسدة دخل النار، فأصحاب العقيدة الصحيحة إذا نزل بهم الموت نزلت عليهم ملائكة من السماء تبشّرهم بجنة عرضها السمٰوات والأرض تقول لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا، كما أخبر بذلك ربنا ـ جل وعلا ـ

(١) **صحيح**: خ: (١١٨١)، م: (٩٢).

في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

هذه حال أصحاب العقيدة الصحيحة تتنزل عليهم الملائكة عند سكرات الموت، وهم الذين يثبتهم ربهم بالقول الثابت فيخرجون من الدنيا وهم يقولون: لا إله إلا الله، والرسول ﷺ يقول: «**من كان آخر كَلامِه لا إله إلَّا الله دخل الجنة**»[(١)]؛ أي: من نطق بـ(لا إله إلَّا الله) ـ عقيدة صحيحة ـ، ومات على ذلك دخل الجنة.

أما أصحاب العقيدة الفاسدة؛ فإذا نزل بساحتهم الموت نزلت عليهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ولا يستطيعون أبداً مهما كانوا أن يقولوا عند سكرات الموت: لا إله إلا الله؛ لأن كلمة التوحيد لا تخرج من فم إنسان إلا أن يكون قد قالها في حياته، واعتقدها في قلبه، وعملت بها جوارحه قبل موته. فهذا فرعون عليه لعنة الله، ملأ الأرض فساداً، وقال للناس: أنا ربكم الأعلى، فلما أدركه الغرق حاول المجرم أن يقول: لا إله إلا الله، لينجو من عذاب الله، ولكن هل تخرج كلمة التوحيد من فم الكفرة عند الموت؟! قال ـ تعالى ـ عنه: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]، يريد أن ينطق بلفظ الجلالة ولكنه لا يخرج من فم الكفرة، فالله ﷻ رد عليه توبته الكاذبة، وقال له: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]، فكم من مشرك وكم من كافر

---

(١) **صحيح**: د: (٣١١٦)، ك: (١/٥٠٣)، طب: (٢٠/١١٢)، هب: (١/١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

خرج من الدنيا أمامنا، وهو لا يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله!!! إذن؛ فالعقيدة أولاً ليخرج المرءُ من الدنيا على: (لا إله إلا الله).

إخوة الإسلام! انظروا إلى العقيدة وأثرها على صاحبها في القبر، فالإنسان إذا خرج من هذه الدنيا، وحُمل على الأعناق ووضع في قبره وأُهِيْلَ عليه التراب جاءَهُ ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فصاحب العقيدة الصحيحة عندما يقولان له من ربك؟ يقول: ربي الله. ما دينك؟ يقول: ديني الإسلام. ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ يقول: هو محمد رسول الله ﷺ. نعم؛ ينجح في الامتحان الصعب وهو امتحان شديد عصيب، لا ينجح فيه إلا من مات على (لا إله إلا الله)، قالها بلسانه واعتقدها بقلبه وعملت بها جوارحه.

أما صاحب العقيدة الفاسدة الذي ما نطق لسانه بـ(لا إله إلا الله). أو نطق وما اعتقد بها كالمنافقين، وما عملت جوارحه بـ(لا إله إلا الله)، فإنه إذا وضع في قبره يقال له: من ربك؟ يقول: ها، ها، لا أدري! ما دينك؟ يقول: ها، ها، لا أدري! ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ يقول: ها، ها، لا أدري! أنسيتم الشاعر الذي كان إذا سئل قال: لا أدري؟ وكذلك أمثاله إذا دخلوا القبر وسئلوا قالوا: لا أدري! لا يعرف! وكيف يدري وهو طوال حياته يركض وراءَ الدنيا وبالليل يعكف على المفسديون؟! ما نام ليلة يبكي لله! ما امتدت يده مرة لله! ما عرف ربه يوماً! ألهته الدنيا وغرته حتى نَزَل به الموت! ودخل القبر وسئل فأخفق في الامتحان.

أمة الإسلام! أعرفتم كيف تنجحون في الامتحان في القبر؟ إنها العقيدة أولاً...

وانظروا - يا عباد الله - يوم القيامة إذ أنتم في أرض المحشر، حفاةً عراةً غُرلاً، أجسامكم عاريةٌ، أبصاركم خاشعةٌ، قلوبكم واجفةٌ، الشمس على الرؤوس، والعرق يسيل، عندها تتطاير الصحف فآخذٌ بيمينه وآخذٌ

بشماله، أتدرون من الذي يأخذ كتابه بيمينه؟ إنه صاحب العقيدة السليمة، اقرأوا كتاب ربكم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

إني اعتقدتُ أني ملاقٍ حسابيه، اعتقدتُ أني واقف بين يدي الله تعالى.

أما صاحب العقيدة الفاسدة فيأخذ كتابه بشماله. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٧]، كان في الدنيا لا يدري ما الحساب ولا الجزاء! يقول: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]، عقيدة فاسدة.

عباد الله، والعقيدة أولاً؛ لأنها سببٌ لمغفرة الذنوب.

يقول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]؛ أي: إن الله لا يغفر لصاحب العقيدة الفاسدة أبداً، تدعو غير الله في الدنيا وتنتظر أن يغفر الله لك في الآخرة؟! تستغيث بغير الله في الدنيا، وترجو أن يغفر الله لك يوم القيامة؟! تتوكل على غير الله في الدنيا وتتمنى أن يغفر الله لك يوم القيامة؟!

قال ﷺ: «**قال الله تعالى: يا ابنَ آدَمَ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثُم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرة**»(١)؛ أي: إذا دعوت فادع الله ـ وهذه عقيدة، فإن المؤمن يعتقد أنه لا يغفر

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/١٦٧)، [«ص.غ.هـ» (١٦١٦)].

الذنوب إلا الله ـ أي: لو أتيتني بملء الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة.

يقول ﷺ: «**يُصاحُ برجلٍ من أُمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيُنشَرُ له تسعةٌ وتسعونَ سجلًاً كلُّ سجلٍ مدُّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، ثم يقول: ألك عُذرٌ؟ ألَك حسنةٌ؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظُلمَ علَيك اليوم فتُخرجُ له بطاقةٌ فيها: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلمُ، فتوضعُ السجلاتُ في كفةٍ والبطاقةُ في كفةٍ فطاشت السجلاتُ وثقلت البطاقة**»[1].

عقيدة؛ يشهد الرجل أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله من قلبه، ما قالها كما قال المنافقون بألسنتهم ولم تستقر في قلوبهم.

عباد الله! العقيدة الصحيحة مفتاح الجنة: (لا إلهَ إلا الله، محمدٌ رسول الله) مفتاح الجنة.

إخوة الإسلام! العقيدة الصحيحة سبب لسعادة العبد في الدنيا والآخرة.

وقد سمعتم في الجُمَع الماضية واليوم أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة بالعقيدة الصحيحة؛ لذلك فالعقيدة أولاً.

وهذا الذي دفعنا أن نتكلم عن العقيدة، ـ وإن شاء الله تعالى ـ إن كان في العُمر بقيةٌ، سنبدأ في الجمعة القادمة بالحديث عن العقيدة بالتفصيل ليتبين لنا جميعاً أن كثيراً من المسلمين ـ وللأسف إلا من رحم

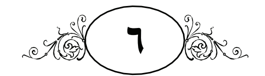
---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦٣٩)، هـ: (٤٣٠٠)، حم: (٢/ ٢١٣)، حب: (٢٢٥)، ك: (١/ ٤٦)، [«ص.ج» (٨٠٩٥)].

ربي ـ لا يعرفون العقيدة ولذلك وقعوا فيما حرم الله، من الشرك وغيره بسبب الجهل بالعقيدة.

أسأل الله أن يحيينا على العقيدة الصحيحة وأن يميتنا عليها،
وأن يرزقنا التوفيق والسداد





مِنْ أَين تُؤخذ العقيدة، وما هي أُصولها؟

عباد الله!

في الجمع الخمس الماضية أجبنا على سؤال مهم، ألا وهو: لماذا العقيدة أولاً؟.

وتبين لنا أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وسعادة المجتمع المسلم في الدنيا والآخرة تكون بالعقيدة الصحيحة.

إخوة الإسلام! وعقيدتنا كما قلنا: تؤخذ من الكتاب والسنّة حتى لا نضل كما قال رسول ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدَهما: كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[(١)]، وهما بين أيدينا، وقلنا: إن هذه العقيدة التي أخذناها من الكتاب والسنّة لا بد أن تفهم كما فهمها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون والأئمة الأعلام ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين؛ استجابةً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهؤلاء الذين أمرنا الله أن نقتفي آثارهم ونسلك نهجهم، هم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. وقال رسول الله ﷺ: «... **فإنه من يعش**

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنّتي ـ أي بطريقتي ـ وسنّة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[(١)].

وقال ﷺ: «... **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٢)].

إخوة الإسلام! أقولها وعلى الملأ؛ لأنها عقيدة وأدين الله بها حتى ألقاه:

منهجنا في دراسة العقيدة أن نأخذ عقيدتنا من الكتاب والسنّة فقط، وأن نفهمها كما فهمها الصحابة والتابعون والأئمة الأعلام ومن سار على نهجهم، وكما قالوا: الخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خَلَف.

إخوة الإسلام! العقيدة الصحيحة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وهذه الأصول أخذناها من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا ﷺ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

وجبريل عليه السلام يقول لرسولنا ﷺ: فأخبرني عن الإيمان؟ قال ﷺ: «**أنْ تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكُتبِهِ ورسُلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمِنَ بالقدرِ خيرهِ وشرِّهِ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (١٢٦/٤)، ك: (١/ ١٧٤)، [«ص.ج» (٢٥٤٩)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (٢١٨/١)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٣) **صحيح**: م: (٨).

إخوة الإسلام! العقيدة كلها تعود إلى هذه الأصول الستة، وهذه الأصول هي التي سنتكلم عنها أصلاً أصلاً بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

ولكن قبل أن نبدأ بالحديث عن الأصل الأول، وهو الإيمان بالله، يجب علينا جميعاً أن نعلم أن العقيدة الإسلامية لا تقبل التجزئة فهي وحدة واحدة مترابطة أشد الارتباط، فمن آمن بأصل وكفر بأصل فهو كافر، ومن آمن بالأصول الخمسة وكفر بواحدٍ فهو كافر، ومن آمن بكل الأصول وكفر برسول واحد فهو كافر، فالذين يؤمنون بكل الرسل ويكفرون بمحمد ﷺ، فهم كفارٌ عند الله ويخلدون في نار جهنم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١] إذاً يجب علينا جميعاً أن نؤمن بهذه الأصول الستة وما يتفرع عنها، وأن نضع ذلك في قلوبنا ونعقدها على ذلك وندين اللّهَ بذلك حتى نلقاه.

إخوة الإسلام! ولكن هذه العقيدة في القلب لا تكفي وحدها! بل لا بد لها من نطق باللسان وعمل بالجوارح؛ فالعقيدة التي تسكن في القلب ولا ينطق بها اللسان ولا تعمل بها الجوارح، عقيدة خاوية باردة لا تستحق أن تسمّى عقيدة، لا بد أن ينطق اللسان بما وقر في القلب ولا بد أن يظهر على الجوارح أثر ما اعتقده القلب.

وبالمثال يتضح المقال: فهذا أبو طالب يعلم علم اليقين أن دين محمدٍ هو الحق، وأن رسول الله ﷺ هو رسولٌ من عند الله، وقال في ذلك:

ودعوتني وعرفت أَنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أَمينا
وعرضت ديناً قد عرفتُ بأنه ... مِنْ خير أَديان البرية دينا
لولا الملامة وحذار مسبةٍ ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكنه ـ مع هذا العلم ـ لم ينطق بالشهادتين، ولم تعمل جوارحه بالإسلام فمات كافراً. فالمعرفة لا تنفع إلا بنطق اللسان وعمل الجوارح.

إذاً ـ ***عباد الله*** ـ: هناك علاقة بين العقيدة والإيمان؛ فالعقيدة هي أصل الإيمان، والإيمان له شطران: عقيدة صحيحة نقية تستقر في القلب، وعمل يظهر على الجوارح؛ فعقيدة بدون نطق باللسان وعمل بالجوارح لا تنفع! عمل ونطق بدون عقيدة ـ أي: عقيدة فاسدة ـ لا تقبل فلا بد من الاعتقاد والعمل.

ولذلك عَرَّفوا الإيمان بأنه: [نطق باللسان، واعتقاد في القلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية]، فإذا جاء إنسان يريد أن يدخل في الإسلام فلا بد أن ينطق بالشهادتين، وأن يعتقد في قلبه معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن تعمل جوارحه بمقتضى هذه الشهادة.

إخوة الإسلام! فمن نطق بلسانه، وعمل بجوارحه ولكنه كذَّب بقلبه فهو أمامنا مسلم، ولكنه عند الله منافق، من نطق بالشهادتين وصلَّى وصام وحج وجاهد، ولكنه كذّب بقلبه وعادى هذا الدين باطناً، فهو أمامنا مسلم ولكنه عند الله منافق، لماذا؟ لأَن المنافقين قالوا: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] فشهدوا وصلوا وصاموا، ثم قالوا: ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤]، ولكن مع ذلك هم في الدرك الأسفل من النار، فكم من الناس في هذا الزمان العجيب يدَّعي الإسلامَ والإسلامُ منه بريء!!.

● كذلك من علم بقلبه ولم ينطق بلسانه ولم تعمل جوارحه كذّبناه! لأن المعرفة لا تنفع وحدها، فهذا فرعون يعلم ويعرف أن موسى جاء بالبينات من ربه ومع ذلك جحدها وعادى موسى ومن معه، وهؤلاء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يعلمون أن محمداً جاء بالحق من عند ربه، يقول ـ جل وعلا ـ في وصفهم: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦] ومع ذلك عادَوْا دينه إلى يومنا هذا وحاربوه ووقفوا في وجه دعوته! فالمعرفة لا تنفع وحدها.

حتى إبليس يعلم أن هناك إلهاً، ويعلم أن هناك بعثاً وقيامةً؛ قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، ويعلم أن هناك جنةً وناراً، ويعلم أنه يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير،

ومع ذلك جنّد نفسه وجُنده لمحاربة الحق وأهله! إذاً المعرفة وحدها لا تنفع، فلا بد من النطق ولا بد من العمل ولا بد من الاعتقاد.

• كذلك من اعتقد في قلبه، ونطق بلسانه، وامتنع عن العمل ـ كما نرى كثيراً من الناس ـ فهو عاصٍ لله ولرسوله؛ لأن الله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٥] وهو لا يعمل! ورسولنا ﷺ يقول: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[١]، ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال**»[٢]، وهو لا يعمل! فهو على خطر عظيم. إذاً النجاة لا تحصل بالاعتقاد القلبي وحده، ولا بالعمل وحده ولكن الإيمان الصادق الذي ينجي من عذاب الله ويدخل صاحبه الجنة هو: اعتقاد في القلب، نطق باللسان، عمل بالجوارح.

وهذا الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنّة على أن الإيمان يزيد. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، فالمؤمن الصادق إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَ قلبهُ، وإذا سَمِعَ القرآنَ ازداد إيماناً.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤].

ويقول ﷺ: «**الإيمان بضعُ وستون شعبةً، والحياءُ شعبة من الإيمان**»[٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٦٦)، م: (٢٦٤٧). (٢) **صحيح**: م: (١١٨).
(٣) **صحيح**: خ: (٩).

ويقول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]، ولذلك يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: (من فقه العبد أن يتعهد إيمانه وما نقص منه).

وكلٌ منّا يعلم أنه إذا جلس في مجلس علم ازداد إيمانه، وإذا جلس في مجلس غيبة نقص إيمانه.

وكلٌ منّا يراقب إيمانه إذا نظر في كتاب الله أيزداد أم ينقص؟!، وإذا نظر إلى الكاسيات العاريات في الشوارع أَيجدهُ يزداد أم ينقص؟!.

فما هي الأسباب التي تزيد الإيمان؟.

أولاً: العلم الشرعي:

علم الكتاب والسنّة يا طلاب العلم! العلم الشرعي يزيد الإيمان، كلما ازداد الإنسان علماً يبتغي به وجه الله ازداد إيمانه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي: أخشى الناس لله العلماء الذين تعلموا العلم يبتغون به وجه الله والدار الآخرة لا يتعلمون العلم رياءً وسمعةً، لا يتعلمون العلم ليصيبوا به عرضاً من أعراض الدنيا، لا يتعلمون العلم ليتصدَّروا المجالس، تعلموا العلم ابتغاء وجه الله فازدادوا إيماناً بالعلم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال الصحابة رضوان الله عليهم: (تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً).

ثانياً: الطاعة والاستقامة تزيد الإيمان:

ولذلك قال رجل: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

أحداً بعدك. قال ﷺ: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[١]. فالإيمان يحتاج إلى استقامة، والاستقامة على الإيمان تزيد في الإيمان ـ علاقة وثيقة ـ فلا يستغني الإيمان عن الاستقامة، ولا تنفع الاستقامة بدون الإيمان؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، فلما استقاموا ازداد الإيمان، ولما ازداد الإيمان دفعهم إلى الاستقامة وإلى الأعمال الصالحة.

أين الصلاة يا عباد الله؟! أين الزكاة؟! الذين لا يعرفون المسجد إلا يوم الجمعة! الذين لا يَصِلون الأرحام! الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر!.

أَين هم من الاستقامة المأمور بها؟!.

ثالثاً: ذكر الله بما هو مشروع وبما جاء عن رسول الله ﷺ:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، إذا وجدت نفسك ذاكراً لله فاعلم أن إيمانك بخير، وإذا وجدت نفسك غافلاً عن ذكر الله فاعلم أنك على خطر.

يقول بعض الصحابة: (الإيمان يزيد وينقص. قالوا: وما هي زيادته ونقصانه؟ قال لهم: إذا ذكرنا الله وسبّحناه وحمدناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه).

المعصية تنقص الإيمان، فإذا انغمس الإنسان في المعاصي ليلاً ونهاراً ربما خرج من الإسلام؛ لأن مِنْ عقيدة السلف: أن الإيمان يزيد بالطاعة حتى يصل إلى كماله، وينقص بالمعصية حتى يزول! فلا يبقىٰ منه شيءٌ، ولأن كثيراً من الناس إذا انغمسوا في المعاصي استحلّوها، وإذا استحلّوا المعاصي كفروا؛ قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو**

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).

مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[١].

والناس في تقسيم أهل المعاصي طرفان ووسط:

الطرف الأول: يكفِّرون الناس بكل ذنب، فمن ارتكب معصية فهو عندهم كافر وخارج عن الإسلام ولا يدفن في قبور المسلمين ويحل ماله ودمه وعرضه، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة ومن سار على نهجهم حتى اليوم، وهذا فِكْرٌ سيئ وضلال مُبين! نقول لهؤلاء: يقول ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٢]، وهؤلاء الذين يكفّرون بكل ذنب أوقعوا الأمة في نار الفتنة، فنبرأ إلى الله من فكرهم ومن عملهم.

طرف آخر: لا يكفِّرون أبداً! يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، وهؤلاء هم المرجئة، وهذا مذهبٌ خبيثٌ، وضالٌّ، وأفكارهم موجودة بين الناس، ترى كثيراً من الناس لا يصلي ولا يصوم ولا يحج وتراه يشرب الخمر ويأكل الربا ويعق والديه، ويقول: المهم القلب والله غفور رحيم، فهؤلاء جرَّأوا الناس على المعاصي، فهؤلاء يكفِّرون بكل ذنب، وهؤلاء لا يكفِّرون أبداً، إفراط وتفريط.

أما الفرقة الناجية ـ اللّهم اجعلنا منهم ـ فلا يكفِّرون أحداً من أهل القبلة بكل ذنب إلا إن استحلَّه، ولا يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، فعقيدتنا: لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله، وهذا رد على الخوارج، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وهذا ردٌّ على المرجئة، ولكن نقول: الذي يرتكب المعاصي على خطرٍ عظيم ولكن لا نكفّرهُ إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

أما إذا أكل الربا، وهو يعتقد أنه حرام، فهو مرتكب لكبيرة، فإن مات على الإسلام فهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه لارتكابه هذه الكبيرة. لنا الظاهر والله يتولّى السرائر يوم القيامة.

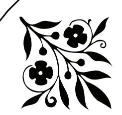
اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً

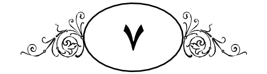
---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٥)، م: (٥٧). (٢) **صحيح**: خ: (٥٧٥٢).



الأصل الأول
الإيمان بالله



توحيد الربوبية

عباد الله! قلنا في الجمعة الماضية: إن العقيدة هي أصل الإيمان؛ وقلنا: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقلنا أيضاً: إننا لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بكل بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وقلنا أيضاً: إن العقيدة الصحيحة تقوم على أصولٍ ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وإن شاء الله تعالى نبدأ من هذا اليوم في الحديث عن الأصل الأول منها ألا وهو **الإيمان بالله**.

الإيمان بالله معناه: أنه يجب على المسلم أن يوحّد ربَّه في ربوبيته وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وموعدنا في هذا اليوم مع النوع الأول من هذه الأنواع ألا وهو **توحيد الربوبية** ومعناه: أَنه يجب على المسلم أن يعتقد في قلبه اعتقاداً جازماً لا شك فيه أن الله ﷻ هو ربّ كل شيء، وأنه خالق كل شيء، وأنه المالك لكل شيء، وأنه الرازق، والمحيي والمميت، والنافع والضار، وأنه سبحانه إليه ترجع الأمور كلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

هذا اعتقاد يجب أن يكون في قلب المسلم، وهذا ـ يا عباد الله ـ أخذناه من كتاب ربنا، فالله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه ربُّ كل شيء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ

كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه خالق كل شيء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١، ١٠٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو المالك لكل شيء. قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو الرزاق. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو الذي ينفع ويضر. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو الذي يحيي ويميت. قال ـ تعالى ـ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه هو سبحانه من يدبر أمر الخلق. قال ـ تعالى ـ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ﴾ [يونس: ٣].

وأخبرنا ربنا في كتابه أن الأمر كله له سبحانه. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

إخوة الإسلام! هذا الكون الذي نعيش فيه هو آيات بينات تدل على توحيد الربوبية حتى لا يكون للناس على الله حجة، فالله ﷻ كرَّمك أيها الإنسان بأن جعل لك عقلاً لتفكر، وجعل لك سمعاً لتسمع، وجعل لك بصراً لتبصر، ولكن وللأسف الشديد كثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ كالدواب بل هم أضل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فالله ﷻ يأمر الإنسان أن ينظر إلى السماء ليعرف من رفعها بلا عمد، ويأمر الإنسان أن ينظر إلى الأرض التي يدب عليها ليعرف من بسطها وثبتها حتى لا تميد بأهلها، ويأمر ربنا الإنسان أن ينظر إلى الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمّى، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

ويأمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه وما يأكل ليعلم أن (لا إله إلا الله)، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢]. ويأمر ربنا ـ جلّ وعلا ـ الإنسان أن ينظر إلى نفسه، فإذا نظر أحدنا إلى نفسه وفكّر قال: لا إله إلا الله، وعلم أنه (لا إله إلا الله): ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق: ٥ ـ ٨].

ثم بعد ذلك أمر ربنا الإنسان أن ينظر أمامه وخلفه وفوقه ليعلم أن

(لا إله إلا الله)، فينادي ربنا علينا ليعرف الناس ربَّهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

إذا نظر العاقل إلى أي مخلوق في هذا الكون علم أنه (لا إله إلا الله)، وعلم أن في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، ثم بعد ذلك نسمع كلاباً تنبح في هذا العصر العجيب فتقول: لا خالق لهذا الكون ولا رازق! أما تسمعون الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق الذين يقولون بأن الطبيعة هي التي تخلق!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

عباد الله! الكفار الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره يعترفون أن الخالق هو الله، وأن الرازق هو الله، وأن المحيي والمميت هو الله. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

نعم، يعترفون أن الخالق هو الله، ما سمعنا عبر التاريخ أحداً قال إنه هو الذي خلق السمٰوات، أو هو الذي خلق الأرض! وقد أخبرنا ربنا عن النمرود عندما قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾

[البقرة: ٢٥٨]، فقال النمرود بجهله: أنا أحيي وأميت، فلم يجادله إبراهيم ولكن قال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثم تأتي الملاحدة في هذا العصر يقولون: لا خالق! وهم يعلمون بفطرتهم أن الخالق هو الله، ولكن جحدوها بعد أن استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً.

إخوة الإسلام! الراعي للإبل في الصحراء، إذا فكر عرف الحقيقة فهذا راعٍ للإبل يفكر ويقول: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على العليم الخبير؟!!.

وهذا موقف سمعنا به وقرأناه يدل على أن الملاحدة والكفار إذا تعرضوا لشدة لا يدعون إلا الله، فهذه طائرة في جو السماء مليئة بالملاحدة الكافرين ـ وفيهم من يشرب الخمر ـ وفجأة اختلَّت الطائرة وأخذت تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال، إنه لموقف رهيب! أيقنوا جميعاً الهلاك ـ ولا يُقدِّر هذا الموقف قدره إلا من تعرَّض له ـ الطيار لا يملك للطائرة شيئاً، والركاب لا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة، وإذا بالقلوب تتجه إلى ربها، وإذا بالألسنة تتجه جميعاً تقول: يا رب! كلٌ بلغته، فنجاهم الله ونزلوا إلى الأرض، وبعد أن وصلوا إلى بلادهم رجعوا إلى الكفر والإلحاد مرة ثانية! ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧].

الشاهد أنهم عرفوا ربهم في الشدة، وهذا في كتاب الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: ٢٢] فلما نجاهم أشركوا، وهذا دأب الإنسان إذا لم يمتلئ قلبه بالعقيدة الصحيحة.

فتبين من ذلك أن الكفار يعترفون بهذا التوحيد ـ توحيد الربوبية ـ

كما سمعتم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ومع ذلك فإنهم إذا ماتوا على هذا التوحيد فقط ولم يعبدوا الله ﷻ فلن يشموا رائحة الجنة ولن يدخلوها؛ بل سيخلدون في نار جهنم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، فإيمانهم أنهم يقولون: الخالق هو الله، والرازق هو الله... وشركهم أنهم عبدوا مع الله آلهةً أخرى آمنوا وأشركوا؛ لأنهم عرفوا الخالق والرازق وعبدوا غيرَه!.

إخوة الإسلام! ولعل سائل يسأل فيقول: المسلمون في كل مكان يُذَّبحون ويقتلون ويسجنون ونحن لا زلنا نتكلم في العقيدة؟! نقول: نعم، نتكلم في العقيدة وهي أولاً. لماذا؟ لأَننا بالعقيدة ننتصر ونمكن في الأرض، وبالعقيدة نتحصل على العزة وتأتلف القلوب، فالله ﷻ وعد ووعده الحق فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، وهؤلاء هم أصحاب العقيدة الصحيحة.

وهل في الأمة الإسلامية من يشرك في توحيد الربوبية؟! هل يوجد بيننا من يعترف أن الخالق هو الله والرازق هو الله... ثم بعد ذلك يشرك في هذا التوحيد! تعالوا واسمعوا ولا تتعجبوا، فربما يكون من هؤلاء من يجلس أمامنا، ولكن باب التوبة مفتوح على مصراعيه.

هذا رجل في عيد الأضحى الماضي يذبح أُضحيته، وبعد أن ذبحها أخذ مِنْ دمها ودهن سيارته من أسفل لماذا؟ يعتقد أن هذا الدم أو هذا الفعل يحفظ سيارته من العين ومن الحسد ومن الحوادث!! هذه عقيدة فاسدة وشرك، نقول لهذا الرجل: مَن النافع والضار؟ أتعتقد أن هذا الدم أو هذا الفعل يمنع العين!.

انظروا إلى كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام، هذا يعلّق عيناً على

سيارته أو كفّاً، ـ والمصيبة أَنَّ هناك من المسلمين من يبيع هذه العين وتلك الكف ـ وهناك آخر يعلق نعلاً على سيارته! ترون ذلك أم لا؟ وهذه عقيدة فاسدة! وإذا سألته مَن النافع أو مَن الضار؟ يقول: الله! إذاً لماذا هذا النعل والكف على السيارة؟! ومن العجب العجاب ومما أدهشني يوماً إذ أنا أسير بسيارتي فوقفت أمامي سيارة عليها إشارة تدل على أن صاحبها طبيب فنظرت إلى مؤخرة السيارة، فإذا بنعلٍ معلق في مؤخرة السيارة! فقلت: سبحان الله! طبيب ويعتقد أن هذا النعل يحفظ سيارته من العين! ولكن لِمَ أتعجب، وهؤلاء الهنود تقدموا في الدنيا تقدماً عظيماً وحتى هذه الساعة يعبدون البقر!! وهؤلاء اليهود في أمور الدنيا علماء ومع ذلك يقولون: عُزير ابن الله!! فلا تتعجب إن رأيت إنساناً يحمل شهادات عُليا في الدنيا ويعلق كفاً وخرزةً على سيارته يعتقد أن ذلك يمنع الحسد! عقيدة فاسدة! شرك في الربوبية!! كما أن من المسلمين في بلاد المسلمين من يطوفون بالأولياء والصالحين؛ يطوفون بالقبور كما يطوفون ببيت الله الحرام ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله، حتى إنهم يعتقدون ويقولون: إذا اشتدت الأمور فعليكم بأصحاب القبور!!! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ورسولنا ﷺ يقول لابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(١)].

إخوة الإسلام! ومن المسلمين من يخاف من الجن! والدليل على ذلك: أنك تراه يصلي، وإذا سألته: مَن بيده النفع والضرّ؟ قال: الله. ولكنه إذا بنى بيتاً جديداً فإنه يأتي بذبيحة يذبحها على سقف البيت حتى يسيل دمها! وهو يعتقد أن ذلك يحفظه من الجن! وكذلك يفعله أَحدهم إذا اشترى سيارة، وإذا سكن بيتاً جديداً وإذا حفر بئراً يظن ويعتقد أنها تحفظه من الجن! أرأيتم ذلك! عباد الله! هذه الذبيحة حرام ولا يجوز أن يؤكل

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١١/ ١٧٨)، طس: (٥/ ٣١٦)، هب: (١/ ٢١٦)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

منها، وصاحبها قد أشرك بفعله في توحيد الربوبية! أما إذا بنيت بيتاً جديداً فلا مانع أن تذبح ذبيحة لله فهي نعمة من الله، وشكر النِعم واجب، ثم تقوم بتوزيعها على الفقراء؛ أَنْ منَّ الله عليك بهذا البيت الجديد. وهناك كثير من الناس يخافون من السحرة أكثر مما يخافون من الله، ويعتقدون أن الساحر يضر وينفع! لا والله! لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف. ومن النساء مَن إذا سمعت أن زوجها يريد أن يتزوج عليها، فإنها تهرول إلى السحرة وهي تعتقد أنها إذا صنعت له حجاباً امتنع أن يتزوج عليها! عقيدة فاسدة!!.

ورجل لا ينجب الأولاد يهرول إلى السحرة؛ يعتقد أنهم إذا صنعوا له حجاباً أنجب الأولاد! عقيدة فاسدة! أما تقرؤون القرآن! يقول ربنا ـ جلّ وعلا ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] فهو عليم بأحوال عباده، قدير على أن يعطي هذا ويمنع هذا، ولو كنا نؤمن أن الله ﷻ بيده الأمر كله ما فعلنا ذلك.

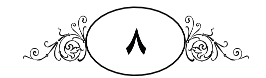
إخوة الإسلام!

شرك في الربوبية واقع بين المسلمين وفي بلاد المسلمين! فيجب على كل إنسان وقع في نوعٌ من أنواع الشرك أن يتوب إلى الله، وأن يرجع قبل فوات الأوان. اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد. . .

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁



مِنْ مظاهر الشرك في توحيد الربوبية

عباد الله! تكلمنا في الجمعة الماضية عن توحيد الربوبية وقلنا: إنه يجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله هو خالق كل شيء، وهو المالك والمدبر لكل شيء، وهو الرازق والمحيي والمميت، وهو النافع والضار، وهو الذي يدبر أمر العباد أجمعين وإليه يرجع الأمر كله. عقيدة راسخة في القلب، يموت الإنسان وهو يَدين اللّهَ بها، وقلنا في الجمعة الماضية: إن كثيراً من الناس يشركون في توحيد الربوبية وضربنا أمثلةً على ذلك، كما قال ربنا ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

إخوة الإسلام! ولما كان الشرك وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة، فقد قررنا ـ إن شاء الله تعالى ـ أن نتكلم أيضاً في هذا اليوم عن بعض مظاهر الشرك في توحيد الربوبية؛ تحذيراً من الوقوع فيه، وإن كان قد وقع فيه الكثير من الناس إلا من رحم ربي.

عباد الله! من مظاهر الشرك في توحيد الربوبية [**الطِّيَرةُ أو التشاؤم**].

التطير وهو التشاؤم: عادةٌ كانت منتشرةً في الجاهلية قبل الإسلام، كان الرجل إذا خرج من بيته قاصداً السفر أو غير ذلك فرأى طائراً يطير من جهة اليمين إلى جهة الشمال رجع عن قصده إلى بيته متشائماً، وأما إذا خرج من بيته فوجد طائراً يطير من جهة الشمال إلى جهة اليمين مضى إلى قصده متفائلاً. فجاء ﷺ بهذا الدين العظيم وبهذا النور المبين إلى البشرية وهم يتقلبون في ظلمات الجهل فأبطل هذا المعتقد، وبيَّن لهم أن هذا الذي تتشاءمون منه لا يملك جلب نفع أو دفع ضر، وبيَّن لهم أن

التطير والتشاؤم شرك فقال ﷺ: «**الطِّيرةَ شِرك، الطِّيرة شرك، وما منّا إلّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لا عدوى ولا طِيَرة ولا هامة ولا صَفر**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**ليس منّا من تطيَّرَ ولا من تُطيِّرَ له، أو تكهَّنَ أو تُكهِّن له، أو تَسحَّرَ أو تُسحِّرَ له**»[(٣)].

ورُبَّ سائل يسأل: **لماذا كان التشاؤم أو التطير شركاً؟**.

الجواب: لأن المتطير أو المتشائم يعتقد في قلبه أن الذي تطيَّر أو تشاءم منه قادر على أن يضره، وهذا ينافي كمال التوحيد، وهذا ينافي كمال الإيمان، فالمؤمن الصادق الموحّد يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه، ويعلم بأن الأمر لله ﷻ وحده، ولذلك يجب على المسلم إذا مضى إلى أمرٍ ما فتشاءَم منه، أن يمضي متوكلاً على الله، فإن رجع متشائماً فقد أشرك.

والتشاؤم والتطير ينافيان التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب.

يعتقد الكثير أنه إذا سمع كلباً ينبح ليلاً، فإن ذلك يبشر بأن أحداً سيموت! ويعتقد الكثير أن البومة إذا وقفت على بيت فلان أو فلان فكأنها تنعى صاحب هذا البيت فيتشاءَمون! اعتقاد باطل! عقيدة فاسدة! ولو كانوا يعتقدون أن الأمر يرجع إلى الله وأنه سبحانه إليه يرجع الأمر كله ما تشاءموا، ولذلك بيَّن لنا ﷺ فقال: «**من ردَّته الطِّيرة عن حاجته فقد أشرك**»، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: «**يقول أحدهم: اللّهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: د: (٣٩١٠)، هـ: (٣٥٣٨)، حم: (١/ ٣٨٩)، حب: (٦١٢٢)، ك: (١/ ٦٤)، خد: (٩٠٩)، [«س.ص» (٤٢٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٤٢٥).

(٣) **صحيح**: طب: (١٨/ ١٦٢)، [«ص.ج» (٥٤٣٥)].

(٤) **صحيح**: حم: (٢/ ٢٢٠)، [«س.ص» (١٦٠٥)].

إخوة الإسلام! وبالإضافة إلى أن التطير والتشاؤم شرك، فإنه خلقٌ ذميم من أخلاق المشركين والكفرة وأعداء الرسل، فإذا قرأنا القرآن وجدنا أن كفار مكة عندما بُعث فيهم محمد ﷺ تشاءموا منه وتطيروا منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

وكذلك قوم صالح قالوا لنبي الله صالح: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل: ٤٧]؛ أي: تشاءمنا بك وبمن جاء معك.

وكذلك أصحاب القرية قالوا لرسلهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس: ١٨]؛ أي: تشاءمنا بكم. فالتشاؤم والتطير شرك وخلق ذميم.

إخوة الإسلام! ومن مظاهر الشرك في توحيد الربوبية أيضاً: [الرُّقى، والتمائم، والتِّوَلَة].

قال ﷺ: «**إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّولة شركٌ**»(١).

ما هي الرقى؟ هي العزائم؛ أي: ما يقرأُ على المريض، ومنها ما هو جائز شرعاً، ومنها ما هو شرك، والرسول ﷺ قال: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»(٢). وثبت أن جبريل عليه السلام رقى النبي ﷺ، وثبت أن النبي ﷺ رقى أصحابه، وأن الصحابة رقى بعضهم بعضاً. ولذلك أجمع العلماء على جواز الرقى ولكن بثلاثة شروط، كما قال الإمام النووي رحمه الله وغيره، فانتبهوا يا عباد الله؛ لأن في هذا الزمان فريقاً من الناس جَنّدوا أنفسهم للرقى، ويشار إليهم بالبنان حتى إن أحدهم يقول في المجلس: أنا

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٥٣٠)، حم: (١/ ٣٨١)، حب: (٦٠٩٠)، طب: (١٠/ ٢١٣)، [«ص.ج» (١٦٣٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٠٠).

أَرقي وأنا أُخرِّج الجن! ولم يدرِ المسكين أن هذه تزكية منه لنفسه، والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]، وليس العيب أن تخطئ، ولكن العيب أن تبقىٰ مصرًّا على الخطأ.

إخوة الإسلام! الرُّقَى مشروعة بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن تكون بكلام الله [أي بشيء من القرآن]، مثل: الفاتحة، وآية الكرسي، والمعوذتين، ويجوز أن ترقي نفسك وأن ترقي غيرك، فالقرآن كلام الله فيه شفاء للمؤمنين.

الشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي وبما يفهم معناه، فما كان من كلام لا يفهم أو كتابة أو رسومات لا تعرف، فهو من فعل السحرة والمشعوذين ولا يجوز ذلك أبداً.

وجاء في السنّة ما يثبت ذلك، فقد صح أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال ﷺ: «**نعم**». قال جبريل ـ راقياً الرسول ﷺ ومعلماً للأُمة ـ: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يُؤذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك**»[1].

تعلموا يا عباد الله! تركنا ديننا وتعلمنا ما يُعرضُ لنا على شاشات المفسديون! كم منا من يحفظ هذا الدعاء حتى يرقي نفسه وأولاده بدلاً من أن يذهب إلى الكهنة والمشعوذين؟ ولكن كل منّا يحرص أن يأتي لبيته بالقنوات فوق القنوات عبر المفسديون، أما أن يتعلم دينه فلا! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وثبت أن النبي ﷺ كان يعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة**»[2].

كيف يرقي أحدنا نفسه؟ قال ﷺ لمن وجد ألماً في جسده: «**ضع يدك على الذي يَألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات:**

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٨٦). (٢) **صحيح**: خ: (٣١٩١).

أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[(١)]. إذن يستطيع كل إنسان أن يرقي نفسه؛ لأن النافع والشافي هو الله، إذاً لا داعي أن يُنَصِّبَ أحدنا نفسه للرقية؛ فقد علَّمنا رسول الله ﷺ كيف يرقي أحدنا نفسه وأولاده، فإذا رأيت إنساناً مريضاً فلا بأس أن ترقيه بدون أن يطلب منك وتبتغي بذلك وجه الله، وتبتغي بذلك الدار الآخرة.

الشرط الثالث: أن يعتقد الراقي والذي يُرْقىٰ أن الرقى ليست هي الشافية بذاتها وإنما الشافي هو الله، أما الرقى فسبب كالدواء المشروع، فالشافي هو الله والدواء سبب، كذلك الشافي هو الله والرقى سبب؛ لأن الأمر كله يرجع إلى الله.

ومن مظاهر الشرك في توحيد الربوبية [التمائم]:

والتمائم جمع تميمة، والتميمة: ما يُعَلَّق على الأولاد، وعلى السيارات، وعلى الدور، وعلى الدواب من: كفّ، وعين، وخرزة، وغير ذلك.

يقول ﷺ: «**من علَّق تميمةً فقد أشرك**»[(٢)]، فالذي علَّق كفاً على سيارته فقد أشرك، والذي علَّق نعلاً على سيارته أو بيته فقد أشرك. كم من النساء تحمل حجاباً؟! وهناك امرأة كانت إذا أنجبت مات طفلها فقال لها الجهلة: اذهبي إلى فلان الساحر يصنع لك حجاباً فلا يموت طفلك! فذهبت وصنع لها الساحر حجاباً فوضعته على ابنها وقدَّر الله أن لا يموت الطفل، فهذه الأم الجاهلة تعتقد أن الحجاب إذا نُزِعَ عن ابنها فإنه سيموت فوراً! عقيدة فاسدة! شرك! ولو ماتت على هذه العقيدة ما أفلحت أبداً؛ لأنها تعتقد أن الضار والنافع هو الساحر والمشعوذ.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٠٢).

(٢) **صحيح**: حم: (٤/١٥٦)، مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٢/ ٦٠٠)، [«ص.ج» (٦٣٩٤)].

ومن مظاهر الشرك أيضاً: [التِّوَلَةَ]:

والتِّوَلَةُ: ضرب من ضروب السحر يكثر بين الناس، يفعله السحرة.

المرأة إذا عرفت أن زوجها يريد أن يتزوج عليها هرولت إلى الساحر فصنع لها هذه التولة في حجاب تظن أنها تتحبب به إلى زوجها.

والرسول ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائم والتولة شرك**»[١].

والرسول ﷺ يقول: «**من تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه**»[٢].

إذاً تبين لنا أن الطيرة شرك، وتبيَّن لنا أَنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك.

والشرك يا عباد الله ظلمات بعضها فوق بعض، وبالٌ في الدنيا والآخرة، والشرك من أكبر الكبائر؛ قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً**». قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، ـ وجلس وكان متكئاً ـ فقال: «**ألا وقول الزور**» قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٣].

الشرك من أعظم الذنوب؛ سأل ابن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: أي الذنب أعظم؟ فقال ﷺ: «**أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك**»[٤]؛ أي: تشرك بالله وهو خلقك.

الشرك يحبط الأعمال، فإن تأتي يوم القيامة بأعمال حسنةٍ كالجبال وأنت مشرك، فلن تجد لها ثواباً عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٥٣٠)، حم: (١/ ٣٨١)، حب: (٦٠٩٠)، طب: (١٠/ ٢١٣)، [«ص.ج» (١٦٣٢)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٠٧٢)، حم: (٤/ ٣١٠)، ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٥/ ٣٦)، [«غاية المرام» (٢٩٧)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

الشرك لا يغفر إلا بالتوبة الصادقة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

الشرك يَحْرِمُ صاحبه من الجنة ويدخلُه النارَ. قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

النافع هو الله والضار هو الله، فالمؤمن الموحِّد صاحب العقيدة السليمة يعيش في الدنيا مطمئناً قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلَّه له خيرٌ، وليسَ ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابتهُ سراءُ شكرَ فكان خيراً لهُ، وإن أصابتهُ ضراءُ صَبرَ فكانَ خيراً لهُ**»[١].

وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**يا غلام، إني أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٢]، فالأمور ترجع إلى الله، إليه يرجع الأمر كله.

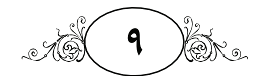
اللّهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، وقلباً خاشعاً
ولساناً ذاكراً، وجسداً على البلاء صابراً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ك: (٣/ ٦٢٣)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].



توحيد الألُوهية

عباد الله!

في الجمع الماضية تكلمنا عن توحيد الربوبية وعن مظاهر الشرك فيه وتبين لنا أن كثيراً من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ يقعون في هذا الشرك كما أخبر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ فقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع النوع الثاني من أنواع التوحيد، ألا وهو **توحيد الألوهية**.

ومعناه: أنه يجب على المؤمن أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ وحده هو المستحق للعبادة دون سواه، فلا معبود بحق إلا الله؛ لأن الله ﷻ هو الحق وما يدعون من دونه هو الباطل، فالذي يعبد غير الله لا عقل له!

وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن، وهو: لماذا الله وحده هو المستحق للعبادة؟.

الجواب: لأن الله ﷻ هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي يحيي ويميت، وهو المالك المدبر لكل شيء، وهو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى وأن يُعبد، كما قال ـ تعالى ـ عن نفسه: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦]، والله ﷻ في كتابه يُذَكِّر عباده بذلك ويقررهم به، فإن اعترفوا دعاهم إلى عبادته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا

يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، والناسُ عبر التاريخ يعترفون أن الأرض لله، وأنه هو الذي خلقها وهو يورثها من يشاء من عباده، فجعلهم يعترفون، ثم بعد ذلك دعاهم لعبادته، كما قال ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١، ١٠٢]، فالذين يعبدون البقر! والذين يعبدون الشمس والقمر والدينار والمنصب! هلَّا عبدوا الذي خلقهم!! لكن إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

إخوة الإسلام: العبادة ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)، الظاهرة مثل: الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك، والباطنة مثل: الخوف والرجاء والإنابة والتوكل والحب وغير ذلك.

كلها تُصْرَفُ لله وحده، وهذه العبادات لا تقبل عند الله ﷻ يوم القيامة ولا يجد صاحبها عند الله ثواباً إلا بأربعة شروط، فانظر ـ يا عبد الله ـ هل تُحقِّقُ هذه الشروط في كل عباداتك لله ـ تعالى ـ، أم أنك تصلّي لله وتذبح لغير الله؟!.

الشرط الأول ـ الإيمان الصادق: قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾

[الكهف: ١٠٧] إيمان وعمل صالح، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. وقال ﷺ للرجل: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[١].

أعمالٌ صالحة مع إيمان صادق تقبل عند الله، أعمال صالحة مع عقيدة فاسدة لا تقبل عند الله، الإيمان أولاً، العقيدة أولاً، ثم الاستقامة؛ فالأعمال تأتي بعد العقيدة والإيمان، والأخلاق تأتي بعد العقيدة والإيمان، والأدب يأتي بعد العقيدة والإيمان، فلو كان الأدب أولاً لقال ﷺ للرجل: استقم، ثم قل: آمنت بالله! لكنه قال له: «**قل: آمنتُ بالله، فاستقم**»، فالعقيدة أولاً قبل كل شيء، قبل الصلاة، وقبل الأمر بالمعروف، وقبل النهي عن المنكر.

الشرط الثاني ـ الإخلاص لله: والإخلاص في العمل: هو أن تبتغي بعملك وجه الله! إن صليت تصلي لله، لا رياء ولا سمعة، وإذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر تبتغي بذلك وجه الله، وهكذا، كل أعمالك الصالحة تكون لله تبارك وتعالى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله) مخلصاً دخل الجنة**»[٢].
وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية وإنما لِامْرِئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٣].

الشرط الثالث ـ موافقة العمل للسنّة: لا تبتدع في دين الله، وإياك

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).
(٢) **صحيح**: طس: (٢/٥٦)، حل: (٩/٢٥٤)، [«ص.ج» (٦٤٣٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦٣١١)، م: (١٩٠٧).

ومخالفة السنّة؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

الشرط الرابع ـ الابتعاد عن الشرك:

فالشرك يحبط الأعمال، فإن تأتي يوم القيامة بأعمالٍ كالجبال ولكنك قد أشركت بالله سبحانه، فسَتُرَدُّ عليك أعمالُك؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، قال ﷺ: «**قال الله ـ تعالى ـ: من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[2]، والله وصف عباده المتقين أنهم لا يشركون؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩]. والعجب كل العجب من امرأة تصلي عندنا وتسمع المواعظ ومع ذلك في كل عام تذبح لشعيب وتتقرب بذلك إلى الله! والحمد لله أنها بعدما سألت وعرفت الحق تابت وأنابت إلى الله، فنسأل الله أن يقبل توبتها، فالله تعالى يقول آمراً محمداً ﷺ وأمته من بعده: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

إخوة الإسلام: توحيد الألوهية من أهم أنواع التوحيد؛ ومن أجله خلق الله السمٰوات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣]، ومن أجل هذا التوحيد خلقك الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] كلنا يحفظها، خلقت لعبادة الله،

(١) **صحيح**: م: (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٨٥).

ما خلقت يا عبد الله لتكون عبداً للدنيا! وما خلقت ـ يا عبد الله ـ لتكون عبداً للدينار أو غير ذلك، إنما خلقت لتكون عبداً لله.

• من أجل هذا التوحيد أرسل الله الرسل للبشرية، جاؤوا ليبينوا للناس كيف يعبدون الله عز وجل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وما من رسول جاء إلى قومه إلا وهو يدعوهم فيقول: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

• من أجل هذا التوحيد أنزل الله الكتب؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود: ١، ٢].

توحيد الألوهية الذي معناه: لا معبود بحق إلا الله، هو حق الله على العباد، فحق الله على العباد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً؛ قال ﷺ: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يُعْبَدَ الله ولا يشرك به شيئاً**»[(١)]. كم منا من ضيع حق الله في نفسه وفي أهله وفي أولاده؟!!.

توحيد الألوهية هو حق الله على العباد، فإن أدَّينا حق الله علينا حصل لنا ما نريده ونأمله، فمن ذلك:

أولاً: رفع الله عنا العذاب في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «**أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن لا يعذبهم**»[(٢)].

(١) **صحيح**: خ: (٥٩١٢)، م: (٣٠). (٢) **صحيح**: المصدر السابق.

ثانياً: مَكَّنَنَا الله في الأرض؛ أي: أقام لنا دولة الإسلام في الأرض، فإلى الذين يتشدقون ليلاً ونهاراً بإقامة دولة الإسلام نقول لهم: لن تكون هذه الدولة إلا بعد أن نؤدِّي حق الله علينا، ولا يختلف اثنان بأننا مقصِّرون في حق الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمّد: ٧]، فهل نصرنا الله وأدينا الصلاة في وقتها؟! هل نصرنا الله فامتنعنا عن الربا؟! هل نصرنا الله فأقمنا شرعه؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، كلُّ ذلك يحصل لنا بشرط تحقيق توحيد الألوهية.

ثالثاً: حفظنا الله من كيد شياطين الإنس والجن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]، والشيطان قد استحوذ علينا ـ إلا من رحم ربي ـ فأنسانا ذكر الله، فطوال اليوم نركض وراء الدنيا وبالليل نعكف على المفسديون، فالله المستعان.

أمة الإسلام: طال النوم وطال الرقود، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]، أما آنَ الأوان أن نعود إلى الله؟! أما آن الأوان أن نحجِّب نساءنا؟ أَما آنَ الأوان أن نعود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟!.

رابعاً: عشنا في أمن وأمان؛ فالأمن والأمان لن يكونا إلا إذا أصبحنا عبيداً لله وحده، فكلنا سيشعر بالأمن والأمان على نفسه وعلى ماله وعلى زوجه وأولاده حينئذٍ؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

إذاً فلاح الدنيا والآخرة بتحقيق هذا النوع من التوحيد؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

اللّهم رُدَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً

❁ ❁ ❁

١٠

معنى (لا إِله إلَّا الله) وشروطها

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن توحيد الألوهية وقلنا: إن معناه أنه يجب على المسلم أن يعتقد في قلبه اعتقاداً جازماً أن الله وحده هو المستحق للعبادة، أي: لا معبود بحق إلا الله. وهذا هو معنى (لا إله إلا الله).

- وموعدنا في هذا اليوم مع (لا إله إلا الله).

أمة الإسلام: (لا إله إلا الله)، هي كلمة التوحيد التي من أجلها خلق الله الخلق؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

- (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي من أجلها قاتل الرسول ﷺ، ومن أجلها استُشهد الصحابة رضوان الله عليهم، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»(١).

- (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي من قالها وشهد أن محمداً رسول الله دخل في الإسلام وأصبح من المسلمين وحَرُمَ ماله ودمه؛ قال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله)، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حَرُم ماله ودمه، وحسابه على الله**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٣).

• (لا إله إلا الله) أعلى شعب الإيمان قال ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول (لا إله إلا الله)، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»(١).

• (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي من قالها وهو على فراش الموت ثم صعدت روحه إلى بارئها دخل الجنة، قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»(٢).

• (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي تمنع صاحبها من الخلود في النار، قال ﷺ: «**فإن الله حرَّم على النار من قال: (لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله**»(٣).

وفي حديث الشفاعة يقول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ لملائكته: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»(٤).

أمة الإسلام: اعلموا أنَّ (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد التي شهد الله بها لنفسه، وشهد له ملائكته وأولوا العلم من خلقه، قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

إخوة الإسلام! **وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن: هل كل من قال: (لا إله إلا الله) نفعته في الدنيا والآخرة وكان من أهلها؟** الجواب: لا، لِمَ؟ لأن المنافقين في كل زمان ومكان يقولون: لا إله إلا الله، ويشهدون أن محمداً رسول الله، ومع ذلك هم في الدرك الأسفل من النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]. وفي هذا الزمان العجيب كثير من الناس يقولون:

---

(١) **صحيح**: م: (٣٥).

(٢) **صحيح**: د: (٣١١٦)، حم: (٥/٢٤٧)، ك: (١/٥٠٣)، طب: (٢٠/١١٢)، هب: (١/١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤١٥)، م: (٣٣).

(٤) **صحيح**: خ: (٢٢)، م: (١٨٤).

(لا إله إلا الله) ويشهدون أن محمداً رسول الله، و(لا إله إلا الله) منهم بريئة! وهم في الدرك الأسفل من النار! لأنهم قالوها بأفواههم وكفرت بها قلوبهم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٨، ٩]، قالوا: (لا إله إلا الله) بأفواههم وكذَّبوا بها بقلوبهم وكرهوا أهلها!!

أما من يقول: (لا إله إلا الله) ويأتي بشروطها ويعمل بمقتضاها، فهو الذي ينتفع بها في الدنيا والآخرة، ويكون من أهلها.

إخوة الإسلام: **لا إله إلا الله لها شروط ثمانية من جاء بها وعمل بمقتضاها انتفع بها في الدنيا والآخرة** وأصبح من أهلها، فها هي الشروط أضعها بين أيديكم وتُسألون عنها أمام الله يوم القيامة، فمن كان يريد أن ينجو من عذاب الله، فعليه أن يعلم هذه الشروط ويعمل بمقتضاها ليكون من أهل (لا إله إلا الله).

الشرط الأول [العلم بمعناها]: على من يقول: (لا إله إلا الله) أن يعلم معناها ـ والكثير يقول: (لا إله إلا الله) لا يفهم معناها ـ، قال ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]. وقال ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»(١).

اعلم يا عبد الله أن (لا إله إلا الله) نفيٌ وإثباتٌ: (لا إله) نفيٌّ، (إلا الله) إثباتٌ، فعليك أن تنفي الألوهية عن كل الآلهة وتثبتها لله وحده؛ لأن الله هو الحق وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل.

أمة الإسلام: والجهل بلا إله إلا الله أوقع الكثير من الناس في الشرك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فهاهم قوم موسى نجاهم الله من

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦).

عدوهم فلما عبروا البحر إلى الشاطئ الآخر ومروا على جماعة يعكفون على أصنام لهم يشركون بالله قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٤٠]. فالذي يقول: (لا إله إلا الله) ويدعو غير الله جاهل بـ (لا إله إلا الله)، الذي يقول: (لا إله إلا الله) ويطوف بقبور الأولياء الصالحين جاهل بـ (لا إله إلا الله)، فيجب على قائلها أن يعلم معناها.

الشرط الثاني: [اليقين المنافي للشك]؛ أي على قائل (لا إله إلا الله) أن يكون مستيقناً بها قلبهُ، فالله ﷻ وصف في كتابه عباده المؤمنين الصادقين بأنهم لم يرتابوا؛ أي لم يشكوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]. وقال ﷺ: «**أشهد أن (لا إله إلا الله) وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**»(١). وقال ﷺ لأبي هريرة: «**فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن (لا إله إلا الله) مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة**»(٢).

ووصف ربنا المنافقين أنهم يشكُّون في (لا إله إلا الله) فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، أي شكّت قلوبهم فهم في شكهم يترددون، ولذلك فإن المنافق مذبذب بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

الشرط الثالث: [القبول لـ (لا إله إلا الله)] وما اقتضته (لا إله إلا الله) بقلبك ولسانك وجوارحك، فعلى قائل (لا إله إلا الله) أن يقبل ما جاءت به، فالله ﷻ وصف عباده المؤمنين الذين يقولون لـ (لا إله إلا الله):

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧). (٢) **صحيح**: م: (٣١).

بالسمع والطاعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، ووصف المكذبين أنهم إذا قيل لهم: قولوا: (لا إله إلا الله) يستكبرون، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥]. كم من الناس في هذا الزمان إذا قيل لهم: قولوا: (لا إله إلا الله)، تحاكموا إليها، وعيشوا في ظلها، وجاهدوا من أجلها، تراهم يستكبرون؟! ويقولون: أئنا لتاركوا ألهتنا للمتطرفين والمتشددين!! فلا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

الشرط الرابع: [الانقياد والاستسلام لـ (لا إله إلا الله)]؛ أي على قائل (لا إله إلا الله) أن يستسلم لها ولما جاءت به؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤]؛ أي: ارجعوا إلى ربكم. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]؛ أي: ينقاد إلى الله وهو موحد، فإن فَعَلَ ذلك فقد استمسك بـ (لا إله إلا الله).

الشرط الخامس: [الصدق المنافي للكذب]، على القائل لـ (لا إله إلا الله) أن يقولها صادقاً من قلبه، وكثير من الناس يقولون: (لا إله إلا الله)، وهم من أكذب الناس!

قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]، وقال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**»[1].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٨)، م: (٣٢).

الشرط السادس: [الإخلاص]، على القائل لـ (لا إله إلا الله) أن يَصْرف عبادته لله وحده لا لغيره، ومن صرف من عبادته شيئاً لغير الله فقد أشرك ووقع في الشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: «**أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه**»[1]. وقال ﷺ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[2].

الشرط السابع: [المحبة لأهلها]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وقال ﷺ: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجدَ بِهِنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[3].

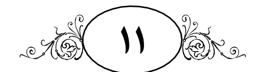
الشرط الثامن: [الكفر بالطواغيت]، والطاغوت هو: كل ما يُعْبَد من دون الله برضاه، فلو أن إنساناً رضي من الناس أن يعبدوه فهو طاغوت.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله) وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُمَ ماله ودمه وحسابه على الله**»[4].

أسأل الله أن يفقهنا وإياكم في معنىٰ لا إله إلا الله
وأن يجعلنا من أهلها

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٩). (٢) **صحيح**: خ: (٤١٥)، م: (٣٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٥٤٢)، م: (٤٣). (٤) **صحيح**: م: (٢٣).



من لوازم (لا إله إلَّا الله): الولاءُ والبراءُ

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن: (لا إله إلا الله) وقلنا: إن معناها أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، وقلنا: إن من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه وجاء بشروطها وعمل بمقتضاها، فهو من أهلها وهو المنتفع بها في الدنيا والآخرة.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع قضية مهمة من القضايا التي تتعلق بـ (لا إله إلا الله) ألا وهي الولاء والبراء.

• الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله) أي: يجب على المسلم الذي قال: (لا إله إلا الله) صادقاً من قلبه أن يتبرأ من الكفر وأهله الذين كفروا بـ (لا إله إلا الله)، كما يجب عليه أن يحب الإيمان ويوالي أهله الذين قالوا: (لا إله إلا الله)؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال بعض الصالحين: إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحَّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين.

• الولاء والبراء دليل على كمال الإيمان؛ يقول ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(١).

• الولاء والبراء من أوثق عرى الإيمان؛ قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض**

---

(١) صحيح: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، ش: (٧/ ١٣٠)، [«ص.ج» (٥٩٦٥)].

في الله»[١].

• الولاء والبراء يجعلك من أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تناله ولاية الله** عز وجل **بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك**»[٢]؛ أي: يوالي في الله ويعادي في الله.

أمة الإسلام: **الولاء معناه:** الحب، والنصرة، والاتباع، والقرب، فقولنا: فلان يوالي فلاناً؛ أي: يحبه وينصره ويتبعه ويتقرب منه.

وولاء المؤمن يكون لله ولرسوله ولكل المؤمنين الذين قالوا: لا إله إلا الله، وجاؤوا بشروطها وعملوا بمقتضاها.

والدليل من كتاب ربنا قولُه - تعالى -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

إخوة الإسلام: وقد بيّن لنا ربنا في كتابه كيف كان الولاء بين المسلمين في الصدر الأول، ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة؛ لنكون مثلهم، لنحشر معهم يوم القيامة، فذكر لنا ربنا - جلَّ وعلا - من صفات المهاجرين؛ قال - تعالى -: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، صدقوا في ولائهم لله ولرسوله وللمؤمنين، فخرجوا من ديارهم وأموالهم حباً لله وولاء لله، وقال - جلَّ وعلا - في حق الأنصار

---

(١) **صحيح**: طب: (١١/ ٢١٥)، [«ص.ج» (٢٥٣٩)].

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣١٢)، و«جامع العلوم والحكم» (ص٣٠).

الذين استقبلوهم في المدينة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]، الأنصار استقبلوا المهاجرين في المدينة حباً لله وولاءً له، أعطوا أموالهم للمهاجرين، أسكنوهم في بيوتهم حباً لله.

والذين جاؤوا من بعدهم وساروا على نهجهم يحبون من سبقهم لله؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

المهاجرون خرجوا من ديارهم حباً لله، والأنصار استقبلوهم في ديارهم حباً لله، والذين جاؤوا من بعدهم يدعون لهم محبة لله، فإذا كان الولاء بين المؤمنين لله تَحَقَّقت الأُخوة بينهم كما وصفهم الله في كتابه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠]، و﴿إِنَّمَا﴾ هنا للحصر؛ أي: هذه الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين الصادقين، إنما المؤمنون إخوة بولائهم لله، عندها نصبح بولائنا الصادق لله كالبناء الواحد في قوته ـ ونحن في أمس الحاجة في هذا الزمان أن يكون الولاء بيننا لله ـ قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وشبك ـ ﷺ ـ بين أصابعه[1]. الولاء إذا كان بيننا لله، فإننا نصبح كالجسد الواحد في حساسيته؛ قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**»[2].

إن كان الولاء بيننا لله أنزل الله علينا رحمته؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

(١) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٦).

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

إخوة الإسلام: البراء معناه: البغض والكراهية والابتعاد والنفور، يُقال: فلان يتبرأ من فلان؛ أي: يبغضه ويكرهه ويعاديه وينفر منه، والبراء: يكون من المؤمن لكل من كفر بـ (لا إله إلا الله)، والبراء: عكس الولاء؛ أي: لا يجوز للمسلم أن يوالي الكفار مهما كانوا وأينما وجدوا؛ استجابةً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

إخوة الإسلام: وقد ضرب الله لنا مثلاً في كتابه بنبيّه إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه كيف تبرؤوا من قومهم؛ لأنهم كفروا بـ (لا إله إلا الله) لنتأسّىٰ بهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤]. تأسّوا بإبراهيم والذين معه، انظروا ماذا قالوا لقومهم ولأقرب الناس إليهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

عباد الله: رُبَّ سائل يسأل: لماذا يجب على المسلم أن يتبرأ من الكفار؟ أي: لماذا يحرم على المسلم أن يوالي الكفار؟.

أولاً: لأنهم كفروا بـ (لا إله إلا الله)، والميزان عندنا هو الشرع، فمن آمن بـ (لا إله إلا الله) أصبح أخاً لنا في الإسلام، أما من كفر بـ (لا إله إلا الله) فإنا نتبرأ إلى الله منه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات: ٣٥].

ثانياً: لأن الكفار ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٣٧﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧].

ثالثاً: لأن الكفار لا يحبون المؤمنين؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١١٩﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

رابعاً: لأن الكفار يتمنون لنا بالليل والنهار أن نعود كفاراً كما كفروا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إخوة الإسلام: إذا عرف المسلم أن الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله) ـ أي: من العقيدة، أي: من الأمور التي يجب أن نعتقدها ونموت عليها، وعرف أن الكفار يعملون ليلاً ونهاراً حتى نرجع كفاراً بعد أن نجّانا الله من الكفر ـ فلا يجوز للمسلم **أولاً**: أن يوالي الكفار؛ استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

ثانياً: لا يجوز للمسلم أن يتشبه بالكفار في أي أمر من الأمور التي هي مِنْ صفاتهم كاللباس وغير ذلك؛ استجابة لقوله ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»(١).

ثالثاً: لا يجوز للمسلم أن يقيم بين أظهر الكفار، فالذين يهاجرون من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، ويتجنسون بجنسية الكفار ويعيشون بين أظهر الكفار فليعلموا أن من فعل ذلك فقد عصى الله ورسوله؛ يقول ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»(٢).

رابعاً: لا يجوز للمسلم أن يتخذ بطانةً له من الكفار؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨].

خامساً: لا يجوز للمسلم أن يستغفر للكافر ولو كان من أقرب الناس إليه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

سادساً: لا يجوز للمسلم أن يطيع الكفار؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وانظروا إلى أحوال المسلمين عندما أطاعوا الكفار! هذا لباسنا! وهذه بيوتنا! وهذه نساؤنا! تشبهنا بالكفار فانسلخنا من ديننا!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سابعاً: لا يجوز للمسلم أن يركن إلى الكفار؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، حم: (٢/ ٥٠)، طس: (٨/ ١٧٩)، عب: (١١/ ٤٥٣)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].

(٢) **حسن**: د. (٢٦٤٥)، ت: (١٦٠٤)، طب: (٢/ ٣٠٣)، [«ص.ج» (١٤٦١)].

تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

إخوة الإسلام: الولاء والبراء في الإسلام يكون لله، العطاء لله، والمنع لله، والحب لله والبغض لله. انظروا إلى أحوالنا الآن؛ اختلط الحابل بالنابل، وأصبح الولاء بيننا للدنيا الفانية! أصبح الحب للدنيا والمنع للدنيا! هذا يوالي هذا لأنه من حزبه ومن جماعته! وهذا يوالي هذا لأنه يتحصل على المال من ورائه!... وهكذا.

انظروا إلى أحوال المسلمين الآن، تجدوا أننا أصبحنا أشداء على أنفسنا، رحماء على الكفار! والواجب العكس: أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا، كما وصف ربُّنا ـ جَلَّ وعلا ـ نبيَّنا وأصحابه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

فيا أمة الإسلام! أقول ناصحاً ومحذراً: استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله ﷻ قال محذراً في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

نسأل الله العلي القدير أن يردَّ المسلمين إلى دينه رداً جميلاً
وأن يجعلنا رحماء فيما بيننا، أشداء على أعدائنا؛
إنه وليُّ ذلك والقادر عليه

❊ ❊ ❊

١٢

مِنْ لوازم (لا إِله إِلَّا الله):
معرفة أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الولاء والبراء، وقلنا: إن الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله)، وقلنا أيضاً: إن الولاء والبراء من أوثق عُرى الإيمان، وإِنه دليل على قوة الإيمان، وتبين لنا أنه يجب على المسلم الذي رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً أن يوالي في الله، ويعادي في الله، ويحبَّ في الله، ويبغض في الله.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع قضيةٍ مهمةٍ من قضايا (لا إله إلا الله)، ألا وهي: قضية (معرفة أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان).

عباد الله: أولياء الرحمٰن هم: المؤمنون الصادقون الأتقياء الذين آمنوا بـ (لا إله إلا الله)، وجاؤوا بشروطها، وعملوا بمقتضاها: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، وهم حزب الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأما أولياء الشيطان فهم: الذين كفروا بـ (لا إله إلا الله) وهم حزب الشيطان، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

إخوة الإسلام: والذي دفعني للحديث عن أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان أمران اثنان:

الأمر الأول: علاقة ذلك بالعقيدة، بـ (لا إله إلا الله)، وقد قلنا: إنه

يجب على المسلم أن يوالي في الله، فإذا كان الأمر كذلك وَجَبَ على كل مسلم أن يعرف من يوالي لله، ومن يعادي في الله؛ فالولاء والحب لأولياء الرحمٰن، والعداء والبغض لأولياء الشيطان.

وبالمثال يتضح البيان: فهذا إبراهيم عليه السلام يوالي ويعادي لله ولو كان مع أقرب الناس إليه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤]، فلما تبيَّن لإبراهيم أن أباه عدوٌّ لله تبرأ منه وقال هو والذين آمنوا معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فتبيَّن أن الولاء والمحبة لأولياء الرحمٰن، والعداء والبغضاء لأولياء الشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

الأمر الثاني: أنه اختلط الحابل بالنابل، وأصبح الكثير من المسلمين لا يفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، فلو أنك سألت إنساناً ما في بلدٍ من بلاد المسلمين عن ولي من أولياء الله فإنه لا يدلك على رجلٍ عالم يتقي الله ويُعَلِّم الناس الخير، إنما يدلك على رجلٍ بنيت على قبره قبةً! يقول لك: هذا ولي من أولياء الله! أو يدلك على رجل مات وشيد على قبره ضريح ضخم والناس يطوفون حوله! أو يدلك على رجل لبس عمامة خضراء وثوباً مرقعاً يطوف بالشوارع، لا يعمل بل هو عالة على الناس! أو يدلك على رجل يضرب نفسه بالسيف أو يأكل المسامير والزجاج! يقول لك: هذا ولي من أولياء الله!! وهذا إن دل فإنما يدل على جهلٍ فادحٍ انتشر بين المسلمين، فعندما يعتقد الناس أن أولياء الرحمٰن هم أصحاب الأضرحة والقباب والعمائم الخضراء، فهذا مؤشر يدل على الشر؛ لأنه علامة على انتشار الجهل البالغ الذي لم يستطع الناس بسببه التفريق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان! ولا حول ولا قوة إلا بالله!!.

إخوة الإسلام: الولاية ولايتان:

١ ـ ولاية للرحمٰن.

٢ ـ ولاية للشيطان.

وهذه الولاية بدأت من اللحظة الأولى التي نزل فيها آدم وإبليس إلى الأرض؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]، من هذه اللحظة بدأت الولاية؛ ولاية للرحمٰن، وولاية للشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠]. الفريق الذي هُدي هم أولياء الرحمٰن، والفريق الذي ضل هم أولياء الشيطان، والله من رحمته بعباده حذَّر بني آدم من الشيطان وفتنته؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

وحذَّر ربُّنا ـ جلَّ وعلا ـ بني آدم من اتخاذ الشيطان ولياً من دون الله؛ لأنهم سيخسرون الدنيا والآخرة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]؛ أي: خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]، ومع ذلك ـ يا عباد الله ـ، بعد هذا التحذير لبني آدم ـ ألَّا يتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ـ إلا أننا رأينا كثيراً من الناس قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فأصبحوا من حزب الشيطان!!.

عباد الله: وحتى يستطيع المؤمن أن يميز بين أولياء الرحمٰن وأولياء

الشيطان، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة، أضع بين أيديكم صفات أولياء الرحمٰن وصفات أولياء الشيطان.

***عباد الله:* ها هم أولياء الرحمٰن، وهذه صفاتهم، بنص القرآن الكريم:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]، ففي هذه الآيات يتبين للجميع أن لله من خلقه أولياء، يحبهم ويحبونه، يرضى عنهم ويرضون عنه، هم في حاجة إليه، وهو ـ سبحانه ـ غني عنهم، وفي الآية نفسها تجد الصفات التي وصف الله بها أولياءه، فتعالوا لنستمع إلى صفاتهم، ولنرى هل في الآية أن الله وصف أولياءه بأنهم الذين يضربون أنفسهم بالسيف والحديد أو يمشون على الماء أو يلعبون بالنار؟! لا.

الصفة الأولى: الذين آمنوا: الإيمان الصادق، العقيدة الصحيحة؛ فكل من حمل في قلبه عقيدة سليمة فهو من أولياء الرحمٰن، وكل من حمل في قلبه عقيدة فاسدة فهو من أولياء الشيطان كائناً من كانَ، فالذي يدعو غير الله ويستغيث بغير الله فهو من أولياء الشيطان!!.

الصفة الثانية: وكانوا يتقون: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً)، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون؛ أي: أنهم يتقون الله عَزَّ وَجَلَّ بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، يخافون من الجليل، ويؤمنون بالتنزيل، ويستعدون ليوم الرحيل، يتقربون إلى الله بالليل والنهار، فإذا نظرت إلى المسجد وجدتهم هناك، وإذا نظرت إلى دروس العلم وجدتهم هناك.. فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، سواء كان مزارعاً، أو تاجراً، أو صانعاً، أو طبيباً، أو أياً كان. فإن آمن بالله واتقى الله فهو من أولياء الله، وفي الآية يبيِّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ ما أعده لأوليائه في الدنيا والآخرة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢] لِمَ؟ لأن الله يتولى

الدفاع عنهم في الدنيا فلا يخافون إلا من الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، ولأن الله ﷻ هو وليهم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦] لا خوف عليهم؛ لأن الله يجعل لهم من كل ضيق مخرجاً ومن كل همٍّ فرجاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فلا خوفٌ عليهم في الدنيا ولا يوم القيامة، ولا يحزنهم الفزع الأكبر، ولا تحزنهم الدنيا إذا خرجوا منها؛ لأنهم ينتقلون إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، ولا يحزنون يوم القيامة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

- والبشرى لأولياء الرحمٰن في الدنيا تكون بالرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو تُرى له.

- والبشرى لأولياء الرحمٰن في الدنيا تكون بالثناء الحسن يُلقى على ألسنة الناس فيثنون على الإنسان خيراً، وبالمحبة تلقى من الله على قلوب الناس فيحبونه لا لنسب ولا لمال إنما يحبونه لله، فهذه بشرى للمؤمن في الدنيا قبل الآخرة.

- ومن البشرى لأولياء الله عندما ينزل بهم الموت أن تتنزل عليهم الملائكة قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

- والبشرى لهم يوم القيامة ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾.

- والبشرى لهم يوم القيامة على الصراط ـ وما أدراك ما الصراط ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

وأولياء الرحمٰن قسمان: مقتصدون، ومقربون:

المقتصدون: هم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض فقط.

والمقربون السابقون: هم الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

الدليل قوله ﷺ: قال ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «... **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيءٍ أحبَّ إلي مما افترضتُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه**»(١).

المؤمنون كلهم أولياء الرحمٰن، وأكرمهم عند الله أتقاهم، وأكثرهم اتباعاً للكتاب والسنّة، والله وليّهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وأنزل الله عليهم كتابه وأرسل إليهم رسوله ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

إخوة الإسلام: أمّا بالنسبة لأولياء الشيطان فهم الذين لا يؤمنون، وهم الذين كفروا بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]، الشيطان وليهم وهم أولياؤه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أمّا صفاتهم فهي كثيرة نذكر منها:

أولاً: أنهم إذا دعوا إلى (لا إله إلا الله) رفضوا ونفروا واستكبروا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥]، وتعجبوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

ثانياً: أنهم مذبذبون، منهم من يعلن كفره للناس، ومنهم من يبطن

---

(١) **صحيح:** خ: (٦١٣٧).

كفره ويعلن أمامنا الإسلام، لكن الله ﷻ فضحهم فتراهم إذا جلسوا مع المؤمنين قالوا: إنا معكم، وإذا جلسوا مع الشياطين قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزؤون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

ثالثاً: أنهم إذا دُعوا إلى الكتاب والسنّة للتحاكم بينهم رفضوا ذلك وقالوا: سمعنا وعصينا، كما أخبر ربنا عنهم، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٧، ٤٨].

رابعاً: أنهم يكذبون، ويعصون الله ﷻ بالليل والنهار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

والأفَّاك هو: شديد الكذب، والأثيم هو: الذي يعصي الله بالليل والنهار. فالمشعوذين الذين تخدمهم الشياطين، ويذهب إليهم الجهلة من الناس تراهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى الناس، وتراهم يتقربون إلى الشياطين باقتراف المعاصي الكفرية؛ كالبول على القرآن، والسجود للصنم، وغيرها، وذلك لأن الشياطين اشترطوا عليهم قبل أن يخدموهم أن يكفروا بالله ويرتكبوا أبشع المعاصي.

خامساً: أنهم لا يذكرون الله أبداً، وإذا ذكروا الله ذكروه بما يخالف الكتاب والسنّة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

إخوة الإسلام: إذا رأيتم رجلاً يسير في الهواء، ويمشي على الماء، ويدَّعي أنه من أولياء الله، فاعرضوا عمله على الكتاب والسنّة، فإن كان من أصحاب العقيدة السليمة، وإن كان يحافظ على الفرائض ويترك ما

حرم الله فهذه كرامة أكرمه الله بها، وما أظن أبداً أن ولياً من أولياء الله يقول للناس: أنا من أولياء الله، أبداً.

وإذا وجدتم هذا الرجل لا يحمل عقيدة سليمة، ولا يحافظ على الفرائض بل يضيّعها ويُقدم على ما حرم الله فهو من أولياء الشيطان؛ والشياطين تفعل بأوليائها أكثر من ذلك، فإلى الذين يدّعون أنهم من أولياء الله ويضربون أنفسهم بالسيوف والحديد ويأكلون الزجاج والمسامير نقول لهم: هذا يخالف الكتاب والسنّة، لأنكم:

أولاً: عندما تفعلون هذه الأفعال وتستدلون بها على أنكم من أولياء الله نقول لكم: إن عُبَّاد البقر والكفار يفعلون أكثر من ذلك فهل نعتبرهم من أولياء الله؟ إذاً، فليست هذه الأفعال دليلاً على أن هذا الرجل ولي من أولياء الله.

ثانياً: نقول لهم: تضربون أنفسكم بالسيوف والحديد وتأكلون الزجاج والمسامير وتقولون: إن ذلك لا يؤثر فيكم! نقول لهم: أأنتم أفضل من الفاروق رضي الله عنه؟!، فهذا عمر الذي بُشر أنه من أهل الجنة طُعِنَ وهو في المحراب يصلي بالناس إماماً وسال دمه ومات على إثر ذلك، نقول لهم: وأنتم يا أولياء الشياطين لا تتأثرون بضرب السيوف؟! إنما هو الجهل والكذب يفعل بأصحابه أكثر من ذلك.

ثالثاً: نقول لهم: تدَّعون أن هذا من الكرامات فهل قدَّمتم للإسلام بهذا الفعل شيئاً؟! ماذا استفاد الإسلام والمسلمون من هؤلاء الذين طوال يومهم يضربون أنفسهم بالسيوف والحديد ويقولون: نحن من أولياء الله؟! إنهم بهذه الأفعال يقتلون أنفسهم والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1]، ونقول لهم: إن هذا الفعل

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٣٢٦)، فع: (١٠٩٦)، قط: (٤/٢٢٧)، طب: (١١/٢٢٨)، [«س. ص» (٢٥٠)].

يخالف الكتاب والسنّة، والذي يقوم به من أولياء الشيطان وليس من أولياء الرحمٰن.

ويا إخوة الإسلام: لتميزوا بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان عليكم بالكتاب والسنّة، عليكم بالعلم الشرعي؛ قال ﷺ: «**من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١). فإذا كنت جاهلاً بالكتاب والسنّة فكيف تميز بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، وأنت لا تميز بين الحلال والحرام؟.

أسأل الله أن يمنَّ علينا وعليكم بالإخلاص في القول والعمل
وأن يجعلنا من أولياء الرحمٰن

* * *

---

(١) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

١٣

من لوازم (لا إله إلَّا الله): الدعاء

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان وقلنا: إن من لوازم (لا إله إلا الله) أن يوالي المسلم أولياء الرحمٰن وأن يعادي أولياء الشيطان.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع قضية مهمة من القضايا التي تتعلق بـ (لا إله إلا الله)، ألا وهي قضية الدعاء.

إخوة الإسلام: والذي دفعني للحديث عن الدعاء أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أنَّ الدعاء له علاقة بالعقيدة؛ أي: له علاقة بـ (لا إله إلا الله)، فمعنى (لا إله إلا الله) «**أي: لا معبود بحق إلا الله**»؛ أي: العبادة كلها لله وحده.

والدعاء من العبادة، كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والرسول ﷺ يقول: «**الدعاء هو العبادة**»[١]، وقال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»[٢]، وقال ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله**

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٧٩)، ت: (٢٩٦٩)، هـ: (٣٨٢٨)، حم: (٤/ ٢٦٧)، حب: (٨٩٠)، خد: (٧١٤)، [«ص.ج» (٥٧١٩)].

(٢) **صحيح**: حب: (٤٤٩٨)، خد: (١٠٤٢)، طس: (٥/ ٣٧١)، هب: (٦/ ٤٢٩)، [«ص.ج» (١٠٤٤)].

ـ **تعالى ـ من الدعاء**»[١]، ويقول ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**»[٢]، فالدعاء هو أعظم وأجل العبادات، وذلك ـ يا عباد الله ـ؛ لأن الداعي عندما يرفع يديه ويدعو ربه فهو يعتقد في قلبه أن الله ﷻ هو الغني، وأنه هو الذي يعطي وهو الذي يمنع وهو المالك لكل شيء، وأنه هو رب كل شيء، وهذا هو توحيد الربوبية الذي تكلمنا عنه سابقاً. كذلك فإن الداعي عندما يدعو ربه يعلم أَنه فقير وأَن الله هو الغني وأَنه عبدٌ وأن له إله، وهو بذلك قد استجاب لقول ربه عندما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وعندما قال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فالداعي عندما يدعو ربه يكون قد استجاب له، وقد اتصف بصفة المؤمنين الذين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا: سمعنا وأطعنا، وهذا هو توحيد الألوهية الذي نحن في صدد الحديث عنه. كذلك عندما يرفع الداعي يديه ويدعو الله ﷻ فهو يعتقد في قلبه أن الله ﷻ فوقه؛ أي: في جهة العلو؛ أي: يعتقد أنه سبحانه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويعتقد أن الله سميع يسمعه، وبصير يراه، وعليم يعلم من هو وأين هو، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

فالداعي حين يدعو ربه يكون قد جمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فالدعاء دليل على العقيدة السليمة وهذا هو الأمر الأول.

أما الأمر الثاني: أَنَّ كثيراً من الناس في هذا الزمان يدعون غير الله**!** والشاهد أن كثيراً من الناس يصلون لله ويصومون لله ويحجون لله، ولكن إذا دعوا: دعوا غير الله من أنبياء وأولياء وصالحين وملائكة وغير ذلك، يظنون أنهم بذلك يحسنون صنعاً، وهذا الذي يفعلونه ـ يا عباد الله ـ ضلال وشركٌ وجهل؛ لأن الدعاء عبادة فمن صرفها لغير الله، فهو ظالم جاهل ومشرك كافر.

---

(١) **حسن**: ت: (٣٣٧٠)، هـ: (٣٨٢٩)، حم: (٢/ ٣٦٢)، حب: (٨٧٠)، ك: (١/ ٦٦٦)، خد: (٧١٢)، [«ص.ج» (٥٣٩٢)].

(٢) **صحيح**: ك: (١/ ٦٦٧)، [«ص.ج» (١١٢٢)].

• وقد بيَّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه أن الذي يدعو غير الله ضالٌّ؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]، ليس أحدٌ أضلَّ من هذا الذي يدعو غير الله.

• وبيَّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ أن الذي يدعو غير الله ظالمٌ؛ أي: مشرك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: المشركين [يونس: ١٠٦].

• وبيَّن لنا ربنا ـ جَلَّ وعلا ـ أن الذي يدعو غيره يُعَذَّبُ في الدنيا والآخرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

والذي يدعو مع الله أحداً فإنه سيكون بهذا الفعل من المعذَّبين؛ أي: سيعذب في الدنيا والآخرة.

إخوة الإسلام: نقول لهؤلاء الذين يطوفون بقبور الأولياء والصالحين وللذين يدعون غير الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

نقول لهؤلاء الذين يدعون غير الله: إن هؤلاء الذي تدعونهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣]، ونقول لهؤلاء الذين يدعون غير الله: إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون شيئاً ولا يسمعونكم إذ تدعون، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ٤٠، ٤١]. نقول لهؤلاء: الذين تدعونهم من دون الله هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون؟ الجواب: لا.

إذن؛ تدعون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، إنَّ هذا واللهِ لهو الضلال المبين!.

• ونقول لهؤلاء: أنسيتم أن الله هو الضار والنافع؟ أنسيتم أن الله هو الشافي وهو المعطي وهو المانع؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

• نقول لهؤلاء: أنسيتم أن الذي يدعو الله وحده يدخل الجنة؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

• نقول لهؤلاء: أنسيتم أن الذي يدعو غير الله يدخل بفعله ذلك النار؛ قال ـ تعالى ـ واصفاً أهل النار: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٦].

إخوة الإسلام: الذي يدعو غير الله ضالٌ ظالمٌ جاهل مشركٌ، فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الدعاء عبادة؛ وأن الذي يستحق العبادة هو الله وحده.

الأمر الثالث: أن الدعاء له علاقة بالحب في الله؛ فالمؤمن الصادق يدعو لأولياء الرحمٰن بظهر الغيب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، يقول ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل،**

كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»(١).

المؤمن الصادق يدعو لإخوانه بظهر الغيب، أما المنافق الذي لا يحمل في صدره إلا الغل والحسد، فهذا لا يدعو لأخيه بظهر الغيب؛ بل يحسده ويتمنى أن تزول النعمة عنه.

إخوة الإسلام: الدعاء عبادة من أعظم العبادات فمن صرفها لله فقد نجا وأنجح، ومن صرفها لغير الله فقد خاب وخسر، وذلك هو الخسران المبين، والله ﷻ في كتابه أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

ولقد علّمنا ربنا في كتابه كيف ندعوه؛ إذ سجل لنا في كتابه دعاء الأنبياء وأمرنا أن نتأسّى بهم، وأن نهتدي بهديهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

• فهذا نوح عليه السلام: انظروا كيف دعا ربه، هل قال: يا رب أسألك بجاه فلان؟! أو قال: يا رب أتوسل إليك بفلان! لا، ماذا قال؟ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦]، قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: ١٠]، فاستجاب الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ [الأنبياء: ٧٦].

• وهذا أيوب عليه السلام مسّه الضر؛ أي: نزل به المرض، فهل ذهب إلى السحرة والمشعوذين؟ لا يا عباد الله؛ بل رفع يديه ودعا ربه فاستجاب الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٣٣).

• وهذا يونس عليه السلام في سجنه البعيد، في بطن الحوت وبطن البحر، وفي ظلمة الليل دعا ربه أن يفرِّج كربه وأن يكشف غمه فاستجاب الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

• وهذا زكريا عليه السلام يطلب من ربه ذرية طيبة، يطلب من ربه أولاداً، فاعتبروا يا من تذهبون إلى السحرة والمشعوذين من أجل الأولاد، هذا زكريا عليه السلام يعلّمنا كيف ندعو الله عز وجل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

فيا عباد الله: ادعوا الله عز وجل يَسْتَجب لكم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، لا إله إلا الله.

أمة التوحيد: الله عز وجل قريب منا بسمعه، وبصره، وعلمه، بأسمائه وصفاته، وهو مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله سبحانه وتعالى، مَن دعاه استجاب له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

فادعوا الله واطلبوا منه خير الدنيا والآخرة؛ فالله خزائنه ملأى يعطي من شاء ما شاء متى شاء، فادعوا الله وحده ولا تدعوا مع الله إلهاً آخر، فإن فعلتم عُذبتم في الدنيا والآخرة.

إخوة الإسلام: وإليكم الأوقات التي يُستجاب فيها الدعاء؛ فالتمسوها وادعوا الله فيها يُسْتَجب لكم:

الوقت الأول في جوف الليل، في الثلث الأخير من الليل، قم في

هذا الوقت وارفع يديك وادعُ الله ﷻ يُسْتَجب لك؛ سُئِلَ رسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر**»[1]، وقال ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ ومَن يسألني فأعطيه؟ ومَن يستغفرني فأغفر له؟**»[2]. فقم يا عبد الله في هذا الوقت واطلب؛ تريد أولاداً؟ ارفع يديك واسأل.. تريد مالاً؟ ارفع يديك واسأل.. مريض تريد الشفاء؟ بدلاً من أن تذهب إلى المشعوذين، فالله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

٢ ـ الدعاء مستجاب بين الأذان والإقامة، قال ﷺ: «**الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب؛ فادعوا**»[3].

٣ ـ كذلك يُستجاب الدعاء في السجود، يقول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء**»[4].

٤ ـ كذلك يُستجاب لك إذا كنت مظلوماً، إذا ظلمك إنسان فارفع يديك وادعُ؛ فإن الله يستجيب للمظلوم وإن كان فاجراً، قال ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً؛ ففجوره على نفسه**»[5]، فإياك والظلم، إياك والبهتان.

إخوة الإسلام: ولعل سائل يسأل فيقول: ندعو الله فلا يستجاب لنا فما هي الأَسبابُ؟.

السبب الأول: أنك تتعجل الإجابة؛ تدعو وتتعجل الإجابة تريد أن يُستجاب لك فوراً، تدعو الله أن يشفيك وتريد ذلك في الحال**!!** وهذا ينافي ما نحن عليه معشر المسلمين. قال ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم**

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٣٤٩٩)، عب: (٢/ ٤٢٤)، [«ص.غ.هـ» (١٦٤٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٩٤)، م: (٧٥٨).

(٣) **صحيح**: ع: (٦/ ٣٥٤)، [«ص.ج» (٣٤٠٥)].

(٤) **صحيح**: م: (٤٨٢).

(٥) **حسن**: حم: (٢/ ٣٦٧)، لس: (٢٣٣٠)، ش: (٦/ ٤٨)، [«ص.ج» (٣٣٨٢)].

يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»(١). فهذا الاستعجال يمنعه من الدعاء والإلحاح في الدعاء، فلا يستجاب له.

السبب الثاني: الذي يمنع الإجابة هو سبب يكون لحكمة ربانية لا يعلمها إلا الله، يقول ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يُعَجِّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»(٢).

السبب الثالث: أكل الحرام، ولبْسُ الحرام، وشُرْب الحرام، فمن يقبل الرشوة، ويلبس ثياباً منها، ويأكل منها كيف يُستجاب له؟ والذي يأكل الربا، ويلبس ثياباً منه، ويأكل منه كيف يُستجاب دعاؤه؟ والذي يغش في تجارته ويلبس ثياباً منها، ويأكل منها كيف يستجاب له؟.

قال ﷺ: «**أيها الناس إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يُطيل السفر، أشعث أغبر، يَمُد يديه إلى السماء: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُهُ حرام، ومشربُهُ حرام، وملبسُهُ حرام، وغُذِي بالحرام، فأنى يُستجابُ لذلك؟**»(٣)، فإياك وأكل الحرام، وإياك وشرب الحرام، حتى لا تُحرم إجابة الدعاء.

اللّهم ردَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٩٨١)، م: (٢٧٣٥).

(٢) **حسن صحيح**: حم: (١٨/٣)، خد: (٧١٠)، هب: (٤٨/٢)، حل: (٦/ ٣١١)، [«ص.غ.هـ» (١٦٣٣)].

(٣) **صحيح**: م: (١٠١٥).



١٤

بعض مظاهر الشرك في توحيد الألوهية

[الرياء/ الذبح والنذر لغير الله/ الحلف بغير الله]

عباد الله!

في الجُمَع الماضية تبيّن لنا ـ يا عباد الله ـ أنه يجب على المسلم أن يعبد الله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، وقلنا: إن مَنْ صرف عبادةً من العبادات لغير الله فقد أشرك، كما تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن الدعاء عبادة فمن صرفها لغير الله فقد أشرك.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع بعض مظاهر الشرك في توحيد الألوهية ألا وهو الرياء، والذبح والنذر لغير الله، والحلف بغير الله.

هذه ـ يا عباد الله ـ أمراضٌ انتشرت بين المسلمين، ووقع فيها الكثير؛ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أو أنها تقربهم من الله وهم بهذه الأعمال قد ازدادوا من الله بُعداً وقد وقعوا في الشرك.

إخوة الإسلام: الرياء مظهر من مظاهر الشرك في توحيد الألوهية، والرياء جريمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه، والرياء مرض خطير جداً من أمراض القلوب لا يُرى بالعين ولا يُسمع بالأذان ولا يُحَسُّ بالأنامل، ولكنه مرض خفي يخفى حتى على صاحبه، ولذلك قال ﷺ: «**الشرك في أُمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا**»(١).

إخوة الإسلام: الرياء مشتق من الرؤية ومعناه: (أن يعمل الإنسان عملاً

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٣٧٣٠)].

يبتغي به وجه الناس والدنيا)، والرياء شرك خفي؛ خرج ﷺ على أصحابه وهم يتذاكرون المسيح الدجال فقال لهم ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل يصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»(١). أي: إذا قام الرجل يصلي، وعلم أن هناك من ينظر إليه تراه يزين صلاته لا يريد بها وجه الله إنما يريد بها الذي ينظر إليه، ويقول الرسول ﷺ: «**أيها الناس، إياكم وشرك السَّرائر**»، قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيُصلي فيزيِّنُ صلاته؛ لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر**»(٢). وسُمّي بالشرك الخفي؛ لأن صاحبه يُظْهِرُ أن عمله لله ولكنه قد قصد به غير الله.

• الرياء من شيم المنافقين ومن أخلاقهم، فلا يليق بك أيها المسلم أن ترائي، فالله وصف المنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

• الرياء من شيم الظلمة وأخلاقهم ومن شيم المتكبرين والجبابرة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

• الرياء يبطلُ الأعمال: ولذلك ضرب الله مثلاً للمرائي في كتابه لنعتبر به، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وقال ﷺ:

---

(١) **حسن**: هـ: (٤٢٠٤)، حم: (٣/ ٣٠)، [«ص. هـ» (٣٣٨٩)].

(٢) **حسن**: خز: (٩٣٧)، ش: (٢/ ٢٢٧)، هب: (٣/ ١٤٤)، هق: (٢/ ٢٩٠)، [«ص. غ. هـ» (٣١)].

«**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]، فالمرائي مثله كمثل صخرة ملساء عليها تراب، فلمَّا نزل عليها المطر أخذ التراب فرجعت ملساء على حالها، كذلك المرائي يأتي يوم القيامة فلا يجد ثواباً لعمله.

إخوة الإسلام: إن الله ﷻ يفضح المرائي في الدنيا والآخرة.

• ففي الدنيا فإن المرائي يريد بعمله وجه الناس، ويريد بعمله أن يرى مكانه عند الناس، ويريد بعمله أن يصرف وجوه الناس إليه؛ ولذلك يعامله الله بعكس ما أراد فَيُصَغِّرُهُ، ويُحَقِّرُهُ في أعين الناس، قال ﷺ: «**من يُسَمِّع يُسَمِّع الله به، ومن يُرائِي يُرَائِي الله به**»(٢). أي: مَن أراد مِن الناس أن يسمعوا بعمله، وأن يعرفوا عمله؛ فضح الله سريرته أمام الناس. ولكن من أراد بعمله وجه الله أحبه الله، وإذا أحبه الله حبَّب فيه الناس، وألقى الله محبته في الأرض، ولكن المرائي يريد بعمله وجه الناس والدنيا الفانية فالله ﷻ يفضحه ويعاقبه.

• أما يوم القيامة فالله ﷻ يفضحه على رؤوس الخلائق، قال ﷺ: «**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياءٍ إلا سَمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»(٣)؛ أي: إذا قام يُدَرِّسُ في الناس يريد سمعة ورياء، أو قام يُعَلِّم في الناس يريد سمعة ورياء فضحه الله.

ويقول الله ﷻ للمرائين ليُخْزِيَهم يوم العرض عليه: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!**»(٤).

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٨٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٤)، م: (٢٩٨٧).

(٣) **صحيح لغيره**: طب: (١١٩/٢٠)، [«ص.غ.ه» (٢٨)].

(٤) **صحيح**: حم: (٤٢٨/٥)، [«س.ص» (٩٥١)].

• الرياء سبب لدخول النار: يقول ﷺ: «**من تعلَّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم**»(١).

فانتبهوا يا أمة الإسلام! الأمر خطير وإن ادعيت أنك تعمل لله، فالله هو المطلع على السرائر وعلى القلوب، فالإخلاص في القلب لا يراه أحد، لا يطلع عليه ملَك مقرَّب ولا إنسان، إنما الذي يطلع على ما في القلوب هو الله وحده، ومن الناس من يحفظ القرآن ـ مثلاً ـ فيتعلم، ويجتهد؛ يبتغي بذلك وجه الله، ولكن منهم مَنْ يريد أن يصرف وجه الناس إليه يقول لهم: أنا، ليُشَار إليه بالبنان ـ أي ليصرف وجه الناس إليه ـ أدخله الله جهنم.

إخوة الإسلام: بالمرائين تسعَّر جهنم، هذا حديث عندما ذكره أبو هريرة للناس أغمي عليه ثلاث مرات، فإذا أفاق وأراد أن يذكر الحديث أغمي عليه لشدته، يقول أبو هريرة: حدثني رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نزل الله للعباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية تنتظر الحساب والجزاء**»(٢)، يقول أبو هريرة: قال ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريءٌ! فقد قيل، ثم أُمِرَ به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.**

ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالمٌ! وقرأت القرآن ليقال: هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

---

(١) **حسن**: هـ: (٢٦٠)، [«ص.هـ» (٢٠٩)].

(٢) **صحيح**: وهو جزء من حديث طويل. انظر: ت: (٢٣٨٢)، خز: (٢٤٨٢)، حب: (٤٠٨)، [«ص.غ.هـ» (١٣٣٥)].

ورجل وَسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد! فقد قيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه ثم أُلقي في النار»(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

فيا أيها المرائي:

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العَرْضِ عُرْيانا	مُستوحِشاً قَلِقَ الأحشاءِ حَيْرانا
النارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومن حنقٍ	على المرائينَ وربُّ العرش غضبانا
ٱقرأ كتابك يا عبدي على مَهَلٍ	فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تُنْكرْ قراءتهُ	إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرْفانا
نادى الجليلُ: خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المرائون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنون بدارِ الخلد سُكَّانا

إخوة الإسلام: **ومن مظاهر الشرك في توحيد الألوهية: [الذبح لغير الله].**

الذبح وهو النسك، عبادة يجب أن تصرف لله وحده؛ فالله ﷻ قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

فالصلاة عبادة لله، وكذلك الذبح عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، فمن ذبح لغير الله فقد أشرك وهو ملعون، قال ﷺ: «**لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله**

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٠٥).

من غيَّر منار الأرض»[(١)]. أربعة يلعنهم الله؛ منهم من ذبح لغير الله، فالذي يذبح للملائكة ملعون وقد أشرك، والذي يذبح للأولياء والصالحين ملعون وقد أشرك، والذي يذبح للجن على عتبة بابه لخوفه من الجن فهو ملعون، والذي يذبح للميت لتمر الجنازة عليها فقد أشرك وهو ملعون، فالذبح والنسك عبادة لا تُصرف إلا لله.

ومن مظاهر الشرك في الألوهية: (النذر لغير الله):

النذر عبادة والله ﷻ أثنى على الذين يوفون بالنذر. فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]. واعلم يا أخا الإسلام أن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء يعلم منك إذا نذرت له أو نذرت لغيره.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[(٢)]. فمن نذر أن يذبح ذبيحة لله فعليه أن يوفي؛ بل واجب عليه أن يوفي بنذره، ومن نذر أن يذبح لشعيب ـ مثلاً ـ أو لغير الله أو لأحد من الأولياء والصالحين، فلا يوف بنذره وعليه كفارة يمين؛ لقوله ﷺ: «**لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين**»[(٣)]؛ لأن الذبح عبادة والنذر عبادة فلا تكون إلا لله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

***إخوة الإسلام:* من مظاهر الشرك في الألوهية: (الحلف بغير الله).**

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٧٨)، حم: (١/ ١٠٨)، حب: (٦٦٠٤)، خد: (١٧)، ع: (١/ ٤٥٠)، [«ص.ج» (٥١١٢)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٣١٨).

(٣) **صحيح**: د: (٣٢٩٠)، ت: (١٥٢٤)، ن: (٣٨٣٤)، هـ: (٢١٢٥)، حم: (٦/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٥٤٧)]. .

الحلف عبادة لا تكون إلا لله، فإذا حلفت فاحلف بالله، قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[١]، وقال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم**»[٢]، فاتقوا الله واحذروا الرياء، واحذروا الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والحلف بغير الله، واعلموا أن الله خلقكم في هذه الدنيا لتعبدوه وحده.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

اللّهم إنا نسألك أن تردَّ المسلمين إلى عقيدتهم السليمة ردًّا جميلاً

* * *

(١) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، حب: (٤٣٥٨)، ك: (٤/ ٣٣٠)، لس: (١٨٩٦)، [«ص.ج» (٦٢٠٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٦٢٤)، م: (١٦٤٦).

١٥

أهمية توحيد الألوهية وأثره على الفرد والمجتمع

عباد الله!

إخوة الإسلام: في الجمعة الماضية تكلمنا عن توحيد الألوهية، وعن مظاهر الشرك فيه، وتبيّن لنا أن هذا التوحيد هو أهم أنواع التوحيد.

● فمن أجل هذا التوحيد ـ وهو عبادة الله وحده ـ خلق الله الخلق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

● ومن أجل هذا التوحيد أرسل الله ﷻ الرسل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وما من أمة إلا خلا فيها نذير، وهذا النذير يقول لقومه: يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

● من أجل هذا التوحيد أنزل الله الكتب، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود: ١، ٢].

● من أجل هذا التوحيد تبرّأ المؤمن من الكافر، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

• من أجل هذا التوحيد قامت الحروب بين المؤمنين والكافرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال ﷺ: «**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله تعالى**»[١].

• من أجل هذا التوحيد يبعث الله الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

• من أجل هذا التوحيد تنصب الموازين يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهناك بعد الميزان: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

• من أجل هذا التوحيد خلق الله الجنة والنار، خلق الجنة للذين عبدوه وحده، وخلق النار للذين كفروا به.

إخوة الإسلام: توحيد الألوهية: هو توحيد العبادة، وهو أن يُعْبَد الله وحده في الأرض، هذا التوحيد هو حق الله على العباد، وإذا أدينا حق الله علينا فماذا سيكون لنا؟:

أولاً: أحيانا الله ﷻ في هذه الدنيا حياة طيبةً، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠)، خ: (٢٧٨٦).

أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

ثانياً: نصرنا الله على أعدائنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولقد نصر الله ﷻ المؤمنين الصادقين في الصدر الأول من الإسلام فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، ولكن الله ﷻ اشترط على المؤمنين شرطاً فإن جاؤوا به نصرهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧].

ثالثاً: مكّننا الله في الأرض وجعل السيادة لنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

رابعاً: أعزّنا الله في الدنيا والآخرة.

فالله ﷻ جعل العزة للمؤمنين فقط، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، والله ﷻ أنكر على المنافقين عندما ابتغوا العزة عند الكافرين فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

خامساً: دافع الله عنّا وكفانا شر الأعداء، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

سادساً: جعلنا الله أمة واحدة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فإذا عبدنا الله وحده جعلنا الله أمة واحدة فبالتوحيد والعقيدة الصحيحة تجتمع القلوب؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فأصبحتم بهذا الدين؛ أي: بعقيدة التوحيد إخواناً. وبالعقيدة الفاسدة والشرك نصبح فرقاً وأحزاباً؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

إذا حقّقنا هذا التوحيد قلَّت المعاصي، وإذا قلَّت المعاصي نزلت علينا الرحمات من رب الأرض والسمٰوات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لقلة المعاصي، وإذا ضيعنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زادت المعاصي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١]، إذاً سعادتنا في الدنيا والآخرة أن نؤدّي حق الله علينا، وحق الله علينا أن نعبده وحده وهذا هو توحيد الألوهية.

وإذا حققنا هذا التوحيد أعزَّنا الله في الدنيا والآخرة، وإذا ضيَّعنا هذا التوحيد وتركنا حق الله وأقبلنا على الدنيا الفانية، فماذا ستكون النتيجة؟:

أولاً: أذلنا الله ذلًّا لا يرفعه عنّا حتى نرجع إلى ديننا؛ يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«س.ص» (١١)].

أمة الإسلام: انظروا هل أكلنا الربا؟! نعم، إلا من رحم ربي، هل أخذنا أذناب البقر ورضينا بالزرع؟ هل أحببنا الدنيا أكثر من الآخرة؟ نعم إلا من رحم ربي، هل تركنا الجهاد في سبيل الله؟ نعم، فسلط الله علينا ذلًّا لا ينزعه عنا حتى نرجع إلى عبادة ربنا، حتى نرجع إلى التوحيد، إذا فعلنا ذلك وعُدنا إلى ديننا رفع الله عنا الذل، وإذا بقينا على ما نحن فيه ـ من المعاصي وحب الدنيا ـ فها هو الذل يُصَبُّ على رؤوسنا صَبًّا.

ثانياً: إذا تركنا هذا التوحيد والعمل به وانشغلنا بالدنيا الفانية وجمعها تداعت علينا الأمم، قال ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكَلة إلى قصعتها**»، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذٍ؟ قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**»[1].

إخوة الإسلام: افهموا وعوا هذا الحديث، هل ينطبق علينا الآن؟ الأمم الكافرة ينادي بعضها على بعض: هلموا، فقد تخلى المسلمون عن دينهم، اقتلوهم دمروهم، دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ثم هاهم يسرحون ويمرحون ويقتلون وينتهكون الأعراض ولا يخافون من الأمة الإسلامية أليس هذا هو الواقع الآن؟ وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

إخوة الإسلام: وها أنتم تقرؤون وتسمعون ما يجري الآن في بلاد المسلمين في البوسنة ـ مثلاً ـ مِنْ قتلٍ جِماعيٍّ، وتشريد للمستضعفين من المسلمين؟ قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠]، فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً، ما الذي أصابنا يا عباد الله، ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟! ألسنا على الحق وهم

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٧٨)، د: (٤٢٩٧)، لس: (٩٩٢)، حل: (١/ ١٨٢)، [«ص. ج» (٨١٨٣)].

على الباطل؟! ألسنا نقاتل في سبيل الله وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت؟! اللهُ ولينا والكفار لا مولى لهم، أنسيتم أنكم ستقفون أمام الله يوم القيامة في أرض المحشر والله سائلكم حكاماً ومحكومين عن الأطفال والأعراض التي تُنتهك في بلاد المسلمين.

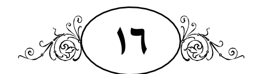
أمة الإسلام: ماذا تقولون لربكم يوم القيامة واللهُ ـ جلَّ وعلا ـ سيسأَل عن الموْؤدة: لِمَ وئِدت؟ وإنا ـ يا عبادَ الله ـ لمسؤولون عن أطفال المسلمين الذين يحوِّلونهم إلى النصرانية، ونحن نطبل ونغني ونرقص وكأن شيئاً لم يكن.

أنسيتم أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً؟! أنسيتم يا عباد الله أن قول الرسول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(١)].

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم
أن يردَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً

* * *

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٦).



توحيد الأَسماء والصفات

عباد الله!

في بداية الحديث عن العقيدة قلنا: إن العقيدة السليمة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبدأنا في الحديث عن الأصل الأول منها ألا وهو الإيمان بالله، وقلنا: إن معناه: أنه يجب على المسلم أن يوحّد الله ﷻ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

- وتكلمنا عن النوع الأول من التوحيد، وهو توحيد الربوبية، وتكلمنا عن مظاهر الشرك فيه.
- وتكلمنا عن النوع الثاني، ألا وهو توحيد الألوهية،وتكلمنا عن مظاهر الشرك فيه.
- وموعدنا في هذا اليوم مع النوع الثالث من أنواع التوحيد، ألا وهو **توحيد الأسماء والصفات.**

توحيد الأسماء والصفات: معناه الاعتقاد الجازم أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال ومنزّه عن جميع صفات النقص.

ومعناه أيضاً: الاعتقاد الجازم في القلب، بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

إخوة الإسلام: وتوحيد الأسماء والصفات هو التوحيد الذي دارت فيه المعارك بين أهل الحق وأهل الباطل، وهو التوحيد الذي ضلَّت فيه كثير من الفرق الإسلامية ـ إلا من رحم ربي ـ وذلك لأنهم تدخلوا في تفسير

الأسماء والصفات بعقولهم وآرائهم وأهوائهم فضلُّوا وأضلُّوا، ولو أنهم فعلوا كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في الأسماء والصفات لنجوا من هذا الضلال، فالصحابة رضوان الله عليهم الذين يفهمون اللغة العربية قرؤوا القرآن وسمعوه من رسول الله ﷺ وفهموا ذلك، ما سألوا رسول الله ﷺ عن الأسماء والصفات؛ لأنهم فهموا أن الأسماء والصفات لله ﷻ تليق بجلال الله، وأن الأسماء والصفات للإنسان وللمخلوقات تليق بالمخلوقات؛ لأن الله ﷻ ليس كمثله شيء، فقرأوا إن الله سميع بصير، وقرؤوا إن الإنسان سميع بصير، ومع ذلك علموا أن سمع الله يليق بجلال الله وسمع وبصر الإنسان يليق بالإنسان، لم يلتبس عليهم ذلك أبداً؛ لأنهم أثبتوا الصفة ومرَّروها كما فهموها، ولم يتكلفوا تشبيهاً ولا تعطيلاً ولا تكييفاً؛ لأنهم أيقنوا أن الله ﷻ ليس كمثله شيء.

إخوة الإسلام: أما الفِرق الضالة فقد أدخلوا أهوائهم وآرائهم فضلّوا وأضلّوا.

- فتلك فرقة ضالة قرؤوا إن الله ﷻ له يد وله سمع فقالوا: لا، ليس لله يد، وليس لله سمع! فكذَّبوا الله ﷻ وكذَّبوا رسوله ﷺ؛ عطَّلوا الصفات والأسماء، وهؤلاء هم المعطلة الذين ضلّوا وأضلّوا.

- وفريق آخر قال: إن الله يسمع ولكن كما نسمع، ويبصر ولكن كما نبصر! فهؤلاء كذبوا على الله ورسوله؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وهؤلاء هم المشبّهة، شبَّهوا صفات الله بصفات المخلوقين فضلّوا وأضلّوا.

- وفرقة أخرى حرَّفوا الكلام عن مواضعه، فالله ﷻ يقول في كتابه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فقالوا: يد الله: قدرة الله، وقال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقالوا: الرحمٰن على العرش استولى، فحرفوا الكلام عن مواضعه فضلّوا وأضلّوا.

إخوة الإسلام: ومن أراد أن ينجو من الضلال ومن دعاة الضلال في هذا التوحيد فعليه أن يقيم توحيده في الأسماء والصفات على الأصول الثلاثة التالية:

الأصل الأول: أن نثبت لله ﷻ ما أَثبته لنفسه من الأسماء والصفات؛ وما أثبته له رسوله ﷺ في سنّته من غير زيادة ولا نقصان؛ لأن الزيادة كذب على الله وعلى رسوله، والنقص في الأسماء والصفات تكذيب لله ورسوله، والله ﷻ توعّد الذين يكذبون عليه بالنار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: ٣٢]. والرسول ﷺ توعد الذين يكذبون عليه بالنار، فقال ﷺ: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)].

إخوة الإسلام: وهذا الإثبات للأسماء والصفات يكون بالكتاب والسنّة فقط لا بالأهواء ولا بالآراء؛ لأن الله ﷻ أعلم بنفسه، والرسول ﷺ أعلم بربه ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ولذلك يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يُوْصفُ اللهُ ﷻ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ، لا يُتَجَاوزُ القرآنُ والحديثُ)، فيجب على المسلم أن يثبت لله ﷻ أسماءَه وصفاته كما جاءت في القرآن والسنّة بدون زيادة ولا نقصان.

الأصل الثاني: أن تنزّه الله في أسمائه وصفاته عن مشابهة المخلوقين؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] أي: لا مثيل ولا شبيه لله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: (إن الله جلَّ اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وَعَلِيِّ صفاته لا يُشبه شيئاً من مخلوقاته، وما أَطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي).

---

(١) **صحيح**: م: (٣)، خ: (٥٨٤٤).

وقال الواسطي: في تفسير هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: (أي: ليس كذاته ذاتٌ، ولا كاسمه اسمٌ، ولا كصفته صفة، ولا كفعله فعل إلا من جهة موافقة اللفظ).

وقال شيخ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (من شبّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ تشبيه ولا تمثيل).

الأصل الثالث: أن تقطع الطمع في أن تفكر في كيفية الصفة، لمَ؟ لأن الله أخبرنا أنه ليس كمثله شيء، ونهانا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ أن نفكر في ذاته، ولذلك لما سئل الإمام مالك عن كيفية الاستواء عندما قال له السائل المبتدع: الرحمٰن على العرش استوى، كيف استوى؟ فغضب الإمام مالك غضباً شديداً على السائل ثم قال له: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، فلا يجوز لك أن تسأل: كيف استوى الرحمٰن على عرشه؟! ولا يجوز لك أن تسأل: كيف ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ ولا يجوز لك أن تسأل: كيف يسمع ربنا؟ لمَ؟ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فالواجب على المسلم أن يثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، يثبت الصفة ولا يتكلم في كيفيتها؛ بل عليه أن يقول كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مُراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مُراد رسول الله ﷺ).

إخوة الإسلام: توحيد الأسماء والصفات توحيد مهم جداً ينفعك في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فالمسلم الفاهم لدينه، المتفقه فيه، الذي يحمل عقيدة صحيحة في قلبه بأسماء الله وصفاته يتوسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه وصفاته؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فيجوز للمسلم أن يقول: يا لطيف الطف بنا، أو يقول: اللّهم إني

أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تغفر لي، أن ترزقني، أن ترحمني؛ فهذا مشروع.

أما بعض الجهلة والذي يجلس أحدهم فيقول: يا لطيف يا لطيف آلاف المرات، والله يقول له: لبيك عبدي ماذا تريد؟ وهو يقول: يا لطيف، والله يقول: لبيك عبدي ماذا تريد؟ فهذا **أولاً**: لم يتأدب مع الله ﷻ؛ لأنه لا يجوز أن تنادي على إنسان أكثر من مرة، فهذا استهزاء وسخرية بالذي تنادي عليه، فكيف يكون ذلك مع الله ﷻ؟!.

ثانياً: إن الله ما أمرنا بذلك؛ بل قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلم يقل ـ سبحانه ـ: فكرروها، ولكن قال: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾، فهذا الذي يكرر الأسماء مرات قد ابتدع في دين الله ولم يزدد بذلك إلا بُعداً من الله ﷻ، فاتقوا الله وادعوا الله بأسمائه، ورسولنا ﷺ علمنا كيف ندعو الله ﷻ فقال ﷺ: «**ما أصاب مسلم قط هم ولا حزن فقال: اللّهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمتهُ أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همّي إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكانه فرحاً**»، فقال الصحابة: يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات؟ فقال ﷺ: «**بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[(١)]. فانظروا إلى هذا الدعاء عقيدة تشعرك أنك عبدٌ لله، وأن لك إلهاً قوياً تدعوه، فتعلموا كيف تسألوا الله ﷻ، فالله ﷻ يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وإياك أن تتكبر عن دعاء الله ﷻ، فقد توعّد الله الذين يستكبرون عن عبادته بجهنم. فإذا أصابك هَمّ وغمّ فاحذر أن تشعل سيجارتك ـ

(١) **صحيح**: حم: (١/ ٣٩١)، ك: (١/ ٦٩٠)، طب: (١٠/ ١٦٩)، [«ص.غ.هـ» (١٨٢٢)].

يا عبد الله ـ فهذا من فعل الشياطين، نرى مسلماً يصلي ويعرف ربه ولكنه إذا غضب أشعل سيجارته، وقد زين له الشيطان ووسوس له أنه إذا أشعل سيجارته ذهب عنه همه وغمه! لا ـ يا أخا الإسلام ـ إن أصابك الهمّ والحزن فعليك أن تدعو الله بهذا الدعاء؛ فاحفظه واعمل به فهو عقيدة وتوحيد تحشر به يوم القيامة مع الموحدين في جنات النعيم.

إخوة الإسلام: ويقول ﷺ: «**إن لله ﷻ تسعةً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»(١)، وهذا لا يدل على حصر الأسماء، ولكن هذه الأسماء التسعة والتسعون من أحصاها دخل الجنة، وإحصاؤها أن تفهمها، وأن تحفظها، وأن تعمل بها لا أن تكررها وترددها كما يفعل الجهلة؛ لا بل أن تؤمن بها فإذا علمت وحفظت أن الله سميع، ثم جلست في مجلس غيبة أو أردت أن تتكلم أو تسمع للغيبة فتتذكر أن الله يسمعك، فهذا الاعتقاد أن الله سميع يمنعك من الوقوع في المعصية في الغيبة والنميمة. وكذلك إذا اعتقدت أن الله بصيرٌ يراك أينما كنت فهذا يمنعك أن تُقبل على معصية الله، فهذا الاعتقاد بالأسماء والصفات يمنعك من المعاصي ويدفعك إلى الطاعة والتوبة.

ولذلك كان توحيد الأسماء والصفات ذخرٌ لصاحبه في الدنيا والآخرة. فمن اعتقد بأسماء الله وصفاته في قلبه بعقيدةٍ راسخة لا يمكن أبداً أَنْ يعتقد بأن الله يراه ثم يذهب إلى معصية الله، وأذكركم بتلك الفتاة التي قالت لها أمها: (اخلطي اللبن بالماء، فقالت: يا أماه أما تخافين عمر؟ فقالت الأم: إن عمر لا يرانا، فقالت الفتاة: يا أماه إذا كان عمر لا يرانا فربّ عمر يرانا)!! فالذي منعها أن تخلط اللبن بالماء هو اعتقادها أن الله يراها، فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا هذه الأسماء واعملوا بها، وموتوا عليها لتحشروا يوم القيامة مع الموحّدين.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥٨٥)، م: (٢٦٧٧).

١٧

آية الكرسي وأنواع التوحيد الثلاثة (١)

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن توحيد الأسماء والصفات وقلنا: إنه يجب على المسلم أن يوحِّد الله ﷻ في أسمائه وصفاته، وذلك يكون بأن يثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تكييف.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع آية عظيمة من كتاب ربنا تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة ألا وهي آية الكرسي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إخوة الإسلام: آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، فعن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾، قال: فضربَ ﷺ في صدري وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»[(١)]. وفي هذا دليل على أن آية الكرسي هي أعظم آية.

● آية الكرسي مَنْ قرأها عند نومه كان عليه من الله حافظ حتى

---

(١) **صحيح**: م: (٨١٠).

يصبح، ولا يقربه شيطان، ولذلك عندما أمسك أبو هريرة بالشيطان الذي كان يسرق من الزكاة، فأخذه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخلّيت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، ـ فعل ذلك ثلاث مرات، وفي المرة الثالثة قال الشيطان لأبي هريرة ـ: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ . . .﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**»، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي. . . . . . وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. . . . . . فقال ﷺ: «**أما إنه صدقك وهو كذوب...**»[١].

فيتبيّن من ذلك أن من قرأ هذه الآية عند نومه كان في حفظ الله وفي حماية الله ولا يقربه شيطان، أما من نسيها وأهملها ولم يقرأها عند نومه فلا يلومن إلا نفسه، فهو قد عرض نفسه لمس الشيطان، فالشيطان لك بالمرصاد، فإذا نمت فنم على طهارة، واقرأ أذكار النوم، واقرأ هذه الآية لكي تكون في حفظ الله من كيد الشياطين.

كم من المسلمين مسّه الشيطان وصرعه بإهمال منه، ثم بعد ذلك يذهب إلى السحرة والمشعوذين، وأظن أن من نام على شاشات المفسديون لا يخطر على باله أن يقرأ آية الكرسي.

• آية الكرسي اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة فمثلاً: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا توحيد الألوهية، ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

نَوْمٌۚ﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ هذا توحيد الربوبية.

إخوة الإسلام: آية الكرسي، آية واحدة ولكنها اشتملت على عشر مسائل من أعظم وأهم مسائل العقيدة.

١ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢ ـ ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾.

٣ ـ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾.

٤ ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾.

٥ ـ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾.

٦ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ﴾.

٧ ـ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾.

٨ ـ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ﴾.

٩ ـ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾.

١٠ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

مسائل في العقيدة يجب على المسلم أن يفهمها.

نعيش في يومنا هذا مع هذه الآية ـ إن شاء الله تعالى ـ وفي الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية، سائلين الله تعالى أن ينفعنا بما في هذه الآية، وأن يجعلنا من أهلها ومن العاملين بها.

المسألة الأولى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، توحيد الألوهية؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، والله ﷻ يُذكِّرنا ذلك كثيراً في كتابه: بأنه هو الإله الحق.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٦٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، ثم بعد ذلك يشهد ربنا ـ جلَّ وعلا ـ

لنفسه أنه هو الإله الحق؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

فالله يشهد أنه هو الإله الحق، فيجب عليك ـ يا عبد الله ـ إذا تبين لك ذلك واعتقدت ذلك في قلبك أن تكون عبداً لله بحق، وأن تتجه إلى الله بكل العبادات، فتركع لله وحده وتسجد لله وحده، وتخاف من الله وحده، وتذكر أن من صرف شيئاً من عبادته لغير الله فقد أشرك وضل ضلالاً مبيناً.

المسألة الثانية: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ وهذا توحيد الأسماء والصفات، فقد سمى الله ﷻ نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فعلى المسلم أن يثبت هذه الأسماء والصفات لله ﷻ على حقيقتها من غير تعطيل ولا تشبيه؛ فصفات الله تليق بجلال الله وصفات المخلوقين تليق بالمخلوقين فلا تشابه أبداً بين صفات الله وصفات المخلوقين، فالله ﷻ سمّى نفسه الحي فهو حي حياة أبدية، حياة أزلية، حي لا يموت، قيوم لا ينام سبحانه وتعالى، نثبت لربنا ما أثبته لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ في سنته.

المسألة الثالثة: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾، وهذا من توحيد الأسماء والصفات؛ فالله ﷻ نفى عن نفسه النعاس والنوم؛ لأنهما من صفات النقص؛ ويجب على المسلم أن ينزه الله ﷻ عن كل صفات النقص ويعتقد أن الله ﷻ لا ينام، والرسول ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»[1].

المسألة الرابعة: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾، المالك هو الله، له ما في السمٰوات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرى، وهذا هو توحيد الربوبية؛ الاعتقاد الجازم في القلب أن الملك لله في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فالملك لله، والأرض كلها لله، قال

---

(١) **صحيح**: م: (١٧٩).

ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. والمال الذي بين أيدينا لله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]. واعلم ـ يا عبد الله ـ أن الملك لله وأنك ضيف في هذه الدنيا، فمهما وصلت فأنت خارج من الدنيا كما جئت إليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤]، فأنت خارج من الدنيا لا تأخذ شيئاً كما جئت إلى الدنيا لا تملك شيئاً، وانظر إلى مَنْ كانوا قبلك هل أخذوا شيئاً؟!.

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولدُ

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كلِّ أَوبٍ إليها وافدٌ يفدُ

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من وِرْدِهِ يوماً كما وردوا

فالملك لله، وإذا عرفت ذلك؛ فلا ترفع يديك إلا للمالك، الذي خزائنه ملأى لا تنفد أبداً، أفتترك الذي له ملك السمٰوات والأرض وتدعو الأموات؟!! أين عقول الذين يتمسحون بالقبور ويطلبون منهم، ويتركون الذي له ملك السمٰوات والأرض؟!! اطلبوا من الله فهو الغني.

المسألة الخامسة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وهذا استفهام للنفي؛ أي: لا أحدَ يشفع يوم القيامة إلا بإذنه، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

الشفاعة تطلب من الله، فمن طلب الشفاعة من الأنبياء أو من الملائكة أو الأولياء أو الصالحين فقد ضل ضلالاً مبيناً، الأنبياء الملائكة الأولياء العلماء كلهم يشفعون يوم القيامة، ولكن بإذن من الله ويشفعون فِيمَنْ رضي الله عنهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]. ورسولنا ﷺ يوم القيامة يخر ساجداً تحت العرش ويثني على الله، فيقول الله ﷻ له: «**يا محمد، ارفع رأسك سل تُعْطَهْ واشفع تُشَفَّعْ**»[١]، فالله هو الذي يأذن بالشفاعة، ولذلك لا ينبغي لمسلم أبداً أن يطلب الشفاعة إلا من الله، ومن طلب الشفاعة من غير الله ـ أيًّا كان ـ فقد ضل ضلالاً مبيناً.

المسألة السادسة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾، فالله ﷻ يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض. يعلم من أنت، يعلم أين أنت، ويعلم ما تفعل، وهذا إذا اعتقده الإنسان في قلبه فإنه سيرتعد خوفاً من الله. فالله مطلع عليك.

فإذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ... ولا أن ما يخفى، عليه يغيب

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

فإذا اعتقد الإنسان ذلك وعلم أن الله مطلع عليه، ويعلم ماذا يفعل ترك المعاصي، وأقبل على الله، وأقبل على الطاعات؛ لأنه علم أن الله يعلم كل ما يصنع، وترك المعاصي؛ لأنه يعتقد أن الله يعلم ما يصنع، فتراه دائماً مقبلاً على الطاعات مبتعداً عن المعاصي، وهذا هو الإحسان، كما قال ﷺ عنه: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه**

---

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث طويل. انظر: خ: (٤٤٣٥)، م: (١٩٤).

فإنه يراك»(١).

المسألة السابعة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، فالله سبحانه وحده هو الذي يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، والله اختص نفسه بعلم الغيب فقال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فالملائكة لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم الله، والجن لا يعلمون الغيب، كذلك الأنبياء والأولياء والصالحين لا يعلمون الغيب، والكهنة والمشعوذين لا يعلمون الغيب، وهذه عقيدة فإذا اعتقدت أنه لا يعلم الغيب إلا الله دفعك ذلك إلى أن تعلم:

الأمر الأول: أنه لا يجوز لأحد أيّاً كان أن يجزم بنزول المطر في الغد ولا بهبوب الرياح مهما كان عنده من علم إلا أن يقول: إن شاء الله تعالى؛ لأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

الأمر الثاني: إذا اعتقدت أنه لا يعلم الغيب إلا الله؛ فلا يجوز لك يا مسلم يا من تحمل في صدرك هذه العقيدة الصحيحة أن تعتقد ما يكتب في (الجرائد) من (حظك اليوم). وتتعجب من مسلم يصلي، ويركع ويسجد لله، ويعلم أن الضار والنافع هو الله، ومع ذلك يعتقد في (حظك اليوم)، فإذا رأى خيراً استبشر، وإذا رأى شرًّا تشاءم، وتراه طوال يومه منكسَ الرأس، وهذه عقيدة فاسدة، وهذا عمل باطل، ولا يجوز في بلاد المسلمين أن ينشر ذلك في الجرائد.

الأمر الثالث: كثيرٌ من الناس إذا سُئِلَ عن شيء في الدين قال: الله ورسوله أعلم، وهذا خطأ؛ لأنَّ صحابة رسول الله ﷺ كانوا إذا سئلوا عن

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث. انظر: خ: (٥٠).

شيء قالوا: الله ورسوله أعلم، وذلك لأن الوحي كان ما يزال ينزل عليه ﷺ من السماء، ولكن بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى ربه فلا يجوز لمسلم أبداً أن يقول: الله ورسوله أعلم، ولكن ليقل: الله وحده أعلم.

الأمر الرابع: إذا علمت أن الغيب لله، وأنه لا يُطلع على الغيب أحدٌ إلا الله؛ فتعلم أن الذهاب إلى الكهنة والمشعوذين حرام وضلال، فتذكر أن من ذهب إليهم ولم يصدقهم بما قالوا لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، ومن صدقهم بما قالوا، فقد كفر بما أنزل على محمد. فكم ممن يصَّلون يذهبون إليهم فيدَّعون علم الغيب، فيصدقونهم؟.

لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن الكاهن ـ أحياناً ـ يُخبر مَنْ يأتيه ببعض المعلومات عنه، فمن أَين عَلِمَ الكاهن هذه المعلومات؟ إن الكاهن لما كفر بالله خدمته الشياطين لقاء كفره، فيخبر قرين الشخص الذاهب إليه قرين الكاهن ببعض المعلومات عن ذلك الشخص، فيقوم قرين الكاهن بإلقاء تلك المعلومات في أذن الكاهن فيخبر الكاهن بها من ذهب إليه، فيظن الجاهل بجهله، أن الكاهن يعلم الغيب.

أفيذهب مؤمن يعلم أن الغيب لله إلى السحرة والكهنة!! هذا ضلال مبين!! فاحذر ـ يا عبد الله ـ أن تذهب إليهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، والموت يأتي بغتة فتخرج من الدنيا على غير (لا إله إلا الله)، فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، ومع باقي الآية نعيش في الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى.

اللّهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً

❀ ❀ ❀

١٨

آية الكرسي وأنواع التوحيد الثلاثة (٢)

عباد الله!

في الجمعة الماضية بدأنا في الحديث عن آية الكرسي وقلنا: إنها أعظم آية في كتاب الله، وقلنا: إن من قرأها قبل نومه لا يقربه شيطان حتى يصبح ولا يزال عليه من الله حافظ، وقلنا: إن آية الكرسي تحتوي على أنواع التوحيد الثلاثة، وتحتوي على عشر مسائل من أهم وأعظم مسائل العقيدة، وقد تكلمنا عن المسائل السبع الأولى منها، وها نحن في هذا اليوم نتكلم عن باقي المسائل، سائلين المولى في عُلاه السداد والتوفيق.

المسألة الثامنة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، أي: أحاط كرسيه بالسمٰوات والأرض.

عباد الله: العرش والكرسي حق، ولقد جاءت الآيات والأحاديث تخبر بذلك، والكرسي بالنسبة للعرش ـ كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ـ كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض، والعرش والكرسي من مخلوقات الله العظيمة.

المسألة التاسعة: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: لا يعجزه حفظ السمٰوات والأرض؛ وذلك أن الله على كل شيء قدير، وأن الله ﷻ وحده هو الذي يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا، وهو سبحانه الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

المسألة العاشرة والأخيرة: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، هو سبحانه وتعالى العالي على خلقه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، وقال

ـ تعالى ـ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، والعرش فوق السموات، ومسألة العلو قضية مهمة من قضايا العقيدة، لكن ضل فيها كثير من المسلمين إلا من رحم ربي.

- فمنهم من يعتقد أن الله موجود بذاته في كل الوجود، وهذه عقيدة الجهمية، وهي فرقة ضالة من فرق الضلال التي أخبر عنها النبيُّ ﷺ.

- ومنهم من يقول: لا أدري!! الله ﷻ في السماء أم في الأرض.

والاعتقاد الصحيح في مسألة العلو: أن الله ﷻ استوى على عرشه فوق سماواته استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين، وهو غني عن العرش وما دون العرش، وهو معنا في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

إذا سألنا رجلاً في هذا الزمن العجيب وقلنا له: أين الله؟ فتراه إما أَنْ يقول: لا أدري! أهو في السماء أم في الأرض، وإما أن يقول: هو في كل مكان، كما نسمع الجهلة من المسلمين وهم يقولون: (يا موجود في كل الوجود)، فهذه عقيدة فاسدة.

فاسأل من شئت ـ إلا من رحم ربي ـ: أين الله؟ ـ وربما يكون من تسأَله ممن يحمل شهادة الدكتوراه ـ فستجده لا يعرف أين الله، أهو في السماء أم في الأرض؟ فإما أَن يقول: لا أدري، وإما أن يقول: في كل مكان.

وهذا الإمام أبو حنيفة سئل عن رجل لا يعلم ربه أهو في السماء أم في الأرض، فقال الإمام: يكفر بذلك؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فالعرش معلوم أنه فوق السموات؛ إذاً الرحمٰن على العرش استوى، استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله.

إخوة الإسلام: وهذا رسولنا ﷺ يبيّن لنا ذلك بياناً شافياً.

جاء إليه رجل معه جارية لطمها على وجهها وأراد أن يعتقها لوجه الله

تكفيراً لذنبه، فلما أخبر الرسول ﷺ بذلك قال له رسول الله ﷺ: «**ائتني بها**»، فجاء الرجل بالجارية فامتحنها رسول الله ﷺ فقال للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، فقال لها: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال ﷺ لسيدها: «**أَعتقها فإنها مؤمنة**»[١]. لأنها تعتقد أن الله في السماء؛ أي: فوق السماء على عرشه، وتعتقد أن رسول الله هو رسول حق من عند الله. فمن هذا الحديث يتبين لنا أننا إذا سألنا أحد: أين الله؟ فإن هذا سؤال مشروع؛ لأن الرسول ﷺ سأل الجارية فقال لها: «**أين الله؟**» وإذا سُئِلنا: أين الله؟ فقلنا: في السماء فهذه إجابة مشروعة واعتقاد صحيح؛ لأن الجارية قالت: هو في السماء؛ فأقرّها الرسول على ذلك وشهد لها بالإيمان، وكذلك نأخذ من هذا الحديث أَن من اعتقد أن الله في السماء على عرشه استوى فهو من المؤمنين.

إخوة الإسلام: العقيدة الصحيحة في مسألة العلو: أن الله على عرشه استوى استواءً يليق بجلاله، ليس كمثله شيء، غني عن العرش وما دون العرش، وهو معنا في كل مكان بسمعه وعلمه وبصره.

إخوة الإسلام: لقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنّة تشهد بأن الله استوى على عرشه، ففي كتاب الله يخبرنا ربنا في سبع مواضع من كتابه أنَّ الرحمٰن على العرش استوى، والعرش فوق السموات؛ أي: عليك أن تعتقد أن الله ﷻ استوى على عرشه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ

(١) **صحيح**: م: (٥٣٧).

تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦]، في السماء؛ أي: على السماء؛ فـ«في» تأتي بلغة العرب بمعنى الظرفية، وبمعنى على، فهنا «في السماء» بمعنى «على السماء»، كما جاء في الآيات القرآنية الكثيرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [تبارك: ١٥]؛ أي: أن الله يأمر عباده أن يمشوا على الأرض ولا يعقل أبداً أن الله يأمر عباده أن يحفروا لأنفسهم أخاديد في الأرض ليمشوا فيها. وقال تعالى عن فرعون أنه قال للسحرة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، ففي هنا بمعنى (على).

إخوة الإسلام: وقد جاءت الأدلة من السنّة تشهد أن الله في السماء؛ أي: على عرشه استوى، يقول ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[١]. والشاهد: «**فهو عنده فوق العرش**»، وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالىٰ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٢]، الشاهد: «**يرحمكم من في السماء**». وقال ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمينُ مَنْ في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**»[٣]، وقال ﷺ: (للجارية: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء)[٤]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها**»[٥]. الشاهد: «**كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها**».

والفطرة السليمة تشهد بأن الله على عرشه استوى، فالصغير منا والكبير والذكر والأنثى الكل تراه إذا دعا الله ﷻ رفع يديه إلى السماء اعتقاداً أن الله على العرش استوى، وكل مِنّا إذا دعا ربه يعلم أن قلبه يتجه إلى أعلى،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٢٢).

(٢) **صحيح**: د: (٤٩٤١)، ت: (١٩٢٤)، حم: (٢/ ١٦٠)، ك: (٤/ ١٧٥)، ش: (٥/ ٢١٤)، [«ص.ج» (٣٥٢٢)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤٠٩٤)، م: (١٠٦٤). (٤) **صحيح**: م: (٥٣٧).

(٥) **صحيح**: م: (١٤٣٦).

دليلٌ من الفطرة السليمة أن الله في جهة العلو، فهو سبحانه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين. وهو غني عن العرش وما دون العرش، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

إخوة الإسلام: فإذا سُئِلنا: أين الله؟ قلنا: في السماء، وإذا سألنا مبتدع: كيف استوى على عرشه؟ قلنا كما قال الامام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

إخوة الإسلام: وربما سائل يسأل فيقول: وماذا نستفيد من أن الله ﷻ في كل مكان أو في السماء استوى على عرشه؟ ربما يخطر على بال إنسان هذا السؤال الخبيث فنقول: لقد سمعت أن رسول الله ﷺ عندما أراد أن يمتحن الجارية سألها: «**أين الله؟**» فلما قالت واعتقدت: إنه في السماء، قال لصاحبها: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»، فالإيمان: أَن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكذلك من الإيمان أن تعتقد أن الله ﷻ مستوٍ على عرشه فوق سمٰواته استواءً يليق بجلاله، فعندما تعتقد أن الله في السماء مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، فهذا من الإيمان. وعندما تقول: إن الله بذاته في كل مكان، فهذه عقيدة فاسدة جهمية ضَلَّ أصحابها وأضلّوا، فاحذروا ـ يا عباد الله ـ من دعاة السوء الذين يدعون الناس إلى هذه العقيدة الفاسدة، فالله ﷻ كما أخبر عن نفسه وكما أخبر عنه رسول الله ﷺ: الرحمٰن على العرش استوى فوق سماواته استواء يليق بجلاله، وهو معنا في كل مكان بسمعه وعلمه.

إخوة الإسلام: واعلموا أن الله ﷻ مع أنه مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، فهو مطلع على العباد عليم بأفعال العباد، ويسمع السر والنجوى، ويعلم السر وما أخفى ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهذه هي معيَّة الله العامة لكل المخلوقات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ

مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

وبالمثال يتضح المقال: في الليل هذا القمر يكون مع المسافر هنا وفي بلد آخر أينما ذهب المسافر يكون القمر معه، وهذا القمر مخلوق صغير من مخلوقات الله. ولله المثل الأعلى، فالله ﷻ وهو فوق عرشه على سمٰواته معنا في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره.

واعلموا أن الله ﷻ ـ وهو مستوٍ على عرشه ـ مع المؤمنين الصادقين بحمايته وتأييده، ينصرهم ويحفظهم ويرعاهم، وهذه معية خاصة من الله ﷻ للمؤمنين.

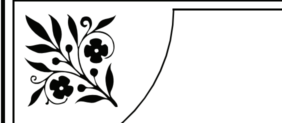
قال ـ تعالى ـ لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وكما أخبر بذلك النبي ﷺ عندما قال لأبي بكر وهما في الغار: «﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾» [التوبة: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]؛ أي: معهم بتأييده وحفظه ونصره.

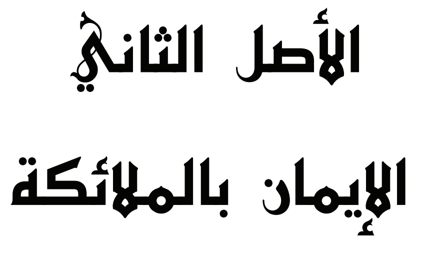
وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، فيجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وذلك لا يكون إلا أن يثبت المسلم لله ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله في سنّته، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تشبيه ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تكييف.

وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن توحيد الأسماء والصفات، وبه نكون قد انتهينا من الحديث عن الأصل الأول من أصول العقيدة، وهو الإيمان بالله.

وموعدنا في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ أن نبدأ الحديث عن الأصل الثاني من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة.

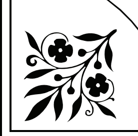
اللّهم إنّا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً





الأصل الثاني

الإيمان بالملائكة





١٩

الملائكة

عباد الله!

قلنا: إن العقيدة السليمة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وقد تكلمنا عن الأصل الأول منها ألا وهو الإيمان بالله ﷻ، وموعدنا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع الحديث عن الأصل الثاني من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بالملائكة.

إخوة الإسلام: الإيمان بالملائكة من أهم خصائص المؤمنين. ومن مستلزمات الإيمان ومن أركان الإيمان، فلا حظَّ في الإسلام لمن كفر بالملائكة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ورسولنا ﷺ يقول لما سُئل عن الإيمان: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[(١)].

عباد الله: والكفر بالملائكة كفر بالله ﷻ وضلال مبين؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

فالذي يكفر بالملائكة كافر بالله ﷻ، وقد ضل ضلالاً بعيداً، وهو خارج عن ملة الإسلام.

إخوة الإسلام: الملائكة عالم من عوالم الغيب التي لا نراها ولكن نؤمن بها، فقد جاء في كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ذكر الملائكة وإن كنا لا نراها، فإننا نؤمن بها كما نؤمن بوجود العقل ولا نراه، ونؤمن بالروح في الجسد ولا نراها، فالله أخبرنا عن الملائكة فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فالله أخبرنا أن الملائكة تصلي على رسولنا ﷺ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، فأخبرنا الله أن الملائكة شهدوا له سبحانه بالوحدانية، ومن أصدق من الله قيلاً؟! لا أحد. ورسولنا ﷺ أخبرنا في سنّته عن الملائكة؛ فقال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[(١)]، وقال ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب**»[(٢)]، فأخبرنا رسول الله ﷺ عن الملائكة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الذي إلا وحي يوحى، فوجب علينا أن نؤمن بالملائكة وإن كنا لا نراها؛ لأن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين ومن صفات المتقين، فإن الله ﷻ وصف عباده المتقين أنهم يؤمنون بالغيب، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

إخوة الإسلام: والملائكة لا نعرفها إلا من خلال الكتاب والسنّة فقط لذلك تعالوا بنا إلى الكتاب والسنّة لنتعرف على الملائكة: مِمَّ خُلقت؟ ولماذا خلقت؟ وما صفاتهم الخَلْقية؟ وما صفاتهم الخُلقية؟ وما هي

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: لس: (١١٦٥)، حم: (٤/٢٣٩)، مي: (٣٥٧)، فع: (٥٨)، طب: (٨/٦٣)، [«ص.ج» (١٩٥٦)].

علاقتهم بالله ﷻ؟ وما هي علاقتهم بهذا الكون، وما هي علاقتهم بك يا ابن آدم إلى أن تلقى الله؟ هذا ما سنعرفه في يومنا هذا وفي الجمع القادمة، إن شاء الله.

عباد الله: الملائكة خلقت من نور لقوله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»(١). متى خلقت الملائكة؟ الله تعالى أعلم، ولكن الله أخبرنا في كتابه أن الملائكة خلقت قبل خلق آدم، فقد أخبرنا الله في كتابه أنه أعلم الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة ألا وهو آدم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، فخلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فتبيّن لنا أن خلق الملائكة سابق لخلق آدم.

عباد الله: الملائكة خَلْقٌ عظيمٌ، ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]، ورسولنا ﷺ رأى جبريل على هيئته التي خلقه الله عليها له ست مائة جناح سد بها الأفق، رآه على ذلك مرتين: الأولى في مكة، والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣].

يقول ﷺ: «**أُذن لي أن أحدِّث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى من حملةِ العرشِ ما بَيْن شحمة أذُنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة**»(٢). خلق عظيم يعبدون الله ليلاً ونهاراً، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه هذه المسافة

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٦).

(٢) **صحيح**: د: (٤٧٢٧)، طس: (٤/٣٥٦)، [«س.ص» (١٥١)].

الكبيرة! مخلوقات عظيمة! يسجدون ويركعون لله، وأنت يا ابن آدم يا من خلقت من طين تتكبر أن تسجد لله! أما تستحيي؟!.

• الملائكة وصفهم الله ﷻ بأنهم كرام بررة، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦]. ورسولنا ﷺ يقول: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة**»(١)؛ أي: مع الملائكة، نسأل الله أن نكون منهم.

• ومن أخلاق الملائكة الحياء، يقول ﷺ: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكةُ؟**»(٢) يعني عثمان. وكان رسولنا ﷺ في ذلك الوقت كاشفاً عن فخذه فدخل أبو بكر ودخل عمر والرسول الله ﷺ على هيئته، فلما دخل عثمان غَطَّى فخذه وقال لعائشة: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**».

• الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة: وقد ضلت العرب في الجاهلية إذ جعلت الملائكة إناثاً، وقد كذبهم الله ﷻ وأعلمهم أنه سيسألهم يوم القيامة عن هذه الفرية التي افتروها على الملائكة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف: ١٩].

• الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يملون، ولا يتصفون بصفات البشر، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٢٨﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨] الشاهد: أنه عليه السلام قدم لهم طعاماً، وأكرمهم على أنهم

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٥٤)، ت: (٢٩٠٤)، حم: (٦/٤٨)، حب: (٧٦٧)، لس: (١٤٩٩)، ش: (٦/١٢٨)، هب: (٢/٣٣٨)، [«ص.ج» (٥٤٩٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٤٠١).

ضيوف من البشر، ولكنهم كانوا ملائكة في صورة بشر فلم يأكلوا الطعام.

• الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، يقول ﷺ: «**من أكل من هذه البقلة: الثوم (وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث) فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذّى منه بنو آدم**»(١)، وفي رواية مسلم: «**من أكل من هذه البقلة فلا يقربنَّ مساجدنا حتى يذهب ريحها**»(٢) يعني الثوم. فليتق الله الذين يأكلون الثوم والبصل ويأتون إلى المسجد، وليتق الله الذين يشربون الدخان.

• الملائكة تسكن في السماء؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨]، فإن استكبر بنو آدم فالله غني عنهم.

فالملائكة في السماء تنزل إلى الأرض بأمر من الله للقيام بالمهام التي كلفوا بها، ولذلك يقول رسولنا ﷺ لجبريل عليه السلام: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟**»، فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]، ما ينزلون إلا بأمر من الله، وهناك مناسبات تنزل فيها الملائكة؛ ومن هذه المناسبات: أنهم ينزلون في ليلة القدر، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٣ ـ ٥].

• تنزل الملائكة من السماء لحضور مجالس العلم؛ يا طلاب العلم! يا من تكبرتم على العلم ما الذي يمنعك من التعلم؟ أصبحتَ عالماً؟! مهما وصلت من العلم فأنت لست أعلم من رسول الله ﷺ، رسولنا ﷺ يقول الله له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وكان دائماً يسأل الله علماً نافعاً، فكان ﷺ يقول: «**اللّهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً**»(٣).

---

(١) **صحيح**: م: (٥٦٤). (٢) **صحيح**: م: (٥٦١).

(٣) **صحيح**: هـ: (٩٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٤)، لس: (١٦٠٥)، ع: (١٢/ ٣٦١)، ش: (٦/ ٣٣)، هب: (٢/ ٢٨٤)، [«ص.هـ» (٧٥٣)].

فيا أخا الإسلام! لو لم تستفد من دروس العلم إلا أنك تجلس في مجلس تحفه الملائكة، ويذكرك الله في الملأ الأعلى، أفلا يكفيك هذا؟! قال ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

تترك هذا المجلس لتجلس أمام المفسديون؟! تترك هذا المجلس وتجلس في مجالس الغيبة والنميمة؟! أين العقل يا ابن آدم؟ متى تعبد الله؟ إذا نزل بك الموت! متى تتعلم؟ الملائكة تنزل لحضور مجالس العلم، وأنت بعيد عنها يا مسكين!.

• الملائكة تنزل من السماء لسماع القرآن؛ يقول أسيدُ بن حُضير: بينما هو ليلةً يقرأ في مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها فإذا مثل الظُّلةِ فوق رأسي فيها أمثالُ السُّرُج عَرَجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوتُ على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأ ابن حضير**»، قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأ ابن حضير**»، قال: فقرأتُ ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأ ابن حضير**»، قال: فانصرفتُ وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأهُ فرأيتُ مثل الظُّلةِ فيها أمثالُ السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «**تِلكَ الملائكةُ كانت تستمعُ لَكَ، ولو قرأتَ لأصبَحَتْ يراها الناسُ ما تستتر منهم**»(٢).

• الملائكة تنزل من السماء لقبض أرواح العباد، ولتبشير المؤمنين بالجنة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٧٣٠)، م: (٧٩٦).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

● الملائكة لهم القدرة على أن يتشكلوا كما أمرهم الله، وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنّة على أن الملائكة تشكلوا بأشكال البشر، فقد أرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم وهي في خلوتها في صورة بشر على صورة شاب جميل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ١٨].

والملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وجاء جبريل إلى الرسول والصحابة في صورة رجل يقول عمر: بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرَى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ... الحديث، ثم قال رسول الله ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

● الملائكة عددهم عظيم لا يعلمه إلا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر: ٣١]، فإذا أردت أن تعرف أن عددهم عظيم فانظر إلى قوله ﷺ، يقول ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٢)، خلق عظيم وعدد كبير يسبِّحون الله عز وجل بالليل والنهار لا يَسْأَمون ولا يفترون، قال ﷺ في حديث المعراج: «**ثم رفع لي البيت المعمور فقلت: يا جبريل ما هذا؟! قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**»(٣).

---

(١) **صحيح**: م: (٨). (٢) **صحيح**: م: (٢٨٤٢).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٣٥)، م: (١٦٤).

انتبهوا يا عباد الله فإن الله غني عنا، وغني عمن تكبر عن عبادته، فإن تولينا وتركنا المساجد وركعنا وسجدنا لغير الله، نخشىٰ أن يتحقق فينا قـــــول الله ﷻ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

عباد الله! ما هي علاقة الملائكة بالله ﷻ؟ هذا ما سنعيشه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



٢٠

علاقة الملائكة بالله ﷻ

عباد الله!

في الجمعة الماضية قلنا: إنَّ الإيمان بالملائكة أصلٌ من أصول العقيدة الصحيحة، وقلنا: إن من كفر بالملائكة فقد كفر بالله ﷻ؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقلنا أيضاً: إنَّ الملائكة خلقت من نور، وإنهم مبرَّؤون من الشهوات الحيوانية ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة. وهم أُولوا أجنحة مثنى وثلاث ورباع لا يعرفون المعصية ولا يشتهونها؛ بل فطروا على الطاعة والعبادة يسبحون الله ﷻ بالليل والنهار.

وموعدنا في هذا اليوم مع علاقة الملائكة بالله ﷻ:

أمة الإسلام: هل الملائكة آلهة تُعبد من دون الله، كما يعتقد الكثير من الجهلة من بني آدم؟! هل الملائكة بنات الله، كما قالت العرب في الجاهلية؟! الله ﷻ يرد على هذه الافتراءات الكاذبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

فرد الله ﷻ على الذين اتخذوا الملائكة آلهة، ورد على الذين

قالوا: الملائكة بنات الله وكذبهم، وهو سائِلهم يوم القيامة عن هذه الفرية.

إذاً؛ الملائكة ليسوا آلهة ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، إنهم عباد مكرمون جُبلوا على الطاعة، لا يعرفون المعصية ولا يشتهونها، خلقهم الله لعبادته فلا يملّون ولا يكلُّون؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

إخوة الإسلام: الملائكة عباد من عباد الله، خلق من خلق الله، خلقهم لعبادته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

- ومن عبادة الملائكة لله ﷻ:

١ ـ التسبيح بحمد الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧]، وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[1]. الملائكة يسبحون بالليل والنهار، ونحن معشر بني آدم منشغلين بالقيل والقال والغيبة والنميمة، الله أمر رسوله أن يسبِّحه فقال تعالى لرسوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ لرسوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ لرسوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: ٤٩]، وأمر عباده بالتسبيح فقال سبحانه: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤٢]. فاتق الله في لسانك يا عبد الله،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٤٣)، م: (٢٦٩٤).

الملائكة الخلق العظيم يسبحون بالليل والنهار، وأنت مشغول اللسان بالغيبة والنميمة والقيل والقال!.

٢ ـ السجود والاصطفاف: يقول ﷺ لأصحابه: «**أتسمعون ما أسمع؟**»، قالوا: ما نسمع من شيء، فقال ﷺ: «**إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط؛ وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»(١).

والملائكة يهتمون بتسوية الصفوف، ولذلك أخبرنا ربنا ـ جَلَّ وعلا ـ عن الملائكة أنهم يقولون: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الصافات: ١٦٥]. ولذلك أمر رسول الله ﷺ أصحابه بتسوية صفوفهم كما تسوّي الملائكة صفوفها فقال ﷺ لأصحابه: «**ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟**»، قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «**يتمون الصفوف الأُوَل، ويتراصون في الصف**»(٢). وأنتم يا عباد الله ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها طاعة لله؟! ألا ترون أن من جاء إلى المسجد يأتي إلى الصف الأول، فإذا تَمَّ وبدأ الصف الثاني تراهم خلف الإمام ذات اليمين وذات الشمال!، ولو فطنا إلى ذلك ما أعطينا الفرصة لإنسان بأن يتخطى الرقاب؛ لأن تخطي الرقاب حرام. كما إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول؛ قال ﷺ: «**خيرُ صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخيرُ صفوف النساء آخرها، وشرها أولُها**»(٣)، فصفوا عباد الله كما تصف الملائكة يتراصون في الصف ولا يتركون فجوات، قال ﷺ: «**من وصل صفاً، وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله**»(٤).

٣ ـ ومن عبادة الملائكة لربها [**الحج**]؛ ولكنهم لا يحجون إلى البيت الحرام في الأرض؛ بل يحجون إلى البيت المعمور في السماء الذي أقسم الله به في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]،

---

(١) **صحيح**: طب (٣/ ٢٠١)، حل: (٢/ ٢١٧)، [«ص.ج» (٩٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٤٣٠). (٣) **صحيح**: م: (٤٤٠).

(٤) **صحيح**: د: (٦٦٦)، ن: (٨١٩)، حم: (٢/ ٩٧)، خز: (١٥٤٩)، ك: (١/ ٣٣٣)، [«ص.ج» (٦٥٩٠)].

يقول ﷺ: «**ثم رفع لي البيت المعمور فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**»(١). والبيت المعمور كما أخبر الرسول ﷺ فوق في السماء السابعة حيال الكعبة التي نطوف بها يقول ﷺ: «**لو خرَّ** ـ أي: من السماء ـ **لخر عليها**»(٢). عبادة بالليل والنهار يسجدون ويركعون ومع ذلك يخافون الله ويخشونه، يقول الله ﷻ في وصفهم: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠]، لا يأمنون مكر الله، ونحن بني آدم ملأنا الدنيا بالمعاصي، وضيّعنا العمر في القيل والقال ومع ذلك أمنا مكر الله، ﴿**أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾**﴾ [الأعراف: ٩٩].

ومن الملائكة من وكَّله الله ﷻ بالنزول بالوحي على الرسل ليبلغوا دين الله للعباد كجبريل عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، ومن الملائكة من وكَّله الله ﷻ بحمل العرش ـ كحملة العرش ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

ومن الملائكة من وكَّله الله بالنفخ في الصور كإسرافيل، يقول ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصُّور وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر**»(٣) أي: فينفخ.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٣٥)، م: (١٦٤).

(٢) **صحيح**: [«س.ص» (١/٢/٨٥٩)].

(٣) **صحيح**: حم: (٣/٧٣)، حب: (٨٢٣)، ع: (٢/٣٣٩)، حل: (٧/١٣٠)، [«س.ص» (١٠٧٩)].

ومن الملائكة من وكَّله الله بقبض أرواح العباد كملك الموت، ومن الملائكة من وكَّله الله بالجبال.

ومن الملائكة من وكَّله الله بالمطر والنبات.

ومن الملائكة من وكَّله الله برقابة العباد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧]، والملائكة ينزلون يوم القيامة إلى أرض الحساب ليحيطوا بأرض الموقف؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦]، هناك يقول الإنسان المفرط: أين المفر؟ فيقال له: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٢]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]. يأتي ربنا يوم الحساب يحاسب العباد، يجيء مجيئاً يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وتجيء الملائكة من السماء صفّاً صفّاً ليحيطوا بالموقف، ليشرفوا على العباد، فمنهم من يقود الناس إلى الحساب، ومنهم من يقف على الميزان.. إلى غير ذلك مما سنعرفه عندما نتكلم عن اليوم الآخر. قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ فالملائكة تنزل يوم القيامة ليحيطوا بالموقف، في هذا الموقف الرهيب العصيب الذي لا يكون خفيفاً إلا على من خفّفه الله عليه.

عباد الله!

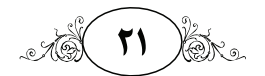
ما هي علاقة الملائكة بهذا الإنسان؟ هذا ما سنعرفه في الجمع القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

نسأل الله العظيم أن يظلّنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه،

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❋ ❋ ❋



علاقة الملائكة بالإنسان عامةً

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية عن علاقة الملائكة بالله ﷻ، وتبين لنا أن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون خلقهم الله لعبادته يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع **علاقة الملائكة بالإنسان عامة**، وفي الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ **موعدنا مع علاقة الملائكة بالمؤمنين خاصة**.

إخوة الإسلام: الملائكة لها علاقة بالإنسان بَدَأَت من اللحظة الأولى من خلق آدم عليه السلام وهو أبو البشر، فما هي علاقة الملائكة بآدم عليه السلام؟ الملائكة هي التي سألت ربها عن الحكمة من خلق آدم، الملائكة هي التي سجدت بأمر ربها تكريماً لآدم، الملائكة هي التي غسلت آدم عليه السلام بعد موته.

إخوة الإسلام: عندما أراد الله أن يخلق هذا المخلوق، وهو آدم، أخبر الملائكة بذلك؛ فسألت الملائكة عن الحكمة من خلق آدم، وقد علمت أنه سيقع من ذريته في هذه الأرض إفسادٌ وسفكٌ للدماءِ وعصيانٌ وكفرٌ، فأخبر الله ﷻ ملائكته أَنه أراد من خلق آدم حكمةً لا يعلمونها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]. وعندما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم تكريماً له؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١، ٧٢]. وعندما مات آدم عليه السلام حار أولاده كيف يفعلون به فعلَّمتهم الملائكة، قال ﷺ: «**لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً، وألحدوا له وقالوا: هذه سنَّة آدم في ولده**»[١]. وقد ثبت أن الملائكة غسلت شهيداً من هذه الأمة، أتعلمون من هو ـ يا عباد الله ـ إنه حنظلة رضي الله عنه الذي استشهد في معركة أُحد.

أما علاقة الملائكة بالإنسان عامة فإنها تبدأ من اللحظة الأولى من تكوينه في بطن أمه، فالملائكة تشرف عليه في الرحم في هذا القرار المكين الذي لا يعرف ما يكون في داخله من التدبيرات إلا الله. الملائكة لها دور وإشراف في تكوين هذا الإنسان في بطن أمه كما أنها تكتب ما تؤمر به من قبل الله عز وجل، وقد جاءت الأدلة تبيّن ذلك:

روى مسلم في «صحيحه» قال ﷺ: «**إذا مرَّ بالنطفةِ اثِنْتَان وأربعون ليلةً، بعث الله إليها ملكاً فصوَّرها، وخلق سمعها وبصرها، وجِلدَها ولحمها وعظمها، ثم قال: يا ربِّ أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك ثم يقول: يا ربِّ أجلُهُ؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا ربِّ رزقُهُ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج المَلَكُ بالصحيفة في يده فلا يزيدُ على أمرٍ ولا ينقصُ**»[٢].

فليتقِ اللهَ من إذا بُشِّر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، فإن الأمر يا عبد الله ليس بيديك، ولا بيد الزوجة، ولا بيد الملك الذي في الرحم، إنما الأمر كله لله.

وفي الصحيحين يقول ﷺ: «**إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكتْبِ رزقه وأجله وعمله،**

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٥٩٥)، طس: (٨/ ١٥٧)، [«ص.ج» (٥٢٠٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٦٤٥).

وشقي أم سعيد. فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(١)، وفي الصحيحين أيضاً قال ﷺ: «**وكَّل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي ربّ نطفة، أي ربّ علقة، أي ربّ مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: أي ربّ ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»**(٢).

فالملائكة تشرف على الإنسان منذ اللحظة الأولى وهو في بطن أمه، فإذا خرج الإنسان من بطن أمه إلى هذه الدنيا فإن الملائكة تحفظه من الأمام ومن الخلف.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: المعقبات من الله عز وجل: هي الملائكة تحفظ الإنسان من أمامه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله الذي قُدِّر تخلت عنه الملائكة، وهذه المعقبات قد جاءت في آية أخرى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

هؤلاء الحفظة يحفظونك يا ابن آدم من الأمام ومن الخلف. ابن آدم من أنت حتى تُحْفَظَ من الملائكة من الأمام ومن الخلف، وعن اليمين وعن الشمال، حرس إلهي يحرسك يا ابن آدم، ثم بعد ذلك تتجرأ على معصية الله؟ ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٥٤)، م: (٢٦٤٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٢٢٢)، م: (٢٦٤٦).

إخوة الإسلام: والملائكة تحرك بواعث الخير في نفوس بني آدم، فالله ﷻ قد وكَّل بكل إنسان قريناً من الجن، وقريناً من الملائكة، فقرين الجن يأمر بالشر ويرغِّب فيه، وقرين الملائكة يأمر بالخير ويرغِّب فيه.

قال ﷺ: «**إن للشيطان بابن آدم لَمَّة، وللملك لَمَّة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾﴾[1] [البقرة: ٢٦٨].

والملائكة تراقبك رقابة شديدة وتسجل عليك كل الأعمال والأقوال، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]. وكَّل الله ﷻ بكل إنسان ملكين لا يفارقانه أبداً يسجلان كل شيء من أقوال وأعمال حتى قالوا: الملائكة تسجل عليك كل شيء حتى إذا قلت: أكلت، شربت، نمت، وكلَّ ما تلفظ من قول، وذُكِرَ أن الإمام أحمد رحمه الله وهو في فراش الموت كان يئنّ من شدة المرض، فقيل له: الملائكة تسجل كل شيء، فتوقف الإمام أحمد عن الأنين حتى مات.

الإنسان يوم القيامة يجد أن الملائكة قد سجلت عليه كل شيء

---

(١) **ضعيف**: ت: (٢٩٨٨)، حب: (٩٩٧)، طب: (٩/ ١٠١)، ع: (٨/ ٤١٧)، هب: (٤/ ١٢٠)، [«ض.ج» (١٩٦٣)].

صغيراً وكبيراً، وإذا أردت أن تعرف ذلك فاسمع إلى المجرمين عندما ينظر كلٌّ في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

تلا الحسن البصري هذه الآية: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

ثم قال: (يا ابن آدم، بُسِطَتْ لك صحيفة (أي: بيضاء)، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، فأما الذي على اليمين فيحفظ الحسنات، وأما الذي على اليسار فيحفظ السيئات يقول: فاعمل ما شئت وقل ما شئت، واعص ما شئت أقلل أو أكثر، يقول الحسن: فإذا مت طويت صحيفتك وعلقت في عنقك ووضعت معك في قبرك، ويوم القيامة يقول الله ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾)[1] [الإسراء: ١٣، ١٤].

وكما قال القائل:

اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته	إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا

والآن ما هي علاقة الملائكة بالكفار والمجرمين؟ الملائكة تلعن الكفار الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة: ١٦١].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٤١٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥١)، والألوسي في روح المعاني (١٥/ ٣٢).

الملائكة إذا نام الكافر والمجرم في فراش الموت نزلت عليه وأخذت تضربه وتعذبه وتنزع روحه نزعاً شديداً بلا هوادة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

تقول لهم الملائكة: أيتها الروح الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث اخرجي إلى ربّ غضبان، اخرجي إلى نار حامية.

فالملائكة تعذب الكفار والمجرمين في قبورهم، فإذا أُدخل الكافر في قبره دخل عليه ملكان ـ منكر ونكير ـ يقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: ها ها لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد.

والملائكة في جهنم يعذبون الكفرة والمجرمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المدثر: ٣١].

والذين يقفون على أبواب جهنم ملائكة وصفهم الله تعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وإن من في النار ينادون على الملائكة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يخرجنا من الدنيا على (لا إله إلّا الله)



علاقة الملائكة بالمؤمنين خاصةً

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية عن علاقة الملائكة بالإنسان عامة، وتبيّن لنا أن لها دور في تكوين الإنسان وهو في بطن أمه بأمر من الله، فإذا خرج إلى هذه الدنيا فالملائكة تقوم على حفظه من أمامه ومن خلفه، وهي تراقبه رقابةً شديدة في هذه الدنيا.

وموعدنا ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذا اليوم مع علاقة الملائكة بالمؤمنين خاصةً:

إخوة الإسلام: الملائكة لها علاقة وثيقة بالمؤمنين تقوم على المحبة.

● فالملائكة يحبون المؤمنين؛ قال ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل. ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض**»(١). والله يحب المؤمنين، والذين آمنوا أشد حباً لله، فمن أراد أن يتحصل على محبة الله لتحبه الملائكة فعليه أن يتقرب إلى الله ﷻ بالفرائض والنوافل، فالله أخبرنا في الحديث القدسي: «**... وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٤٧)، م: (٢٦٣٧). (٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٧).

ٱبن آدم، المحافظة على السنن تقربك من الله وتحببك إلى الله، فإذا أحبك الله أحبتك الملائكة.

• الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧].

• الملائكة يصلون على المؤمنين؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والصلاة من الملائكة للمؤمنين بمعنى الدعاء والاستغفار، فمثلاً الملائكة يصلون على معلم الناس الخير؛ أي: يدعون ويستغفرون له، قال ﷺ: «**إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**»[١].

• الملائكة يصلون على الذين يأتون إلى المساجد للصلاة فيها: قال ﷺ: «... **والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلّاه الذي يصلي فيه اللّهم صلّ عليه، اللّهم ارحمه، ما لم يُحدِثْ فيه ما لم يؤذِ فيه**»[٢].

• الملائكة يصلون على الذين يُصلُّون في الصف الأول؛ قال ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلّون على الصف الأول**»[٣]، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، تنافسوا على الصلاة في الصف الأول، يا من تأتون إلى المسجد مبكرين وتجلسون في مؤخرة المسجد.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦٨٥)، طب: (٨/ ٢٣٤)، [«ص.ج» (١٨٣٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٠١٣).

(٣) **صحيح**: د: (٦٦٤)، هـ: (٩٩٧)، حم: (٤/ ٢٩٧)، ك: (١/ ٧٦٥)، مي: (١٢٦٤)، خز: (١٥٥١)، [«ص.ج» (١٨٣٩)].

• والملائكة يصلّون على الذين يَصِلُون الصفوف ويسدون الفُرَج؛ يقول ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلّون على الذين يصلون الصفوف، ومن سدَّ فرجة رفعه الله بها درجة**»(١).

• الملائكة يُصَلُّون على الذي يصلي على رسول الله ﷺ، يقول ﷺ: «**ما من عبد يصلي عليَّ إلا صلَّت عليه الملائكة ما دام يصلّي عليَّ، فلْيُقِلَّ العبد من ذلك أو ليُكَثِّر**»(٢).

إخوة الإسلام: الملائكة تصلّي على الذين يعودون المرضى، يقول ﷺ: «**ما من ٱمرىء مسلم يعود مسلماً إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك يصلّون عليه في أي ساعات النهار كان حتى يمسي، وأي ساعات الليل كان حتى يصبح**»(٣).

• الملائكة يشهدون مجالس العلم ويحبونها، ويحفون بأجنحتهم المؤمنين الذين يجلسون في بيت من بيوت الله يتعلّمون الكتاب والسنّة فتحفهم الملائكة إلى عنان السماء يقول ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلمّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»(٤). فإذا وجدت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم؛ فهؤلاء قومٌ يحبهم الله وتحبهم الملائكة، وإذا وجدت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم؛ فهذا مجلس لا يحبه الله ولا الملائكة؛ يقول ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(٥)، وقال ﷺ:

---

(١) **حسن**: هـ: (٩٩٥)، حم: (٦/٨٩)، [«ص.ج» (١٨٤٣)].

(٢) **حسن**: هـ: (٩٠٧)، ش: (٦/٣٢٦)، حم: (١/٤٤٦)، [«ص.ج» (٥٧٤٤)].

(٣) **صحيح**: حب: (٢٩٥٨)، حم: (١/٩٧)، ع: (١/٢٤٨)، [«ص.ج» (٥٦٨٧)].

(٤) **صحيح**: خ: (٦٠٤٥)، م: (٢٦٨٩).

(٥) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

«**ما مِنْ قومٍ يقومون مِنْ مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلَّا قاموا عن مثل جيفة حمارٍ، وكان عليهم حسرة**»[١].

إخوة الإسلام: الملائكة تحب طالب العلم ـ علم الكتاب والسنة ـ وتحفه بأجنحتها، فهنيئاً لكم يا طلاب العلم. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله جئت لأطلب العلم فقال ﷺ: «**مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا رضاً بما يصنع**»[٢]، فيا طالب العلم، إذا خرجت من بيتك إلى طلب العلم، فإن الملائكة تحفك من فوق رأسك إلى عنان السماء رضاً بما تصنع؛ لأنك ما خرجت لتطلب الدنيا! إنما خرجت لتتعلم دين الله؛ لتعبد الله على علم، قال ﷺ: «**ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع**»[٣].

عباد الله! الملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، يقول ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون**»[٤]، تنزل من السماء ملائكة من صلاة الفجر إلى صلاة العصر ثم تصعد إلى ربها، وملائكة أخرى تبدأ معك من صلاة العصر إلى صلاة الفجر ثم تصعد إلى ربها، تقرير يومي، تقرير ليلي فيك يا عبد الله، أما تستحي من الله أن تنزل الملائكة من السماء عليك وأنت سكرانَ! وأنت آكل للربا! فالملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، لذلك يقول ﷺ: «**من صلّى البردين دخل الجنة**»[٥].

- الملائكة يوم الجمعة تقف على أبواب المساجد يسجلون الداخل

---

(١) **صحيح**: د: (٤٨٥٥)، حم: (٢/ ٥٢٧)، ك: (١/ ٦٦٨)، [«ص.غ.هـ» (١٥١٤)].
(٢) **حسن**: طب: (٨/ ٥٤)، [«ص.غ.هـ» (٧١)].
(٣) **صحيح**: هـ: (٢٢٦)، حم: (٤/ ٢٣٩)، حب: (٨٥)، [«ص.ج» (٥٧٠٢)].
(٤) **صحيح**: خ: (٥٣٠)، م: (٦٣٢). (٥) **صحيح**: خ: (٥٤٨)، م: (٦٣٥).

إلى صلاة الجمعة؛ يقول ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طَوَوا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر**»(١).

فليتق الله الذين لا يأتون الجمعة إلا بعد أن يبدأ الخطيب بالموعظة، فقد ضيّعوا على أنفسهم أجراً عظيماً، ولم تسجل أسماؤهم الملائكة في الصحف.

• الملائكة يؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، قال ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملَك موكل، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملَك الموكل به: آمين ولك بمثل**»(٢). نعم؛ الدعاء في ظهر الغيب مستجاب فلا تحرموا أنفسكم أن تدعوا لإخوانكم بظهر الغيب.

• الملائكة تنزل من السماء لتحارب مع المؤمنين في المعركة ضد الكفار وتثبّتهم.

ويوم أن نرجع إلى الله، ويوم أن نكون مؤمنين صادقين، واللهِ سوف تنزل الملائكة من السماء تحارب معنا ضد الكفار، وهذا يوم بدر استغاث المؤمنون بربهم فأغاثهم بجند من السماء؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩]، استجابوا فاستجاب الله لهم؛ لأنهم استغاثوا بالله، ولذلك فنحن نقول: إنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

ما استغاثوا بالأولياء والصالحين، ولا بالشرق والغرب، إنما استغاثوا بربهم وهم أذلة فنصرهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

ويوم بدر يقول ﷺ لأصحابه: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»(٣)، فوالله الذي لا إله غيره إذا رجعنا إلى الله وتُبنا بصدق

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٣٩).

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٣٣).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٧٧٣).

إلى الله فلينزلن جبريل ولتنزلن الملائكة، وأي قوة على وجه الأرض تقف أمام الملائكة؟

وذاك يوم الأحزاب جاءت الأحزاب فيه من كل مكان للقضاء على الإسلام والمسلمين، ولكن الله كفى المؤمنين القتال ورد الكفار بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩]. وعن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام فقال: أَوَ قد وضعتم السلاح؟ ما وضعنا أسلحتنا بعد انهد إلى بني قريظة فقالت عائشة رضي الله عنها: كأني أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار)(١). قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢].

● الملائكة تنزل على العبد المؤمن وهو في فراش الموت لتبشره؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

● الملائكة تنزع روح المؤمن برفق ولين: فإذا جاءت الملائكة لقبض الروح الطيبة قالت: أيتها الروح الطيبة التي كانت في الجسد الطيب اخرجي إلى رَوْح وريحان، وربٍّ راضٍ غير غضبان، فتسيل الروح كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء.

● فإذا كان يوم القيامة فالملائكة يتلقون المؤمنين من قبورهم لا يحزنهم الفزع الأكبر.

---

(١) **صحيح**: حم: (٦/ ١٣١)، طب: (٢٣/ ٣٨)، [«الموسوعة الحديثية»].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

وهناك على أبواب الجنة تقابلهم الملائكة بالسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

وإذا دخل المؤمنون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وهنا سؤال مهم: ما هو واجب المؤمن اتجاه الملائكة؟

أولاً: أن يؤمن إيماناً جازماً لا ريب فيه ولا شك فيه بالملائكة، وإن كان لا يراهم؛ فإن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة.

ثانياً: أن نبتعد عن المعاصي والذنوب، فالملائكة لا يحبون العاصي ولا يحبون المعصية؛ فهم قوم خلقهم الله لعبادته.

• واعلم أن الملائكة لا تقترب من سكران، فاحذر أن تكون سكران في لحظة ما، فإن الملائكة لن تقترب منك، فَتُخْطَفُ من هذه الدنيا سكران، وتبعث سكران، وتقف بين يدي الله سكران، وتلقى في جهنم وأنت سكران!!.

• واعلم أن الملائكة لا تقترب من الجنب؛ فاحرص أن تكون طاهراً من الجنابة إلا ما اضطررت فيه.

• واعلم أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة.

فاتقوا الله يا معشر المسلمين، يا من ملأتم بيوتكم بصور ذات أرواح.

• واعلم أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم؛ قال ﷺ: «**من**

أكل من هذه البقلة: الثوم (وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث) فلا يقربنَّ مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»(١).

فليتق الله من أكل ثوماً أو بصلاً ولْيُذْهِب تلك الرائحة قبل أن يأتي إلى المسجد، وليتق الله الذين يدخّنون، فإن الملائكة تتأذّى منهم طوال الليل والنهار.

وهناك بعض الذنوب تلعن الملائكة فاعلها، فكونوا منها على حذر:

أولاً: المرأة التي تعصي زوجها تلعنها الملائكة: قال ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(٢).

ثانياً: إذا أشار الرجل إلى أخيه بحديدة؛ أي: بسكين أو مشرط أو مسدس أو سيف، أو أي آلة حادة وإن كان مازحاً، فإن الملائكة تلعنه. قال ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يَدَعَهُ وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»(٣). ويدخل في ذلك من يطلقون العيارات النارية في الأعراس، فليعلموا أن الملائكة تلعنهم، فكم من مسلم مات بسبب هذه العيارات؟ كم من طفل مات بسببها؟ فليعلم الجميع وليُعلم الشاهدُ الغائبَ أن من أطلق ناراً من مسدس في عرس، فهو من الذين تلعنهم الملائكة.

ثالثاً: الذين يسبون الصحابة تلعنهم الملائكة؛ يقول ﷺ: «**من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين**»(٤). وهناك من الفِرق الضّالة كالروافض من يتقرّبون إلى الله بسبِّ الصحابة أَبي بكر وعمر!!.

بهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن عالم الملائكة الأبرار، وفي الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية، سنبدأ الحديث عن عالم الجن والشياطين.

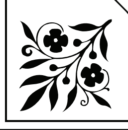
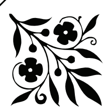
نسأل الله أن يحفظنا من شرهم؛ فهم أشرار
ونسأل الله أن يفقِّهنا في ديننا

---

(١) **صحيح**: م: (٥٦٤). (٢) **صحيح**: خ: (٣٠٦٥).
(٣) **صحيح**: م: (٢٦١٦).
(٤) **حسن**: طب: (١٢/١٤٢)، [«ص.ج» (٦٢٨٥)].




عالم الجن
والشياطين



عالم الجنِّ والشياطين وبعض صفاتهم

عباد الله!

تكلمنا في الجمع الماضية عن عالم الملائكة الأبرار، وتبين لنا أنهم عباد مكرمون خلقهم الله لعبادته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؛ يحبون المؤمنين الصادقين، ويلعنون الكفرة والعصاة والمجرمين، ويراقبون الإنسان رقابةً شديدةً، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

إخوة الإسلام: **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع عالم جديد من عوالم الغيب، ألا وهو عالم الجن والشياطين.**

أمة الإسلام: والذي دفعني للحديث عن عالم الجن والشياطين أمور ثلاثة:

الأمر الأول: علاقة ذلك بالعقيدة: فالإيمان بالغيب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولذلك وصف ربنا ـ جَلَّ وعلا ـ عباده المتقين في كتابه بأنهم يؤمنون بالغيب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٣]، وعالم الجن والشياطين من عوالم الغيب التي علينا أن نؤمن بوجودها وإن لم نكن نراها؛ لأن الله ﷻ أخبرنا عنهم في كتابه، والرسول ﷺ أخبرنا عنهم في سنّته، فالمؤمن الصادق في إيمانه الذي يحمل في قلبه عقيدة صحيحة يؤمن بوجود الجن وإن كان لا يراهم، كما آمن بوجود الهواء ولم

يراه، وآمن بوجود العقل ولم يراه. فهذا إيمان بالغيب، إذا أخبرنا الله في كتابهِ، وأخبرنا رسوله في سنتهِ عنه، قلنا: سمعنا وصدَّقنا.

الأمر الثاني: أننا في هذا الزمان العجيب رأينا فريقاً من الناس ينكرون عالم الجن والشياطين ـ اتباعاً لفِرق الضلال في ضلالهم ـ والله أخبرنا عن الجن والشياطين في كتابه والرسول أخبرنا عنهم في سنَّته؛ فلا مجال للإنكار، ومن أنكر فقد كفر وضل ضلالاً مبيناً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ففيها دليل على وجود الجن.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ۝١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن: ١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ أدلة كثيرة من كتاب ربنا على وجود الجن والشياطين.

• وفي السنة النبوية أخبرنا النبي ﷺ عن عالم الجن والشياطين:

فقال ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل الله به قرينه من الجن**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»(١).

وقال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»(٢).

ويقول ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله ﷻ عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيتَ والعَشاء**»(٣).

ويقول ﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»(٤).

وقال أبو سعيد الخدري ؓ لرجل: (إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذَّنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء؛ فإنه «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**» قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ)(٥).

وعن ابن مسعود ؓ قال: (كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: اسْتُطِيرَ أو اغتيل؟! قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قِبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قوم، فقال ﷺ: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن**» قال: فانطلقَ بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم)(٦).

أدلة كثيرة من الكتاب والسنّة على وجود عالم الجن والشياطين فمن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨١٤).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٧٥٠).
(٣) **صحيح**: م: (٢٠١٨).
(٤) **صحيح**: م: (٢٠٢٠).
(٥) **صحيح**: خ: (٣١٢٢).
(٦) **صحيح**: م: (٤٥٠).

أنكرها بعد ذلك، فقد كفر وخرج عن ملة الإسلام، والإسلام منه بريء؛ لأنه بإنكاره لعالم الجن والشياطين يكذب القرآن والسنّة.

الأمر الثالث: أننا في هذا الزمان نسمع كثيراً من الناس يتحدثون عن الجن ويخبرون عنهم، ومنهم من يخاف الجن والشياطين أكثر مما يخاف من الله، ومن الناس من يخاف من السحرة والمشعوذين ـ لأنهم يتعاملون مع الجن ـ أكثر مما يخاف من الله، فأحببت أن أنصح وأذكّر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أن الجن والشياطين لا يستطيعون أن يضروا أحداً إلا بإذن الله، وأن الجن والشياطين ضعاف، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً. لكن الذين يخافون من الجنِّ مكنوا الجن من أنفسهم ـ ببعدهم عن طاعة الله ـ فتجرأَتِ الجنُّ على أذيتهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

وها أنا أضع بين أيديكم حقيقة لا شكَّ فيها، وهي أن الجن والشياطين من أضعف وأحقر خلق الله، ولا يستطيعون لكم ولا لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

يخبرنا ربنا في كتابه عن كيد الشيطان، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] ماذا تريد بعد ذلك؟ مهما كادت لك الجن والشياطين فلن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً إذا صحت العقيدة وتوكلنا على الله، واعتمدنا على الله.

إن الشيطان يلعب بالكفار والمشركين والعصاة كما يلعب الطفل بالكرة ولكن لا يستطيع الشيطان أن يفعل ذلك بالمؤمن إلا أن يوسوس له، فإذا ذكر المؤمن ربه خنس الشيطان، وإذا خنس الشيطان أصبح كالذبابة لا قيمة له، ولذلك لما سُئل ﷺ عن الوسوسة قال: «**تلك محض الإيمان**»[١]. فإذا صحت العقيدة وتوكل الإنسان على الله، وخاف من الله، خاف الشيطان منه، فالشيطان يخاف من ابن آدم إذا أصبح عبداً لله.

---

(١) **صحيح**: م: (١٣٣).

يقول ﷺ: «**إن الشيطان ليفرَقُ** ـ أي: يفر ويهرب ويخاف ـ **منك يا عمر**»(١)، وماذا مع عمر من السلاح؟! أيحمل شيئاً؟ لا! إنها العقيدة الراسخة في قلبه، فإذا سلك عمر طريقاً فرَّ الشيطان، وإذا جلس مجلساً هرب الشيطان.

ويقول ﷺ: «**إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر**»(٢)، وليس هذا خاصاً بعمر إنما هو لكل مؤمن صحت عقيدته، وقوي إيمانه، وتوكل على الله، ولجأ إلى الله، فإذا فعل ذلك انتصر على شيطانه.

ٱبن آدم، بالعقيدة السليمة، والإيمان الصادق أنت في حصن حصين من كيد الجن والشياطين؛ فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥]، ويعترف الشيطان ويقول الله على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فيا إخوة الإسلام: الذي دفعني أن أتكلم عن الجن والشياطين أن ذلك يرتبط بالعقيدة..

إذا عرفنا هذا فتعالوا بنا لنتعرف على عالم الجن والشياطين في يومنا هذا وفي الجمع القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية من خلال الكتاب والسنّة الصحيحة. اعلموا عباد الله أن الجن خلقت من نار، قال ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧].

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٦٩٠)، حم: (٥/ ٣٥٣)، ش: (٦/ ٣٥٦)، حب: (٦٨٩٢)، هق: (١٠/ ٧٧)، [«ص.ج» (١٦٥٤)].

(٢) **صحيح**: ت: (٣٦٩١)، [«ص.ج» (٢٤٩٦)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٩٩٦).

إخوة الإسلام: والجن خلقت قبل آدم عليه السلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]، ففي الآية دليل على أن الجن خلقوا قبل آدم عليه السلام.

إخوة الإسلام: والجن ثلاثة أصناف:

قال ﷺ: «**الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**»[(١)].

إخوة الإسلام: أين تسكن الجن والشياطين؟ يسكنون في الأماكن الخربة المظلمة، وفي المزابل والقمائم، ويسكنون في الأماكن النجسة كالحمامات، قال ﷺ: «**إن هذه الحشوش مُحتضَرة** ـ أي: يحضرها الشياطين ـ، **فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخُبُثِ والخبائث**»[(٢)].

إخوة الإسلام: هل تموت الجن والشياطين؟ نعم؛ لأنهم يدخلون في هذه الآية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦].

ويقول ﷺ: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»[(٣)]، فهذا دليل من السنّة على أن الجن والإنس يموتون، ولكن كم يعمرون في هذه الدنيا؟ الله تعالى أعلم، فلا دليل من الكتاب ولا من السنّة يبيّن كم يمكثون في الأرض، ولكن أخبرنا الله عز وجل عن إبليس اللعين أنه سيبقى حياً في هذه الدنيا إلى يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥].

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٩٥)، طب: (٢٢/ ٢١٤)، حل: (٥/ ١٣٧)، [«ص.ج» (٣١١٤)].

(٢) **صحيح**: د: (٦)، هـ: (٢٩٦)، حم: (٤/ ٣٦٩)، خز: (٦٩)، حب: (١٤٠٦)، طب: (٥/ ٢٠٥)، [«س.ص» (١٠٧٠)].

(٣) **صحيح**: خ: (٦٩٤٨).

إخوة الإسلام: هل الجن والشياطين يتزاوجون ويتناسلون؟ وهل لهم ذرية؟ قال ـ تعالى ـ في وصف الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٤]، استدل العلماء بهذه الآية على أن الجان في الدنيا يتناكحون.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]، ففي الآية: دليل على أن الجن يتناكحون من أجل الذرية، وأن لهم ذرية.

إخوة الإسلام: هل الشيطان هو الجن؟ هل الجن يأكلون ويشربون؟ هل الجن يعلمون الغيب؟ كل هذا سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم إنّا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً





٢٤

تابع صفات الجنِّ والشياطين

عباد الله! في الجمعة الماضية قلنا: إن عالم الجن والشياطين من عوالم الغيب التي نؤمن بها وإنْ كنا لا نراها؛ لأن الله ﷻ أخبر عنهم في كتابه، والرسول ﷺ أخبر عنهم في سنّته.

وقلنا أيضاً: إنه لا يجوز للمؤمن أبداً أن يخاف من الجن والشياطين؛ لأنه إذا خاف منهم وأَقام لهم وزناً تمرّدوا عليه واعتدوا عليه وتفنّنوا في أذيته.

والله ﷻ أخبرنا فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

فلا يجوز أبداً أن يستعين الإنسان بالجن أو يخاف منهم أو يرفع مِنْ قدرهم، أقول هذا في وقتٍ الكثيرُ من الناس يخافون فيه من الجن ويخافون من الشياطين ومن السحرة والمشعوذين وينشغلون بهم. فنقول: يا أيها المؤمن، كيف تخاف من الجن والشياطين، والله أخبرنا في كتابه فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾؟! [النساء: ٧٦] والرسول ﷺ أخبرنا في سنّته أن الشيطان ضعيف حقير؟! والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**إن عفريتاً من الجنِّ جعل يفتك عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة، وإن الله أمكنني منه فَذَعَتُّهُ** ـ أي: خنقته ـ **فلقد هممت أن أربطهُ إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون (أو كلكم)، ثم ذكرت قول أخي سليمان**: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥] **فردَّهُ الله خاسئاً**»[1]، الشاهد: أَن الشيطان ضعيف وصغير الحجم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٩)، م: (٥٤١).

وقلنا أيضاً: إن الجن خُلقوا من النار، وخُلقوا: قبلَ آدم عليه السلام، وإنهم ثلاثة أصناف، وإنهم يموتون ويتزوجون ولهم ذرية.

عباد الله: ونحن في هذا اليوم لا زلنا في صدد التعرّف على عالم الجن والشياطين.

أمة الإسلام: اعلموا أن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين، إنما هو من الجن، والدليل على ذلك قول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]، ففي الآية دليل صريح لا يحتاج إلى تأويل، على أنه ليس من الملائكة، والرسول ﷺ يقول: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١).

فإبليس من الجن، وهو مخلوق من النار؛ أي: لم يكن من الملائكة طرفة عين، والاستثناء في الآية منقطع لا يدل على أن إبليس من جنس الملائكة هذا أولاً.

ثانياً: اعلموا أن الجن نوعان: [شياطين وجن].

- فالشياطين لا خير فيهم البتة؛ فهم لا يعرفون إلا الشر، ولا يدعون إلا إلى الشر، ولا يأمرون إلا بالشر، قائدهم وأبوهم إبليس عليه لعنة الله، يدعون الناس ليكونوا من أصحاب السعير.

- أما الجن فمنهم المسلم ومنهم الكافر، ومنهم الصالح ومنهم الطالح.

كما قال ـ تعالى ـ على لسانهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٦).

عباد الله: من تمرّد على الله، وعصى، وانقطع عن الخير، وأقبل على الشر من الجن، فهو من شياطين الجن. ومن تمرّد على الله، وعصى، وانقطع عن الخير، وأقبل على الشر من الإنس، فهو من شياطين الإنس؛ فمن الجن شياطين ومن الإنس شياطين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

ولكي يحفظ الإنسان نفسه من شياطين الإنس عليه أن يدفع بالتي هي أحسن، ولكي يحفظ الإنسان نفسه من شياطين الجن عليه أن يستعيذ بالله ﷻ منهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦ ـ ٩٨].

إخوة الإسلام: الجن كالإنس تماماً مكلّفون بالعبادات والأحكام الشرعية، فالله خلق الإنس ليعبدوه، وخلق الجن ليعبدوه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

عباد الله: الجن كالإنس تماماً في العبادات وفي العقائد والديانات، فمن الجن: المسلم، والنصراني، واليهودي، والكافر، ومن الجن: الصالح، والطالح، ومنهم التقي والفاجر، كما قال ـ تعالى ـ على لسانهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي: منا المؤمن ومنا الكافر.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي: أحزاباً شتى؛ مسلمون، وكافرون، أهل سنّة، وأهل بدعة.

عباد الله: المؤمن من الجن مع مؤمن الإنس في الجنة، والأدلة على ذلك:

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ١١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦].

فمن آمن وعمل صالحاً وخاف مقام ربه من الإنس والجن، فهو من أهل الجنة إن شاء الله، والله عَزَّ وَجَلَّ وصف الحور العين في الجنة فقال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٤].

إخوة الإسلام: والكافر من الجن مع الكافر من الإنس في النار، فقد خلق الله عَزَّ وَجَلَّ النار ليعذّب بها الكفرة والعصاة والمجرمين من الإنس والجن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

سؤال يفرض نفسه علينا الآن وهو: كيف يعذب الله عَزَّ وَجَلَّ الجن في النار، وقد خلقوا من النار؟.

عباد الله!

واجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله على كل شيء قدير، ولكن نجيب على هذا السؤال من ثلاثة أوجه:

أولاً: إن الله ﷻ خلق الجن من نار، وهم الآن ليسوا ناراً، كما أن الله خلق الإنسان من طين، وأنت الآن لست طيناً، إنما أنت دم ولحم أليس كذلك؟ والأدلة على أن الجن الآن ليسوا ناراً:

أ ـ قوله ﷺ: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي**»(١)، الشاهد: لو كان إبليس ناراً، كما خلق، ما احتاج أن يأتي بشعلة من نار.

ب ـ قوله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»(٢)، فلو كان الشيطان على هيئته التي خلق عليها لأحرق الإنسان.

جـ ـ وعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ رأى شيطاناً وهو في الصلاة، فأخذه فخنقه حتى وجد برد لسانه على يده)(٣)، الشاهد: أن الشيطان فيه برودة وليس ناراً.

ثانياً: أن النار فيها حرارة شديدة وفيها برودة شديدة.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

نستنتج من هذه الآية: أن أهل النار يرون في النار حرارة شديدة وبرودة شديدة؛ أي: الزمهرير، قال العلماء: الجن يعذبون في النار بهذه البرودة الشديدة.

ثالثاً: الله ﷻ على كل شيء قدير، يعذب من شاء بما شاء، فالله قادر أن يخلق الإنسان من طين ويعذبه بالطين، كذلك قادر أن يخلق الجن من نار ويعذبه بالنار، فأنت أيها الإنسان خلقت من طين فلو حفرنا في الأرض ودفناك حياً أتعذب بالطين؟ الجواب: نعم. وأنت أيها الإنسان خلقت من طين فلو ضربناك بحجارة من طين أتعذب بها؟ الجواب: نعم.

---

(١) **صحيح**: م: (٥٤٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٠٧)، م: (٢١٧٥).

(٣) **إسناده قوي**: حب: (٢٣٥٠)، طس: (٨/ ١٤٢)، [صحيح ابن حبان/ تحقيق شعيب الأرناؤوط].

كذلك فإن الله قادر على كل شيء، فيمكن أن يعذب الجن في النار وقد خلقهم من النار.

سؤال: هل بُعِثَ رسولُ الله ﷺ للإنس والجن؟ الجواب: نعم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين أن الرسول ﷺ مُرْسَلٌ للجن والإنس، والأدلة على ذلك:

١ ـ أن الله عَزَّ وَجَلَّ تحدَّى الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢ ـ دليل آخر: أن كثيراً من الجن استمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وآمنوا به واتبعوه قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢].

وهذا الفريق من الجن الذي استمع للقرآن وآمن هم الذين ذكرهم الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة الأحقاف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠]، فالجن آمنوا واتبعوا، ورجعوا إلى قومهم منذرين يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان. أفليس من العيب علينا معشر الإنس أن نستمع إلى القرآن وإلى المواعظ ولا نخرج إلى قومنا وأهلنا وجيراننا ندعوهم إلى العقيدة الصحيحة وإلى التوحيد والإيمان؟!.

٣ ـ أَن الرسول ﷺ كان يتلو القرآن على الجن، وكانت وفود الجن تأتي من كل مكان، يتلو عليهم القرآن، ويعلمهم مما علمه الله، والدليل: روى مسلم في «صحيحه» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير أو اغتيل؟!

فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قِبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال ﷺ: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن**» قال ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ فانطلقَ بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم[(١)]، فالرسول ﷺ بُعث إلى الجن والإنس.

ومِنَ الجن مَن يحضرون المواعظ ويؤمنون، ومنهم المؤمن ومنهم الفاسق، فهم كالإنس تماماً جماعات وأحزاب، مسلمون ونصارى ويهود.

عباد الله: هل الجن يأكلون ويشربون؟ هل الجن يتشكلون بأشكال مختلفة؟ هل الجن يعلمون الغيب؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم إنّا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً

❋ ❋ ❋

---

(١) **صحيح**: م: (٤٥٠).

٢٥

تابع صفات الجنِّ والشياطين

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية وقلنا بأن الله ﷻ خلق الجن ليعبدوه كما خلق الإنس لذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقلنا إن الجن منهم الصالح ومنهم الطالح، كما أخبر ربنا في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١]؛ أي: مذاهب شتى: مسلمون، وكفار، أهل سنة، وأهل بدعة. وقلنا: إن الرسول ﷺ بعث للإنس والجن كافّة.

عباد الله: ونحن لا زلنا في صدد التعريف بعالم الجن والشياطين.

إخوة الإسلام: اعلموا أن عالم الجن والشياطين عالم غيبي يرانا ولا نراه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

واعلموا أن صور الشياطين قبيحة، والدليل على قبح صورهم أنّ الله ﷻ شبه شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم ـ والتي هي طعام الأثيم طعام أهل النار ـ برؤوس الشياطين، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٢ ـ ٦٥]؛

أي: طلع هذه الشجرة الخبيثة في جهنم كأنه رؤوس الشياطين، فدل هذا على أن الشيطان قبيح الصورة.

أمة الإسلام: هل الجن والشياطين يتشكّلون بأشكال مختلفة؟ الجواب: نعم، للجن قدرة على أن يتشكّلوا بأشكال الإنسان، وبأشكال الحيات، وبأشكال الكلاب السود.. إلى غير ذلك من الأشكال.

والدليل على أن الجن يتشكّلون بأشكال الإنسان، قول أبو هريرة ﵁ حيث قال: وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخلّيت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالاً فرحمته فخلَّيت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «**إنه سيعود**». فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، قال: دعني .... ثم فعل ذلك مرة أخرى، وفي المرة الثالثة قال أبو هريرة له ـ: إنك تزعم لا تعود ثم تعود! قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ...﴾ حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح، فخلَّيت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ...﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك، وهو كذوب. تعلم مَن تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟**» قال: لا، قال: «**ذاك شيطان**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

فهذا شيطان قد تصور في صورة إنسان وجاء يحثو من الزكاة.

واعلم أن الجن إذا تشكّل بصورة وأُمْسِكَ عليها، فإنه لا يستطيع أن يتغير إلى صورته الأصلية، والدليل: عندما أمسكه أبو هريرة ما استطاع أن يتغير إلى صورته الأصلية وبقي على صورته.

إخوة الإسلام: والدليل على أن الشياطين تتشكل بصورة الكلاب السود، ما جاء عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار، والمرأة، والكلب الأسود**»، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «**الكلب الأسود شيطان**»(١)، فالجن يتصوّرون بصورة الكلاب السود، ولذلك تراهم يحبون الأماكن المظلمة.

إخوة الإسلام: والدليل على أن الشياطين والجن يتشكّلون بصورة الحيات هو أن فتًى على عهد رسول الله ﷺ حديث عهدٍ بعرس، قد خرج هذا الفتى مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، وكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً فقال له ﷺ: «**خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قُريظة**» - يعني: يهود بني قريظة - فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأتُه بَيْن البابين قائمةٌ فأهوىٰ إليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غَيرةٌ. فقالت له: ٱكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحيَّةٍ عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه، فما يُدرى أَيُّهما كان أسرعُ موتاً: الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ وذكرنا ذلك له وقلنا: ادع الله يحييه لنا فقال: «**استغفروا لصاحبكم**» ثم قال: «**إنَّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه فإنما هو شيطان**»(٢).

---

(١) **صحيح**: م: (٥١٠).

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣٦).

إذاً علَّمنا رسول الله ﷺ أننا إذا وجدنا حية في بيوتنا أن نأمرها بالخروج ثلاثاً، فإذا ظهرت بعد الثلاث قتلناها، فإنها إن كانت من الجن المسلم خرجت، وإن كانت من الجن الكافر قُتلت، وإن كانت حية حقيقية قُتلت هذا إذا كانت داخل البيوت، إما إذا كانت خارج البيوت فتقتل إلا نوعين من الحيات وهما [الأبتر وذو الطفيتين]، فهذا يقتل حتى ولو كان في داخل البيوت؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطُّفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل**»(١). فهذا النوع من الحيات إذا نظر إلى المرأة الحامل أسقط ما في بطنها، وإذا نظر إلى الرجل أعمى بصره، عافانا الله وإياكم من هذا النوع من الحيات.

***إخوة الإسلام:* هل الجن يعلمون الغيب؟.**

الجواب: لا، لكن هناك كثير من الناس يعتقدون أن الجن يعلمون الغيب، والدليل على ذلك أن كثيراً من الناس يذهبون إلى السحرة والمشعوذين الذين يتعاملون مع الجن. والذي روج هذا بين الناس مردة الجن، فأراد الله ﷻ أن يفضحهم ويبيّن للناس أن الجن لا يعلمون الغيب.

عباد الله!

سخَّر الله الجن للعمل بين يدي سليمان ﵇، فوقف سليمان يوماً عليهم ـ وهم يعملون في الأعمال الشاقة ـ وكان متكئاً على عصاة، فمات وهو متكئ، واستمرت الجن تعمل وهو ميت ولا يعلمون، وما دلهم على موته إلا دابة الأرض حين أكلت عصاه، فلما خَرَّ على الأرض تبينت الجن أنه قد مات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤]، وإليك دليل آخر على أن الجن لا يعلمون الغيب:

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٢٣).

عندما بُعِث رسول الله ﷺ حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرْسِلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا لهم: ما لكم؟ قيل: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبَيْن خبر السماء إلّا شيءٌ حَدَث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وابحثوا عن هذا السبب ـ فلو كانوا يعلمون الغيب لعلموا أن الله قد بعث محمداً ﷺ ـ فخرجوا إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان رسول الله ﷺ هناك في مكة يصلي الفجر بأصحابه ويقرأ القرآن، فلما وصل الجن إلى رسول الله وقفوا يسمعون القرآن، فلما سمعوا القرآن وفهموه وعقلوه آمنوا به ورجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١، ٢].

إخوة الإسلام: الجن لا يعلمون الغيب والإنس والملائكة لا يعلمون الغيب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الجن: ٢٦]. فمن ادّعى أنه يعلم الغيب، فهو كافر خارج عن ملة الإسلام.

السحرة والكهنة لا يعلمون الغيب، أتدرون على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاكٍ أثيم، على أكذب الناس وأعصاهم لله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

فالشيطان كذاب ويتنزل على الساحر الكذاب، وهكذا يجتمع كذاب مع كذاب يكذبون على الناس، ويدجلون عليهم، فمن صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد، قال ﷺ: «**من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقهُ بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١).

(١) **صحيح**: حم: (٢/٤٢٩)، ك: (١/٤٩)، حل: (٨/٢٤٦)، طب: (١٠/٧٦)، طس: (٢/١٢٢)، هق: (٨/١٣٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

عباد الله: فهل هناك عاقل بعدما سمع أن السحرة والكهان يتعاملون مع الجن، وهم من أكذب الناس، هل يذهب بعد ذلك مسلم إلى ساحر أو كاهن؟! فإن ذهب وصدَّق ما سمع منه عندها نقول له: كفرت بما أنزل على محمد.

عباد الله: **هل الجن والشياطين يأكلون ويشربون؟.**

الجواب: نعم، والدليل على ذلك، يقول ﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**»[1]، هذا دليل على أن الشيطان يأكل ويشرب، فليتق الله الذين يأكلون ويشربون بشمائلهم. فهذا رجل يأكل بشماله أمام الرسول ﷺ، فيقول له رسول الله ﷺ: («**كُلْ بيمينك**»، قال: لا أستطيع، قال ﷺ: «**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه[2]، أي: شُلت يده.

دليل آخر: قوله ﷺ لأبي هريرة: «**ابغني أحجاراً أستنفض بها، ولا تأْتني بعظم ولا روثة**»، ... فقلت: ـ يعني: أبو هريرة ـ ما بالُ العظم والروثة؟ قال ﷺ: «**هما من طعام الجن...**»[3].

ودليل آخر: قال ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله ﷻ عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**»[4].

يحب الشيطان أن يأكل مع الإنسان ولكن متى؟ إذا غفل الإنسان عن ذكر الله بات معه الشيطان، فأكل معه، وربما جامع معه زوجته.

إخوة الإسلام: هل هناك عداء بين الشيطان والإنسان؟ ومتى بدأ هذا العداء؟ وكيف يحفظ الإنسان نفسه ويتسلّح بأسلحة ضد هذا العدو المبين؟

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢٠).

(٢) **صحيح**: م: (٢٠٢١).

(٣) **صحيح**: خ: (٣٦٤٧).

(٤) **صحيح**: م: (٢٠١٨).

هذا الذي نعرفه في الجمع القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

نسأل الله أن يحفظنا من كيد الشياطين، فإنك يا ربنا بهم عليم
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه





عداوة إبليس للإنسان

عباد الله!

في الجمعة الماضية قلنا: إن عالم الجن والشياطين عالم غيبي يرانا ولا نراه، وقلنا أيضاً: إن الجن والشياطين لهم قدرة على التشكّل بأشكال مختلفة، وقلنا أيضاً: إن الجن والشياطين لا يعلمون الغيب، وأنهم يأكلون ويشربون.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن عدو البشرية والإنسانية، فمن هو هذا العدو؟ ومتى بدأ هذا العداء؟ وما سبب هذا العداء؟ وما هي ساحة المعركة بينه وبين الإنسان؟ وماذا يريد هذا العدو من الإنسان؟.

إخوة الإسلام: العدو: هو إبليس لعنه الله، أصل الشياطين وقائدهم إلى سواء الجحيم، بدأ العداء بينه وبين الإنسان من اللحظة الأولى التي خلق الله فيها آدم عليه السلام.

أمة التوحيد: خلق الله عز وجل آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا تكريماً له، وكان مع الملائكة في هذه اللحظة إبليس لعنه الله ـ وهو لم يكن من الملائكة طرفة عين ـ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون استجابة لأمر الله؛ لأنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٤].

ما الذي منعك يا إبليس أن تسجد؟! الله ﷻ سأله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص: ٧٥]، فكان جوابه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾ [ص: ٧٦]، الكبر والحسد منعا إبليس أن يسجد لآدم؛ فالنتيجة: طرده الله ﷻ من الجنة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: ١٨]، فعرف إبليس أنه قد طُرِدَ من رحمة الله، وطُرِدَ من الجنة فطلبَ من الله أن يُنظره إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ [الحجر: ٣٦]؛ أي: اتركني حياً إلى يوم القيامة، ولحكمةٍ يعلمها الله أنظره حياً إلى يوم القيامة لا يموت، وكان طلبه ذلك لا ليتوب من ذنبه، ولكن لينتقم من آدم وذريته.

في هذا الوقت الذي طرد الله فيه إبليس من الجنة ومن رحمته، أسكن الله آدم الجنة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: ١٩].

وحذَّر الله آدم من إبليس فقال ـ تعالى ـ له: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: ١١٧].

فأخذ إبليس يفكر كيف ينتقم من آدم، وأخذ يوسوس له من بعيد في صورة الناصح الأمين، فقال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢١ ـ ٢٣]، المهم أنهم نزلوا جميعاً من الجنة إلى ساحة المعركة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ [طه: ١٢٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤]. وهذه الأرض هي ساحة المعركة، وقد بدأت المعركة وستبقى قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٥]، فأنت في معركة شرسة أيها الإنسان مع إبليس عدو الله.

نزلوا جميعاً إلى هذه الأرض وبدأ العداء، وحتى لا يكون للناس على الله حجة أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وحذرهم من هذا العدو.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨].

حذر الله عباده من هذا العدو، فلا حجة لك يوم القيامة، ولذلك فالذين عبدوا الشيطان واستجابوا له، فالله ﷻ يوبّخهم يوم القيامة ويقول لهم: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢].

وفي هذا الوقت ـ عندما نزل إلى الأرض ـ أخذ يعدّ العدة، ويستعد

بكل ما يملك للمعركة مع بني آدم، وأعلنها صراحة أنه سيعلن الحرب على بني آدم، وقد سجلّ الله لنا ما قاله إبليس لنكون منه على حذر:

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

فأينما ذهبت إلى طاعة الله وقف أمامك وصدّك عن الطاعة.

صدّك عن الصلاة، وعن حفظ القرآن، وعن دروس العلم، وعن النهي عن المنكر، أما إذا ذهبت إلى معصية الله فإنه يؤزك أزّاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩]. عباد الله زين لنا الربا فأكلناه، زين لنا التبرج وقال: إنه حضارة وتقدم فتبعناه، زين لنا الزنا فوقعنا فيه، زين لنا القوانين الوضعية فلا نتحاكم إلا إليها، زين الدنيا للناس، فانظر كيف يركضون وراءَها ليجمعونها حتى تركوا الدين والآخرة.

عباد الله: الشيطانُ أعلنها حرباً على بني آدم، ونذر نفسه إلى يوم الوقت المعلوم لكل شر، وفي دعوة الناس لكل شر لا يَكِل ولا يمل ولا ييأس.

يقول ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحُهُم في أجسادهم، قال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»[(١)].

---

(١) **حسن**: حم: (٣/ ٢٩)، ك: (٤/ ٢٩٠)، ع: (٢/ ٥٣٠)، [«ص.ج» (١٦٥٠)].

فالمعركة بينك وبين هذا العدو حتى خروج الروح من الجسد، فإن خرجت على الإيمان فهنيئاً لك، واعلم أن الشيطان يأتيك حتى وأنت على فراش الموت يطلب منك أن تموت على النصرانية، أو على اليهودية، يطلب منك أن تخرج على غير (لا إله إلا الله)، ولولا أن يثبتك الله فستضل ضلالاً مبيناً؛ فأنت في هذه اللحظة ضعيف.

يقال: إن الإمام أحمد عندما كان في فراش الموت كان ولده يقول له: يا أبت قل: لا إله إلا الله، والإمام أحمد في سكرات الموت يقول: لا!!، ابنه يقول له: قل: لا إله إلا الله، وهو يقول: لا، فلما أفاق من سكرة الموت، قال ابنه: يا أبي، أقول لك قل: لا إله إلا الله، وأنت تقول: لا، قال: لا يا بني، إنما الشيطان جاء يقول لي: نفدت مني يا أحمد، وأنا أقول: لا. فكان يقول: لا؛ للشيطان، ولكن ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ابن آدم! إبليس حي إلى يوم القيامة، وهو يقود المعركة بنفسه.

يقول ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء**»(١).

فهو يقود المعركة بنفسه، ويجند شياطين الإنس والجنّ. فالناس فريقان: أولياء للرحمٰن، وأولياء للشيطان، فأولياء الشيطان وعلى رأسهم إبليس كلهم اجتمعوا لحرب أولياء الرحمٰن. وكذلك الكفرة والملاحدة والمجرمون كلهم في كل مكان انضموا لحزب الشيطان ضد أولياء الرحمٰن، أتعلم ماذا يريدون؟.

يريدون ألا يدخل أحدٌ من أولياء الرحمٰن الجنة، وأن يكون معهم في النار، فالشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

ابن آدم! المعركة شرسة بينك وبين إبليس، لا يريد منك أرضاً ولا شيئاً من أشياء الدنيا، إنما يريد أن يحرمك الجنة لتكون معه في النار.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨١٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦].

● ولذلك فالشيطان لا يكلّ ولا يمل، ودائماً يدعو الناس إلى الكفر بالله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٧﴾ [الحشر: ١٦، ١٧]. فهو يدعو إلى الكفر والشرك، قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ـ تعالى ـ: وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِل به سلطاناً**»(١)، فمن المسلمين من يدعو غير الله ويظن أنه بذلك يحسن صنعاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠].

● الشيطان يدعوك ويأمرك بالسوء والفحشاء لتكون من أصحاب السعير.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

● ليحرمك الشيطان من الجنة قعد لك على الصراط المستقيم، ويأتيك من كل مكان ليصدك عن الطاعة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦﴾ [الأعراف: ١٦]. فهو يدعو إلى الشرك والكفر وإلى كل سوء، ويمنع عن كل طاعة، فماذا يريد؟.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٥).

● يريد أن تكون معه في النار، ولكنه ـ لعنه الله ـ عندما يدخل النار يتبرأ من حزبه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

يقول لهم: ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي: التبرج حضارة فاستجبتم لي، الربا كالبيع فاستجبتم لي....

● قال ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعثُ سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت**»[1].

إخوة الإسلام: كيف يدخل هذا العدو إلى قلوب الناس؟ كيف يتعامل هذا العدو معك يا ابن آدم؟ لتكون منه على حذر فتنتصر عليه.

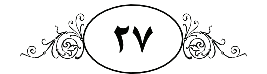
هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم احفظنا من كيد شياطين الجن والإنس

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨١٣).



أساليب الشيطان في إغواء الإنسان

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن عداوة الشيطان لابن آدم وقلنا أنها بدأت منذ اللحظة الأولى من خلق آدم عليه السلام، وقلنا: إن المعركة بيننا وبين الشيطان معركة شرسة، فلن تضع الحرب أوزارها حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأن الشيطان عندما طُرد من رحمة الله، ومن الجنة طلب من ربه أن يُنظره إلى يوم يبعثون، ولحكمة يريدها الله عز وجل أنظر إبليس حياً إلى يوم الوقت المعلوم.

وقلنا أيضاً: إن إبليس هو الذي يقود المعركة بنفسه فهو ينصب عرشه على ماء البحر، ثم يبعث سراياه ثم يسألهم إذا عادوا، فيكون منهم من يقربه إليه؛ لأنه كان أشد إغواءً لابن آدم.

- سأل رجلٌ الحسن البصري فقال له: هل ينام إبليس؟ فقال الحسن: لو نام إبليس لحظة لاستراح بنو آدم.

فإبليس نذر نفسه للشرِّ، لا يكل ولا يمل يهجم على الإنسان في كل لحظة، لا هوادة في المعركة، فلا نجاة لك ـ يا عبد الله ـ إلا أن تكون عبداً لله.

وموعدنا في هذا اليوم مع معرفة الأساليب الشيطانية التي يستخدمها إبليس في المعركة؛ لنكون منها على حذر، فمن وقع في حبائل إبليس بعد ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

أمة الإسلام: عندما طرد الله عز وجل إبليس من جنته ومن رحمته، أعلن إبليس عن أساليبه في المعركة، وهي:

١ ـ الإغواء.

٢ ـ التزيين في الأرض.

٣ ـ الصدّ عن سبيل الله.

٤ ـ إضلال بني آدم.

- **الأسلوب الأول ـ وهو الإغواء:**

قال إبليس صراحةً عندما طرد من الجنة؛ قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقال ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم**»[(١)].

إخوة الإسلام: **وإبليس يأتي بالإغواء على مراتب:**

المرتبة الأولى ـ أن يدعوك إلى الكفر والشرك بالله:

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

فإذا كفر الإنسان وأشرك وارتد عن دينه واستجاب للشيطان استراح إبليس واطمأن؛ لأنه جنَّد هذا الإنسان في حزبه، وأصبح جنداً من جنوده، فمن الإنس شياطين، ومن الجن شياطين، فإذا لم يستطع الشيطان أن ينقل الإنسان إلى الكفر دعاه إلى:

المرتبة الثانية ـ الابتداع في الدين:

فالبدعة أَحبُّ إلى إبليس من المعصية، وإبليس أحب شيءٍ إليه أن نبتدع في دين الله؛ فالمبتدع لا يتوب من بدعته أبداً؛ بل يعتقد أنها الحق ويدافع عن بدعته ويدعو الناس إليها، ويوم القيامة ترى الذين ابتدعوا في دين الله وجوههم مسودة؛ لذا فالشيطان يحرص أن نبتدع في الدين.

---

(١) **حسن**: حم: (٣/٢٩)، ك: (٤/٢٩٠)، ع: (٢/٥٣٠)، [«ص.ج» (١٦٥٠)].

المرتبة الثالثة ـ يدعو إلى كبائر الذنوب:

فيدعو إلى الزنا، والربا، والخمر، وعقوق الوالدين، والرشوة لنقع فيها فنهلك في الآخرة، فإن عجز عن المرتبة الثالثة انتقل إلى:

المرتبة الرابعة ـ يدعو إلى صغائر الذنوب:

فتقول: هذه سنّة، هذا مباح هذا لا بأس به هذا مكروه، فتفعل صغائر الذنوب فتجتمع عليك يوم القيامة فتهلكك، أما تنظر إلى الجبال العظيمة، مم تكونت؟ من الحصاة الصغيرة! أما تنظر إلى النار الكبيرة، من أين بدأت؟ من شرارة صغيرة!! فإذا عجز الشيطان عن هذه المرتبة انتقل إلى:

المرتبة الخامسة ـ يدعو إلى المباحات:

التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها فتندم يوم القيامة؛ لأنك ضيعت وقتك في المباح وتقول: يا ليتني أَفنيت وقتي في طاعة الله، فكن من إغواء الشيطان على حذر.

- **الأسلوب الثاني ـ التزيين في الأرض:**

الشيطان أعلن عندما طُرد من رحمة الله ومن الجنة، أنه سيزيِّن في الأرض للناس.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣].

ومن تزيين الشيطان للإنسان في الأرض: أَنه زين لبني آدم الدنيا وزخرفها أمامهم، فانكبّوا عليها وانشغلوا بجمعها، وهرولوا إليها. فمن أجل الدنيا يسافرون، ومن أجلها يجتمعون، ومن أجلها يعطون ويمنعون ويتعلمون، حتى ظنوا أنهم فيها سيخلدون، ونسوا أنهم إلى الله راجعون.

قال ـ تعالى ـ عن الدنيا: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ

وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

كم من المسلمين ضيع الصلاة بسبب الدنيا؟ الكثير!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

أقبلوا على شهوات الدنيا الفانية، فكم منكم ضيع دروس العلم؟ وكم منكم حرم نفسه من حفظ سورة من القرآن بإقباله على الدنيا؟ السبب الشيطان زينها لكم.

ومن تزيين الشيطان في الأرض ـ أنه سمَّى الأشياء المحرمة بأشياء محببة، فارتكبناها ووقعنا فيها، وبالمثال يتضح البيان.

(المثال الأول):

الشجرة التي حرمها الله على آدم في الجنة وقال: يا آدم كل مما شئت إلا من هذه الشجرة، فهل جاء إبليس يوسوس ويقول له: يا آدم، كل من هذه الشجرة التي حرَّمها الله عليك لتهلك؟ لا.

بل قال له: هل أدلك على شجرة الخلد؟ فسمّى الشجرة المحرمة بشجرة الخلد، عندها أقبل عليها آدم، وأكل منها، وعصى ربه، فطُرِدَ من الجنة ـ بعد أن تاب ـ لحكمةٍ أرادها الله.

(المثال الثاني) الرشوة:

وهي حرام؛ فقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي، والشيطان حتى يُوقع الناس في الرشوة سماها بالهدية، فإن سألت الراشي يقول لك: هذه هدية، والمرتشي يقول: هذه هدية، فقبلها لأنها سميت بغير اسمها، مَن الذي سماها بالهدية؟ إنه الشيطان أوحى إلى أوليائه بأنها هدية، فانتشرت بين الناس بأنها هدية.

(المثال الثالث) الربا:

أعلن الله الحرب على المرابي، ولعن رسول الله ﷺ آكل الربا،

وموكله، وكاتبه، وشاهديه، فجاء الشيطان وسمّى الربا بالفائدة، وسمّاه بالربح البسيط، والربح المركب، من أين جاؤوا بهذه الكلمات؟ ابحث في اللغة العربية هل تجد أن معنى الربا: الفائدة؟.

(المثال الرابع) التبرج:

التبرج حرام وجاهلية؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. والمتبرجة ملعونة، لكن الشيطان يسمّي التبرج بالحضارة، بالتقدم، يقول للمرأة: أنتِ امرأة جميلة فيجب عليك أن ترتدي أحدث (الموديلات)، وأن تظهري جمالك ومفاتنك، فتقتنع الغبية بهذه الفتوى الشيطانية!! وتتبرج، فإن قلت لها: هذا تبرج وسفور وأنتِ ملعونة بذلك، تقول: لا، هذه حرية شخصية، وينظرون إلى المرأة المتحجبة بأنها متخلّفة ورجعية.

(المثال الخامس) الخمر:

وهو حرام في الكتاب والسنّة، فجاء الشيطان وقال: الخمر هي المشروبات الروحية فوقع فيها الكثير، وأتعجب أن الرجل يصلي معنا ثم يذهب إلى بيته ويسكر؛ يقول هذه مشروبات روحية لننسى هموم الدنيا!! سمّاها له الشيطان بذلك فأنساه ذكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

نعم، جاء الشيطان فسمّى الخمر بالمشروبات الروحية! وسمّى الميسر، وهو القمار، باليانصيب الخيري! أي خير فيه؟.

ومن تزيين الشيطان في الأرض أن يسمّي الطاعات بأسماء منفرة:

فيسمّي ارتداء الجلباب: رجعية، إطلاق اللحية والثوب القصير: تخلّف، المطالبة بتحكيم الشرع: تطرّف، هذه الأسماء من أين؟ من إبليس، يسمّي بذلك حتى ينفّر الناس ويصدهم عن سبيل الله.

• **الأسلوب الثالث ـ الصدّ عن سبيل الله:**

قال ـ تعالى ـ على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦]، فالشيطان يأتي في صورة الناصح الأمين ليصدّك عن سبيل الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١]. يأتيك في صورة الناصح ليصدّك عن دروس العلم، وعن إطلاق اللحية، وليصدّ المرأة عن الحجاب.

والرسول ﷺ يبيّن لنا، ويكشف لنا كيف يقعد الشيطان لنا في كل طرق الخير.

يقول ﷺ: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تُسلِم وتذرُ دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجرُ وتدعُ أرضك وسماءَك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوِلِ! فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهدُ النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسمُ المال؟ فعصاه فجاهد**»، فقال رسول الله ﷺ: «**فمن فعل ذلك كان حقاً على الله ﷻ أن يدخله الجنة، ومن قُتل كان حقاً على الله ﷻ أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة**»(١).

من أسلوب الشيطان في الصدّ عن سبيل الله أن ينسيك الطاعة:

فالنسيان من الشيطان، والدليل أن الشيطان هو الذي أنسى آدم حتى أكل من الشجرة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]. فلما نسي ـ والذي أنساه هو الشيطان ـ أكل من الشجرة.

---

(١) **صحيح**: ن: (٣١٣٤)، حم: (٣/ ٤٨٣)، حب: (٤٥٩٣)، هب: (٤/ ٢١)، [«ص.ج» (١٦٥٢)].

الشيطان هو الذي أنسى صاحب موسى وهما في البحر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣] فالشيطان هو الذي أنساه الحوت.

كذلك الشيطان هو الذي أنسى صاحب يوسف أن يذكر يوسف عند الملك فبقي في السجن بضع سنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢]، فالشيطان حريصٌ أن يسيطر عليك من جميع الجهات حتى ينسيك ذكر الله، فإذا نسيت ذكر الله، أصبحت من حزب الشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

والشيطان هو الذي يجمع الناس حول مباراة كرة القدم، فيعكفون عليها حتى لا ترى إنساناً منهم يقول لا إله إلا الله، ويجمع الناس على لعب الورق (الشَّدَّة)، فيلعبون حتى لا ترى إنساناً منهم يذكر الله.

- **الأسلوب الرابع ـ الإضلال:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١٢٠].

الشيطان لا يأتي لإنسان تمسك بالإسلام يقول له: أنا أضلك عن الإسلام، لا؛ بل يأتيه بالتدريج: فمثلاً شاب أطلق لحيته والتزم بصلاة الجماعة ودروس العلم، يأتيه الشيطان ويقول له: لو أنك خففت من لحيتك قليلاً، فيستجب له ويقوم بتخفيف اللحية.

ثم يأتيه فيقول له: أنسيت أن اللحية سنّة يأجر فاعلها ولا يأثم تاركها؟ فيحلقها، والصحيح أن اللحية واجبة، حالقها آثمٌ، وقد أجمع الأئمة الأربعة على أن حالق اللحية آثم وعاصٍ لله ورسوله، فيأتي الشيطان ويدعوه بهذا الأسلوب.

ثم يقول له: أنسيت أن الصلاة في المسجد سنّة فَصَلِّ في البيت فيتخلف عن صلاة الجماعة، علماً بأنها واجبة والمتخلف عنها آثم مرتكب لكبيرة من الكبائر، فيأتيه بهذا الأسلوب حتى يترك الصلاة ويصبح من جنود إبليس.

وكذلك يأتي إلى الفتاة التي تحجبت فيقول لها: ما هذا الذي فعلتيه في نفسك؟ هذا الخمار والغطاء على الوجه في هذا الصيف لا تطيقينه أبداً، فاخلعي عنك الغطاء وارتدي الحجاب بدون الغطاء، فتستجب للشيطان، ثم بعد ذلك يقول لها: لو أنك تركت هذا الخمار الكبير، ولبست خماراً صغيراً فيكون أحسن وأجمل فترتدي (الإشارب)، ثم بعد ذلك يقول لها: لو أنك كشفتِ عن شعرك ورأسك حتى تتزوجي، ثم بعد ذلك تحجبي، فكونوا يا أمة الله من الشيطان على حذر.

هذا هو أسلوب الشيطان في المعركة؛ يأتيك في صورٍ شتى، فلا نجاة لك إلا أن تتعلم وتتفقه في دين الله، وتكون عبداً لله، وأن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن تحتمي بحمى الله، عندها يحفظك الله ﷻ.

إخوة الإسلام: هل الشيطان يعتدي على جسد الإنسان بالمس والصرع؟ هل الشيطان ربما يحرق منزل الإنسان؟ هل الشيطان يعتدي على زوجة الإنسان؟.

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهمَّ فقِّهنا في ديننا، اللّهم إنّا نسألك العلم النافع

❁ ❁ ❁



اعتداءات الشيطان على الإنسانِ مِنْ ولادته إلى أن يموت

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن أساليب الشيطان في حربه مع بني آدم من إغواء وتزيين في الأرض، وصَدٍّ عن سبيل الله، وإضلالٍ لهم عن الصراط المستقيم.

وتبيّن لنا أن الشيطان يعمل بالليل والنهار، لا يكلّ ولا يملّ في حربه مع الإنسان، يأمره بالشر ويدفعه إليه وينهاه عن الخير ويصده عنه.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

عباد الله: وموعدنا اليوم مع اعتداءات الشيطان على الإنسان من ولادته إلى أن يموت لنكون من الشيطان على حذر.

عباد الله: عندما طرد الله تعالى إبليس من رحمته ومن الجنة أقسم إبليس أن ينتقم من بني آدم فقال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

وقال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩].

أخذ الشيطان على نفسه عهداً أن ينتقم من آدم وذُريته، وها هو ذا

يهجم على الإنسان من اللحظة الأولى من ولادته، فإذا نزل الإنسان من بطن أمه نخزه الشيطان ليعلمه بالحرب من اللحظة الأولى وحتى الموت.

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال ﷺ: («**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها**»، ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾)[1] [آل عمران: ٣٦].

وقال ﷺ: «**صياحُ المولود حين يقعُ نزغة من الشيطان**»[2] أي: ضربة من الشيطان، في جنب الطفل تعلمه بالحرب من لحظة ولادته وحتى يموت، ولم يكتفي الشيطان بذلك؛ بل يأتي الشيطان ليكون قريناً مع الإنسان يأمره بكل شر ويدفعه إليه.

قال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الجن**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإيَّاي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»[3].

فمن هذا الحديث يتبيّن لنا أن كل إنسان معه قرينه من الجن يأمره بالشر ويدعوه إليه، ولم يكتفي الشيطان بذلك أيضاً؛ بل يعتدي على الإنسان في نومه ليزعجه ويحزنه، فمن مكائد الشيطان أنه يُرِي الإنسان في منامه أحلاماً مزعجة ليحزنه. جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتَدَدتُ على أثره، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تحدث الناس بتلعُّب الشيطان بك في منامك**»[4].

فبيّن له الرسول ﷺ أن مثل هذه الرؤيا من الشيطان فلا يُحدث بها الناس؛ فإنها لا تضره، وقال ﷺ: «**والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدِّث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس**»[5].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٤٨).
(٢) **صحيح**: م: (٢٣٦٧).
(٣) **صحيح**: م: (٢٨١٤).
(٤) **صحيح**: م: (٢٢٦٨).
(٥) **صحيح**: م: (٢٢٦٣).

وقال ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً، وليتعوّذ من الشيطان، فإنها لا تضره وإن الشيطان لا يتراءى بي**»(١).

ومن هذه الأحاديث يتبيّن لنا أن على من رأى رؤيا في منامه: إن كانت صالحة استبشر وحدث بها الناس، وإن كانت الرؤيا مزعجة فليعلم أنها من الشيطان وليتعوّذ بالله من شر الشيطان، وليتفل على شماله ثلاث مرات، ولا يحدث بها الناس فإنها لا تضره.

• ويعتدي الشيطان على الإنسان في نومه فيعقد على قافية رأسه ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة ويقول: عليك ليل طويل فارقد، لِمَ؟ ليحرمه من قيام الليل، ليمنعه من صلاة الفجر، يقول ﷺ: «**يعقدُ الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليلُ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقَدُهُ كُلُهَا فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٢).

انظروا إلى من يقوم بالليل يصلي، ويصلي الفجر تراه طوال اليوم نشيطاً طيب النفس، أما الذي ضيع قيام الليل وضيع صلاة الفجر تراه طوال يومه خبيث النفس كسلان.

فما بالكم بمن إذا نام، نام على معصية الله، كما يفعل الكثيرون الذين لا ينامون إلا على شاشات المفسديون، فلا يقرأون آية الكرسي ولا يذكرون الله عند النوم، فيلعب بهم الشيطان. ويا ليت الشيطان اكتفى بكل ذلك؛ بل يعتدي على الإنسان في نومه فيبيت في خياشيمه، ويبول في أذنيه وذلك إذا نام الإنسان حتى الصباح. يقول ﷺ: «**إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه**»(٣)، وذُكِرَ عند رسول الله ﷺ رجلٌ نام

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٩٤).

(٢) صحيح: خ: (١٠٩١)، م: (٧٧٦).

(٣) **صحيح**: خ: (٣١٢١)، م: (٢٣٨).

حتى أصبح قال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[١].

عبد الله: اعتداء من هذا العدو عليك في نومك إذا نمت ولم تذكر الله ﷻ، أما من نام ذاكراً لله، متوضئاً، قد قرأ آية الكرسي، فإن الشيطان لا يتسلط عليه أبداً ـ بإذن الله ـ ويكون عليه من الله حافظ حتى الصباح.

• ومن اعتداءات الشيطان على ابن آدم أن يعمل جاهداً على إحراق المنازل بالنار، فالحرائق التي تحدث غالباً من الشيطان، بإهمال منا.

قال ﷺ: «**إذا نمتم فأطفئوا سُرُجكم، فإن الشيطان يدلُ مثل هذه (الفأرة) على هذا (السراج) فيحرقكم**»[٢]؛ أي: يأتي الشيطان ويدل الفأرة على السراج الموقد فتحترق الفأرة من السراج، ثم تسرع في البيت فتشعل النيران في البيت؛ والسبب أَننا نمنا وتركنا النار.

كم من البيوت حُرقت؟! وكم من الأرواح أُزهقت بسبب الإهمال؟!.

• **ومن اعتداءات الشيطان على الإنسان:** أن يتسبب في إصابته بأَخطر الأمراض، فالأمراض الخبيثة سببها الشيطان إما مباشرة منه وإما أن يوحي إلى أَوليائه من شياطين الإنس، فيعملون عملاً فيتسبب في نشر هذا المرض بين الناس.

أخبر النبي ﷺ فقال: «**فناء أمتي بالطعن والطاعون**» فقيل: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون، قال: «**وَخْزُ أعدائكم من الجن، وفي كُلٍّ شهادة**»[٣]، وهي أمراض خطيرة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٩٧)، م: (٧٧٤).

(٢) **صحيح**: د: (٥٢٤٧)، حب: (٥٥١٩)، ك: (٤/٣١٧)، هب: (٥/٢١٨)، [«ص.ج» (٨١٦)].

(٣) **صحيح**: حم: (٤/٣٩٥)، لس: (٥٣٤)، طص: (١/٢١٩)، [«ص.غ.هـ» (١٤٠٣)].

ويقول ﷺ عن الطاعون: «**وخز أعدائكم من الجن، وهو لكم شهادة**»[(١)]، أقول: هذه الأمراض التي انتشرت بيننا الآن كالسرطان مثلاً، فأنا أقول: إن الذي يتسبب في هذا المرض هو الشيطان، كيف وقد تبيّن لنا أن السرطان مرض يصاب به الإنسان إذا أكل كثيراً من هذه الخضراوات التي قد ملأت الأسواق، وقد طُعِّمت (بالهرمونات)، فمن الذي أوحى للمزارعين الذين لا دين لهم ـ إلا من رحم ربي ـ أن يحقنوا الخضروات بهذه الهرمونات؟ إنه إبليس أوحى إلى شياطينه من الإنس: إنكم إذا حقنتم هذه الخضراوات بهذه (الهرمونات) نضجت بسرعة فحصلتم على الأموال الطائلة، فاستجابوا لأمر إبليس وقاموا بشراء هذه الهرمونات وطعَّموا الخضار فأكلها الكثير فأصيبوا بهذا المرض، وهو السرطان الذي ما جاءنا ميت إلى هذا المسجد ـ إلا من رحم ربي ـ فسألنا عن سبب الوفاة، إلا قالوا: إنما مات بالمرض الخبيث، وهو السرطان، أعرفتم ما السبب؟ إنه الشيطان، ولكن احفظ الله يحفظك.

• **ومن اعتداءات الشيطان على الإنسان:** أَنه يعتدي على ممتلكاته، ويحاول جاهداً أن يحرمه منها.

ولذلك أمرنا الرسول ﷺ أن نغلق الأبواب، وأن نخمر الآنية وأن نطفئ المصابيح.

قال ﷺ: «**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمّروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم**»[(٢)].

لِمَ؟ لأن الشيطان إذا رأى باباً مفتوحاً وسوس لإنسانٍ: أن اذهب

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١١٤)، [«ص.ج» (٣٩٥١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٣٠٠)، م: (٢٠١٢).

إلى هذا البيت وخذ ما فيه، فيحرمك من مالك ومما تمتلك، فكونوا منه على حذر.

● **ومن اعتداءات الشيطان على الإنسان:** أن يعتدي على طعامه وبيته.

يحب الشيطان أن ينام معك، وأن يأكل معك، هكذا يحب أن يعيش متطفلاً.

قال ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**»(١).

وَرُبَّما جامع الشيطان زوجة الإنسان معه إذا لم يذكر اسم الله، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤]، ابن آدم، بالله عليك لو استيقظت في الليل ورأيت إنساناً في بيتك بدون علمك فماذا تفعل به؟ وماذا يكون حالك؟ ألا تقيم الدنيا وتقعدها! رجل غريب في البيت بدون علمي!! فما بالك بهذا العدوِّ اللعين الذي هو شرٌّ من الإنسان يكون معك في بيتك لا تراه وهو يراك، ينام معك ويأكل معك ويجامع معك، فكونوا من الشيطان على حذر.

ولم يكتف الشيطان بذلك؛ بل تعدى على الإنسان عند شرابه، فمن شرب بشماله شرب معه الشيطان، وإذا شرب واقفاً شرب معه الشيطان.

قال ﷺ: «**إذا أكل أحدُكم فليأكلْ بيمينه، وإذا شرب فليشربْ بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»(٢).

ورأى ﷺ رجلاً يشرب قائماً فقال له: «**قِهْ**»، قال الرجل: لمه؟

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠١٨).

(٢) **صحيح**: م: (٢٠٢٠).

قال: «**أيسرك أن يشرب معك الهر؟**»، قال: لا، قال: «**فإنه قد شرب معك من هو أشر منه، الشيطان**»(١).

فتبيّن لنا أن الشيطان يشرب معك إذا شربت بالشمال، فكم منا من يرى زوجته وولده يشرب بالشمال، ويأكل بالشمال؟! أما رأيتم هؤلاء المجانين الذين يأكلون بالشمال ويدخنون باليمين؟ إنهم قد استحوذ عليهم الشيطان.

- **الشيطان يعتدي عليك حتى في اللحظة الأخيرة في سكرات الموت.**

يأتيك وأنت في فراش الموت، ويقول لك: مُت على اليهودية، مُت على النصرانية! أتموت على الإسلام ورب الإسلام يفعل بك كذا وكذا؟؛ يُضِلُّك حتى تخرج من الدنيا على غير (لا إله إلا الله)، ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعيذ دائماً من أن يتخبطه الشيطان عند الموت.

قال ﷺ: «**اللّهم إني أعوذ بك من التردي، والهدم، والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً**»(٢)، فقد أقسم الشيطان: أن لا زلت أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

إخوة الإسلام: إنها معركة شرسة لا تضع أوزارها، وعدو لدود أقسم بالله ليتخذنّ من عباد الله نصيباً مفروضاً، فهو يعتدي عليك وعلى ولدك وعلى أهلك وعلى ممتلكاتك، فكن منه على حذر.

- **ومن اعتداءات الشيطان: إلقاء العداوة والبغضاء في الخمر والميسر.**

فكم من الصِّلات تقطّعت بسبب الخمر والميسر ـ وهو القمار ـ؟ ولذلك حذرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ من الخمر والميسر، وبيَّن لنا أنها من فعل الشيطان ليوقع بيننا العداوة والبغضاء.

---

(١) **صحيح**: حم: (٣٠١/٢)، هب: (١٠٨/٥)، [«س.ص» (١٧٥)].

(٢) **صحيح**: ن: (٥٥٣١)، طب: (١٧٠/١٩)، [«ص.ج» (١٢٨٢)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

• **ومن اعتداءات الشيطان: الكلمة النابية.**

فيلقيها الشيطان على لسان الرجل أو المرأة فيتكلم بها أو تتكلم بها فتكون سبباً لتقطيع العلاقات، فكم من العلاقات تقطّعت بسبب كلمة؟ فكم من امرأة طلقت بسبب كلمة؟ وكم من الأرحام قطعت بسبب كلمة؟ لذلك أمرنا الله إذا تكلمنا أن نتكلم بأحسن الكلام؛ لأن الشيطان ينزغ بيننا بالكلمة النابية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ۝٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

• **ومن اعتداءات الشيطان: الإشارة بالسلاح، ولو مازحاً.**

فهل نقع في ذلك سواء أكان السلاح صغيراً أو كبيراً؟.

يقول ﷺ: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**»[1].

أوقع هذا يا عباد الله؟ نعم وقع. كم مِنْ إنسان مزح مع أخيه بالسلاح فقتله، وإنَّ ذلك لمن الشيطان بسبب نزغه، وايقاعه للعداوة بين الناس.

• **ومن اعتداءات الشيطان: إيقاع العداوة والبغضاء بالتحريش بين الناس بالكلمة أو بأي أمر من أمور الدنيا.**

يقول ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[2].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٦١)، م: (٢٦١٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٨١٢).

يحرش بين الإخوة فيتكلم هذا عن ذاك فتتقطع الأخوة، وتزداد العداوة، كل ذلك من فعل الشياطين. هذه هي اعتداءات الشيطان عليك يا ابن آدم؛ لتكون من الشيطان على حذر، فإذا سمعت كلمة من أخيك فاحملها على أحسن محمل كيداً للشيطان، حتى لا يصل الشيطان إلى ما يريد وحتى لا تقع العداوة والبغضاء.

إخوة الإسلام: هل المس وهو الصرع من الشيطان؟ وكيف يقي أحدنا نفسه من السحر والصرع؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم احفظنا من كيد الشياطين





٢٩

السحر

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن اعتداءات الشيطان على بني آدم، وتبيّن لنا أن الشيطان عدو مبين يعتدي على طعام الإنسان وشرابه وبيته إذا غفل الإنسان عن ذكر الله، وتبيّن لنا أيضاً أن الشيطان يعتدي على الإنسان عند ولادته وحتى عند نزول الموت به. فالشيطان عندما طُرد من رحمة الله ومن الجنة أخذ على نفسه عهداً أن ينتقم من آدم وذريته.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن مرض خطير انتشر بين الناس ألا وهو السحر، والذي يقف وراء هذا المرض هو الشيطان، والمتسبب الأول لهذا المرض هو الشيطان، وهو من اعتداءاته على الإنسان.

عباد الله: السحر مرض فتّاك هدم كثيراً من البيوت، وحطم كثيراً من البشر، وهناك علاقة بين السحر والشيطان، والشيطان هو العامل الأساسي في السحر وهو السبب وراءه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أمة الإسلام: **الناس في إثبات حقيقة السحر طرفان ووسط:**

الطرف الأول: فريق من الناس ينكرون السحر بالكلية، ولا يعترفون بوجود السحر ولا السحرة، وهؤلاء هم المعتزلة ومن سار على نهجهم، وقد ضلوا ضلالاً بعيداً؛ لأنهم بإنكارهم للسحر كذبوا الكتاب والسنّة،

فالله أخبرنا في كتابه عن السحر والسحرة، والرسول ﷺ أخبرنا في سنّته عن السحر والسحرة.

الطرف الثاني: أثبتوا السحر وآمنوا بوجود السحر والسحرة، ولكنهم توسعوا في ذلك وسلكوا طرقاً مسدودة، واخترعوا أشياءَ من وحي الشيطان، فضلّوا وأضلّوا، وأَضروا بالناس وأضروا بأنفسهم.

فمثلاً: يأتيهم الرجل يشتكي بطنه فيقولون له: أنت مسحور، فيحطمونه، والإنسان منا إذا قيل له: أنت مسحور، تحطم وازداد وهماً على وهمه وآلاماً على آلامه، وهو في الحقيقة غير مسحور.

يأتيهم الرجل يشتكي رأسه أو بطنه أو جسده يقولون: أنت مسحور، وإنما ذلك من وحي الشيطان، فإما أن يصفوا له دواءً فيحصلون بذلك على المال، فيأكلون أموال الناس بالباطل.

وإما أنهم يريدون من وراء ذلك الشهرة، وأن يشار إليهم بالبنان، فهم ضلّوا وأضلّوا، وها هو رسولنا ﷺ أرحم الناس بالمؤمنين لا ينطق عن الهوى يأتيه الرجل يشتكي بطنه فيقول له: «**عليك بالعسل**»، ويأتيه الرجل يشتكي رأسه فيقول له: «**عليك بالحجامة**»، ويأتيه الرجل يشتكي قدميه فيقول له: «**عليك بالحناء**»، وما سمعنا أن الرسول ﷺ قال للذي اشتكى رأسه أو بطنه أو قدمه: أنت مسحور، أو أنت مَسَّكَ جنٌّ.

فالأمراض ثلاثة أقسام:

١ ـ **الأمراض البدنية العضوية**: تعالج عند الأطباء، وتعالج بالدواء الفعال المعروف، الذي لا يخالف الشريعة.

٢ ـ **الأمراض النفسية**: تعالج بالطمأنينة وعند الأطباء المتخصصين في ذلك.

٣ ـ **الأمراض الروحانية**: وتعالج بالقرآن والرقية.

أَما أَن نقول لكل من اشتكى وجعاً: أنت مسحور، فإننا نكون بذلك قد ضَلَّلْنا الناس، وأضررنا بأنفسِنا وأضررنا بهم؛ فالمرضى إذا قيل لهم:

أنتم مسحورون تحطموا، فلا يعرفون النوم ولا الطمأنينة، والحقيقة أنهم ليسوا بمسحورين.

والحق في حقيقة السحر هو ما عليه الفريق الوسط، ونسأل الله أن نكون وإياكم منهم.

وهؤلاء أثبتوا السحر، وآمنوا بوجوده، واعتقدوا أنه لا يضر إلا بإذن الله.

عباد الله! والحق في ذلك أن نؤمن بوجود السحر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ونتوقف في السحر وعلاجه على ما جاء في الكتاب والسنّة، ولا نزيد على ذلك خشية أن نَلحق بالفريق الثاني الذين ضلّوا وأضلّوا.

عباد الله: ونقول للذين ينكرون السحر ولا يعترفون به: ماذا تقولون في هذه الأدلة التي جاءت في الكتاب والسنّة؟ فقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه عن السحر والسحرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ففي الآية دليل على وجود السحر، وعلى أن السحر من فعل الشياطين، وفيها دليل على أن تعلّم السحر كفر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١]، ففي الآية دليل على وجود السحر، ودليل على أن السحر يبطله الله عز وجل إذا التجأ الإنسان إليه.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩]، ففي الآية دليل على وجود السحر، وعلى أَن الساحر لا يفلح حيث أتى.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠ ـ ١٢٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ١ ـ ٤]. والنفاثات: هن السواحر يعقدن وينفثن في هذه العقد.

هذه أدلة من كتاب ربنا تدل على وجود السحر.

وأما الأدلة التي في السنّة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحرَ رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لَبِيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ، يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا، ثم دعا ـ أي دعا ربه مرات ـ، ثم قال: «**يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيه فيه...**»[(١)].

ففي الحديث دليل على وجود السحر، وفيه دليل على أن اليهود هم أساتذة السحر، وفيه دليل على أن السحر الذي عُمل لرسول الله ﷺ من نوع ربط الرجل عن زوجته، فإنه ﷺ كان يخيل إليه أنه يستطيع أن يأتي نساءه فإذا اقترب منهن لم يستطع، وذلك لا يؤثر في عقل ولا في سلوك الإنسان أو تصرفاته، فانظر إلى رجل ربط عن زوجته فستراه يصلي ويذهب إلى عمله، ويتكلم فلا ترى لذلك تأثيراً عليه، ولكن هذا يؤثر في جسده فقط في كونه لا يستطيع أن يأتي أهله.

ونقول: بأن هذا السحر لم يؤثر على رسول الله ﷺ لا في عقله ولا في سلوكه، إنما أثر على جسده كما يؤثر المرض، وفي هذا دليل على أن الرسول ﷺ بشرٌ يمرض كما يمرض البشر.

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات...**» ـ فذكر منها ـ «**السحر**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٣٠)، م: (٢١٨٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

ففي الحديث دليل على وجود السحر، وأن السحر من الموبقات ـ أي: المهلكات ـ.

ويقول ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»(١). ففي الحديث دليل على وجود السحر، ودليل على أن تعلمه حرام.

ويقول ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر ولا من تُطيِّرَ له، أو تَكهَّن أو تُكُهِّن له أو سَحر أو سُحر له**»(٢). ففي الحديث دليل على وجود السحر، وأن الذهاب إلى السحرة حرام، فمن ذهب إلى السحرة فقد ضل ضلالاً مبيناً، ومن ذهب إلى السحرة لعمل السحر فليس منا، كما قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»(٣).

وهذا فيه دليل على وجود السحر، وفي الحديث دليل أَيضاً على أن من اعتقد أن السحر يضر أو ينفع بنفسه فقد ضل ضلالاً مبيناً، فإنما يقع ضرره بإذن الله.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ذهب أهل السنّة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: والصحيح أن السحر ثابت وله حقيقة، على ذلك أجمع العلماء. وجاءت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنّة الصحيحة.

عباد الله: إذاً لا مجال لإنكار السحر، ولكن [**ما هو السحر**]؟.

(**السحر**) هو عُقَدٌ يعقدها الساحر، ورقىً من وحي الشيطان للساحر، وعزائم يقولها الساحر، ورسمات يرسمها الساحر، وكلام يتمتم به الساحر

---

(١) **صحيح**: د: (٣٩٠٥)، هـ: (٣٧٢٦)، حم: (١/٣١١)، ش: (٥/٢٣٩)، هق: (٨/١٣٨)، [«ص.ج» (٦٠٧٤)].

(٢) **صحيح**: طب: (١٨/١٦٢)، [«ص.ج» (٥٤٣٥)].

(٣) **حسن لغيره**: حب: (٦١٣٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٦٢)].

كل ذلك من وحي الشيطان، والساحر إما أن يقوله، وإما أن يكتب ذلك في حجاب ليؤثر بذلك في القلوب والأبدان، فيحصل الأَثر مِنْ مرضٍ أو تفريقٍ بين المرءِ وزوجه، وربما وضعوا هذه الرقى أو هذه العزائم أو هذا الكلام خلال آيات من القرآن، كالذي يضع السم في العسل، فكونوا من السحر والسحرة على حذر.

عباد الله! فالسحر اتفاقٌ بين الساحر والشيطان: فالساحر يريد أن يعمل السحر فيعقد عَقْداً مع الشيطان، ويطلب الساحر من الشيطان أن يقوم بخدمته وبطاعته فيوافق الشيطان على ذلك في مقابل أن يطلب الشيطان من الساحر أن يقع في بعض المخالفات الشرعية والمحرمات؛ بل أن يقع في الكفر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وربما قال الساحر: لا أريد أن أكفر، ولكن أريد منك أيها الشيطان أن تقوم بخدمتي. ولكن حتى يقوم الشيطان بخدمة الساحر فلا بد له ـ أعني الساحر ـ أن يرتكب بعض المعاصي؛ منها:

١ ـ أن يضع الساحر كتاب الله في قدميه، ويدخل به بيت الخلاء إرضاء للشيطان.

٢ ـ أن يقوم الساحر بوضع القرآن في بيت الخلاء ليبول عليه إرضاء للشيطان.

٣ ـ أن يقوم الساحر ـ قاتله الله ـ بكتابة كلام الله بالأوساخ ودم الحيض إرضاء للشيطان.

٤ ـ أن يقوم الساحر بالذبح لغير الله، والسجود لغير الله إرضاء للشيطان.

٥ ـ أن يأتي الساحر ابنته أو أمه إرضاء للشيطان.

● وهذه امرأة كانت ساحرةً، فلما ماتت وقاموا على تغسيلها فلما نزعوا عنها ثيابها وجدوها قد وضعت القرآن عند فرجها. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وليس بعد الكفر ذنب.

• ومن السحرة من يعتدي على النساء اللاتي يأتينه ويفعل بهن الفاحشة إرضاء للشيطان. وقد حذرنا الله في كتابه، وكلنا يقرأ ذلك، ولكن من الذي يعقل؟! من الذي يفهم؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

أفاك: لا يدع نوعاً من الكذب إلا وقع فيه، أثيم: لا يدع نوعاً من المعاصي إلا اقترفه إرضاء للشيطان، ومع ذلك نذهب إلى السحرة، ونقول: ماذا نفعل؟!.

عباد الله: الساحر شيطان، وإن أطلق لحيته ولبس السبحة في رقبته، وإن صلّى الصلوات الخمس في المسجد، وإن وجدناه يسبح ليلاً ونهاراً فعمله بالسحر والشعوذة جعله من شياطين الإنس، فقد اتفق مع شياطين الجن على معصية الله وعلى حرب بني آدم، فالساحر مجرم وجرثومة، ويجب على أولياء الأمور أن يقضوا على هؤلاء إما بالحبس وإما بالقتل؛ حتى تستريح الأمة من شرورهم وأضرارهم.

وحكم الساحر في الشريعة الإسلامية: القتل.

قال الإمام مالك: أرى أن يقتل الساحر.

وقال ابن قدامة: الساحر حدّه السيف.

وقال ابن حجر: الساحر حكمه كالزنديق يقتل حدّاً، وبذلك قال الإمام مالك والإمام أحمد، وقد كتب عمر الفاروق رضي الله عنه إلى عمّاله في المدائن أن: اقتلوا كل ساحر وساحرة.

والسحر نوعان:

١ ـ سحر تخيل: يخيل إليك ولا يضرك ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

٢ ـ سحر تفريق: يفرق بين المرء وزوجه إما بالربط وإما بالكراهة، ولكن ليس كل من مُنع عن زوجته فهو مسحور، وليس كل من أبغض زوجته فهو مسحور.

***عباد الله:* هل يجوز للمسلم أن يذهب إلى الساحر لحلّ السحر؟.**

الجواب: لا. يحرم على المسلم أن يذهب إلى الساحر لحل السحر، وعليه أن يصبر على ما ابتلي به، وأن يلتجئ إلى الله، فالله ﷻ وحده هو الذي يبطل هذا السحر؛ ولأن الرسول ﷺ قال: «**من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١).

وقال ﷺ: «**ليس منا من تطيَّرَ ولا من تُطِّيرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكهِّن له، أو سَحر أو سُحر له**»(٢).

والذاهب إلى السحرة استعان بغير الله، والرسول ﷺ يقول لابن عباس رضي الله عنهما: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٣)، فلا يجوز أبداً بأي حال من الأحوال أن يذهب المسلم إلى الساحر لحل السحر، بل عليه أن يلتجئ إلى الله، ويدعو الله أن يبطل هذا السحر، والله قادر على إبطاله، وكثير من الناس امتنعوا عن الذهاب إلى السحرة، ودعوا الله ﷻ بالليل والنهار، واستغاثوا بالله وتوكلوا على الله وبكوا بين يدي الله ﷻ في صلاتهم فعافاهم الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ﴾ [النمل: ٦٢]، أهو الساحر يا عباد الله! لا؛ بل هو الله.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/٤٢٩)، طس: (٢/١٢٢)، هق: (٨/١٣٥)، ك: (١/٤٩)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

(٢) **صحيح**: طب: (١٨/١٦٢)، [«ص.ج» (٥٤٣٥)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/٢٩٣)، طب: (١٢/٢٣٨)، ع: (٤/٤٣٠)، هب: (١/٢١٦)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

فعلى الإنسان أن يتوكل على الله، ويصبر على هذا البلاء، ويطلب من الله أن يُذْهِبَ عنه هذا السحر، ولا يذهب إلى الساحر أبداً وإن مات بسبب السحر؛ ليلقى الله على التوحيد؛ فيفوز بجنة عرضها السمٰوات والأرض؛ فهذا امتحان فليصبر وليعلم بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

عباد الله: هل يجوز للمسلم أن يتعلم السحر؟ وهناك من ينسب إلى رسول الله ﷺ هذا الحديث الباطل الموضوع وهو: «**تعلموا السحر ولا تعملوا به**». إذا كان الرسول ﷺ حرم علينا الذهاب إلى السحرة فكيف يأمرنا أن نتعلم السحر؟! هذا لا يمكن أبداً، فلا يجوز للمسلم أن يضع في بيته كتاباً فيه تعليم السحر، ولا أن يذهب لساحر، ولا أن يسمع له، فإن فعل فهو شيطان من شياطين الإنس.

والرسول ﷺ يقول: «**من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[1]. وهذا فيه دليل على حرمة تعلم السحر.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ويقولون للناس: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلا يجوز أبداً لمن يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، أن يتعلم السحر، أو يذهب إلى السحرة.

عباد الله: هل الشيطان يمس الإنسان: أي يصرعه؟ وما هو العلاج من المس والصرع؟ هذا ما سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة، إن كان في العمر بقية.

اللّهم احفظنا بالإسلام من كيد الشياطين
ومن كيد السحرة والمشعوذين

---

(١) **صحيح**: د: (٣٩٠٥)، هـ: (٣٧٢٦)، حم: (١/ ٣١١)، ش: (٥/ ٢٣٩)، هق: (٨/ ١٣٨)، [«ص.ج» (٦٠٧٤)].



٣٠

مسّ الشيطان للإنسان

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن السحر، وتبيّن لنا أن السحر من عمل الشياطين، وتبيّن لنا أيضاً أنّ السحر هو: اتفاق بين شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فتتنزل شياطين الجن على شياطين الإنس لإيقاع الضرر ببني آدم. وتبيّن لنا أنهم بهذا السحر قد يفرقون بين المرء وزوجه، وقلنا: إنهم لن يستطيعوا أبداً أن يضروا أحداً إلا بإذن الله.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم مع مرض آخر انتشر بين الناس وسببه الشيطان، وهو: المس.

(المس): هو أن يدخل الشيطان في بدن الإنسان فيمسه، ويصرعه، وهذا منتشر في كثيرٍ من الناس بسبب المعاصي والذنوب.

إخوة الإسلام: **الناس في إثبات المس كالسحر تماماً: طرفان ووسط.**

الطرف الأول: فريقٌ من الناس ينكرون المس، ويقولون: إنّ الشيطان لا يدخل في جسم الإنسان، وهؤلاء هم المعتزلة ومن سلك سبيلهم، حتى إننا نسمع في هذا العصر عن أُناسٍ يدّعون العلم ـ والعلم منهم بريء ـ يكتبون كتباً ينكرون فيها مس الشيطان لبدن الإنسان، وهم بذلك كذَّبوا الله ورسوله؛ لأن الله أخبرنا في كتابه، والرسول ﷺ أخبرنا كذلك في سنّته أن الشيطان يدخل في بدن الإنسان.

الطرف الآخر: أثبتوا المس، ولم ينكروه، واعترفوا أَن الشيطان يمس الإنسان ويدخل في بدنه، ولكنهم غلوا في ذلك؛ فاخترعوا طرقاً

للعلاج من المس ما أنزل الله بها من سلطان، وما أظن إلا أنها من وحي الشيطان، وأنه هو استدرجهم إلى هذه الطرق.

أما الفريق الحق فهو الوسط بين الإفراط والتفريط:

وهم الذين أثبتوا المس بما جاء من الأدلة في الكتاب والسنّة، وتوقفوا في إثباته على الأدلة، وفي علاجه على الأدلة التي جاءت عن رسول الله ﷺ، بلا إفراط ولا تفريط.

فاعتقدوا أن الشيطان يمس الإنسان، ويدخل في بدنه، ويصرعه بالجنون. وأن العلاج يكون كما جاء عن رسول الله ﷺ، ولا يزيدون أبداً حتى لا يقعوا في حبائل الشيطان.

إخوة الإسلام: وها هي الأدلة من الكتاب والسنّة رداً على الذين ينكرون المس، لعلهم يتوبون، ويرجعون، وإذا لم يأخذوا بقول الله وقول رسول الله، فعليهم أن يذهبوا ليُقْرَأَ عليهم؛ لأنهم قد مسهم الشيطان.

أولاً ـ الأدلة من القرآن:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الإمام الطبري، والقرطبي، وابن كثير ـ رحمهم الله جميعاً ـ: في الآية دليل على أن الشيطان يدخل في بدن الإنسان، فيمسه ويصرعه بالجنون؛ فإن الله ﷻ شبَّه آكل الربا ووصفه يوم القيامة حين يقوم من قبره أنه يتخبط كما يتخبط الذي مسه الشيطان بالصرع والجنون، فلا مجال للإنكار بعد ذلك، وقد صرح ربنا في كتابه بذلك.

ثانياً ـ الأدلة من السنّة النبوية الصحيحة:

الدليل الأول: عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ابن**

أبي العاص»، قلت: نعم يا رسول الله، قال: «**ما جاء بك؟**» قلت: يا رسول الله، عرض لي شيء في صلواتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: «**ذاك الشيطان. ادنه**»، فدنوت منه، فجلست على صدور قدميّ قال: فضرب صدري بيده وتفل في فمي وقال: «**اخرج عدو الله**»، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «**إلحق بعملك**»، قال: فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد[(١)].

ففي هذا الحديث دليل صحيح صريح على دخول الشيطان في بدن الإنسان ولو كان رجلاً؟ نعم، ولو كان صالحاً؟ نعم، ففي لحظةٍ يغفل فيها الإنسان عن ذكر الله يدخل الشيطان بدنه، وفيه أيضاً دليل على كيفية العلاج، فالرسول ﷺ ما زاد إلا أن قال للشيطان: «**اخرج عدو الله**». فما علمنا أن الرسول ﷺ كَتَّفَ هذا الرجل بالحبال، وضربه بالعصي، أو بالنعال، أو أنه مسه بالكهرباء، أو هدده أو فعل شيئاً مما نسمعه في هذا العصر، لا بل ضربه في صدره ضربة خفيفة، ولم يضربه حتى الموت!.

فهناك من المعالجين من ضرب المصروع حتى قتله، فانتقل المصروع إلى القبر، وانتقل المعالج إلى السجن! آلله أمركم بهذا؟! الجواب: إنما ذلك من وحي الشيطان. وفي الحديث دليل أن على المعالج أن لا يزيد على أن يقول: اخرج عدو الله.

الدليل الثاني: (جاءت امرأة بولدها إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن به لَمَماً، وإنه يأخذه عند طعامنا، فيفسد علينا طعامنا، فمسح رسول الله ﷺ صدره، ودعا له فثعَّ ثعة ـ قاء ـ، فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فسعى)[(٢)]. وفي هذا الحديث دليل على أن الشيطان يدخل في جسم الإنسان، ولو كان طفلاً صغيراً.

الدليل الثالث: (جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٥٤٨)، [«ص.هـ» (٢٨٥٨)].

(٢) **ضعيف**: حم: (١/٢٣٩)، مي: (١٩) طب، (١٢/٥٧)، [«مشكاة المصابيح» (٥٩٢٣)].

أتكشف فادع الله تعالى لي، قال ﷺ: «**إن شئت صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**»، فقالت: أصبرُ، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف. فدعا لها)[١]. وفي هذا الحديث دليل على أن الشيطان يدخل في أجساد النساء أيضاً.

تلك امرأة تصرع، وعندها حياء حتى وهي تصرع دعت وطلبت ألّا تتكشف، فما بال نسائنا تكشفنَّ بلا صرع ولا جنون؟! أما تخشى ـ يا عبد الله ـ يا من سمحت لزوجتك وابنتك بالتبرج والسفور أن تصرع، ويدخل في جسمها الشيطان، فتحرم منها وتحرم جمالها.

امرأة تصرع تخشى أن تتكشف وهي مصروعة فقالت: يا رسول الله، أصبر على الصرع ولكني أتكشف فادع الله ألا أتكشف، إنه الحياء.

لقد كانت تلك المرأة امرأة سوداء، قال أحد الصحابة لأخيه: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قال: بلى، قال: هذه المرأة السوداء)[٢]. تخشى أن تتكشف وهي مصروعة؟! إنه الحياء، إنها التربية، فما بال النساء تكشفن بدون صرع ولا جنون! أم هو صرع الموضة وجنونها حتى جعلهن يُقْبلن على التبرج والعري بلا حياء من الناس ولا حياء من الله!.

الدليل الرابع: يقول ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب**»[٣]. كم مِنَ الناس مَنْ يتثاءبَ فلا يضعُ يده على فيه فيُعَرِّض نفسه لدخول الشيطان فيه.

نقول للمعتزلة ومن سار على نهجهم: ماذا تقولون في ذلك؟ وقال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[٤].

أدلة صحيحة صريحة على أن الشيطان يدخل في جسد الإنسان.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (ودخول الجن في جسم الإنسان ثابت

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦). (٢) نفس المصدر السابق.
(٣) **صحيح**: حم: (٣/ ٩٣)، عب: (٢/ ٢٧٠)، [«ص.ج» (٤٢٦)].
(٤) **صحيح**: خ: (٦٧٥٠)، م: (٢١٧٤).

باتفاق أهل السنّة والجماعة)، وقال رَحِمَهُ اللهُ: (لم ينكر ذلك أحد من أئمة السنّة)[١].

فإذا عرفت ذلك فكن من الشيطان على حذر.

وهذه شهور مرت ونحن نتكلم عن الشياطين ليتبيّن لك يا عبد الله أَنك في معركة شرسة مع هذا العدو المبين.

***عباد الله:* قد يسأل سائل: ما هي الأسبابُ التي بها يدخل الشيطان في جسم الإنسان؟.**

السبب الأول ـ العشق:

جنية أنثى تعشق إنسياً فتدخل في بدنه؛ لأنها تحبه، جني ذكر يعشق أنثى فيدخل في جسمها؛ لأنه يحبها ويعشقها، هذا سبب.

السبب الثاني ـ الظلم:

الإنسان أحياناً يظلم الجن بقصدٍ أو بدون قصد، فمثلاً: إذا أراق الإنسان ماءً ساخناً دون أن يذكر اسم الله، فوقع هذا الماء على الجن، فآذاه عندها ربما يدخل الجني جسده لينتقم منه، لذلك يجب على من يسكب ماءً ساخناً أن يقول: (بسم الله)؛ ليحمي نفسه من الجن.

● أو إذا وقع الإنسان من مكانٍ عالٍ دون أن يسمّي، أو ألقى بشيءٍ ثقيل من مكان عالٍ دون أن يسمّي، فوقع ذلك على الجن فأصابه، عندها يصبه الجن ويعتدي عليه فيصرعه، فلا تنسَ أن تقول: (بسم الله).

السبب الثالث ـ ظلم الشيطان للإنسان:

الشيطان يحب أن يأكل ويشرب ويبيت مع الإنسان؛ نعم فهو متطفل، وهو لك بالمرصاد، فإذا وجد فرصة للدخول دخل ليأكل ويشرب ويجامع وينام معك.

ما هي الحالات التي يدخل فيها الشيطان بدن الإنسان؟.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

الحالة الأولى ـ الغضب الشديد:

إذا غضب الإنسان غضباً شديداً عَرَّض نفسه لدخول الشيطان، ولذلك انظر إلى الغضبان تراه يكفر، يقتل، يذبح؛ لأن الشيطان دخل فيه، فأخذ يلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة، وأظن أن ما منكم مِنْ أحدٍ إلا وغضب، وخرَّب عندما غضب، ولذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: (يا رسول الله أوصني، قال ﷺ: «**لا تغضب**»، فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»[1]، يقول الرجل: ففكرت في الغضب، فإذا الغضب يجمع الشر كله)[2].

الحالة الثانية ـ عند الخوف الشديد.

الحالة الثالثة ـ عند الانكباب على الشهوات والمعاصي:

الإنسان إذا أقبل على المعاصي، وعاش من أجل المعاصي دخله الشيطان؛ بل دخلته الشياطين، فالذي يزني يتلبسه الشيطان وهو يزني، وكذلك الذي يسرق...

الحالة الرابعة ـ الغفلة:

أن يغفل عن الطاعة، وعن ذكر الله، فتراه طوال النهار يركض وراء الدنيا، وبالليل يعكف على المفسديون، لا يذكر الله إلا قليلاً، وهذه الغفلة سبب لدخول الشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]، فالشيطان لك بالمرصاد، عدو مبين، إذا غفلت عن ذكر الله دخل الشيطان وإذا دخل الشيطان، أصابك بالصرع والجنون.

***إخوة الإسلام:* هل يجوز للذي أصابه المس، ودخل في جسمه شيطان أن يذهب إلى السحرة والمشعوذين للعلاج؟ ولإخراج هذا الجن؟.**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٦٥).

(٢) **صحيح**: هذه الزيادة في الحديث عند: حم: (٥/ ٣٧٣)، عب: (١١/ ١٨٧)، هق: (١٠/ ١٠٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

الجواب: لا، لا يجوز أبداً الذهاب إلى السحرة والمشعوذين ولو لمجرد السؤال؛ قال ﷺ: «**من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(١)]، وقال ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى امرأةً حائضاً، أو أتى امرأة في دبرها، فقد بريء مما أُنزِلَ على محمد**»[(٢)]؛ وقال ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٣)].

فاتقوا الله عباد الله! فالذين يذهبون إلى السحرة والمشعوذين ويظنون أَنَّ عندهم العلاج، لا يزدادون بذلك إلا بُعداً عن الله، ولكن ماذا يفعل يا عباد الله من أصيب بهذا المس؟.

مَنْ أُصيب بهذا المس فعليه أمور:

أولاً: أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً وأن يلتجئ إلى الله، وأن يتوكل على الله. فبيتٌ مُليء بالمعاصي، والصور المعلقة، والمفسديون، وأشرطة الفيديو، والغناء، ثم يأتي المريض ويقول: أريد أن أُشفى. تُبْ إلى الله أولاً، ونظف البيئة التي تعيش فيها من معصية الله، ثم بعد ذلك ابحث عن السبب المشروع، واعتقد في قلبك أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن هذا الذي أصابك لا يقدر أحد أن يشفيك منه إلا الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

ثانياً: على المريض أن يقرأ على نفسه شيئاً من القرآن كسورة البقرة؛ فإنها تطرد الشياطين، وآية الكرسي تطرد الشياطين، ويقرأ المعوِّذات والرقى المشروعة التي جاءت عن رسول الله ﷺ ويصبر،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٢) **صحيح**: د: (٣٩٠٤)، حم: (٩٢٧٩)، هق: (١٩٨/٧)، [«ص.ج» (٥٩٤٢)].

(٣) **صحيح**: حم: (٤٢٩/٢)، ك: (٤٩/١)، طب: (٧٦/١٠)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

ويسمع القرآن ويقرأه يرقي نفسه صباحاً ومساء، يذكر الله، يقوم من الليل يبكي ويدعو بين يدي الله ﷻ ـ رجلاً كان أو امرأة ـ يقول: يا رب، أنت الشافي، أطلب الشفاء منك وحدك؛ فالله ﷻ هو الشافي، فليرقي نفسه أولاً فإن شُفي فالحمد لله وإلا يذهب إلى من يرى فيهم الصلاح فيقرأون عليه القرآن والرقى المشروعة فقط، ويقولون: اخرج عدو الله، ولا يزيدون على ذلك، ولا يفتخرون في المجالس بأننا قد جاءنا فلان فيه جنٌّ فأخرجناه، وإنما هذا من الرياء فاستر؛ فإن هذا عملٌ صالح فاجعله بينك وبين الله ﷻ تجده لك عند الله يوم القيامة، أما أنَّ تتكلم في المجالس وتقول: أنا بطل الرقى، أنا بطل إخراج الجن، فالذين يقولون ذلك ويفعلونه إنما أرادوا بعملهم الرياء والسمعة ـ لأنهم ما أرادوا بعملهم وجه الله ـ سواء أرادوا به أمراً مادياً أو أرادوا به أمراً معنوياً وهو أن يشار إليهم بالبنان، فعلى المعالج أن يتقي الله ويستر ويقول: أخرج عدو الله.

وإما أنه قد اتخذها مهنة ووظيفة، فإننا نسمع في السابق أن قليلاً ممن كانوا يقومون بهذا العمل. كالإمام أحمد إمام السنّة: كان يقرأ على المصروع فيشفى بإذن الله، لكننا ما قرأنا أبداً في أي كتاب أن الإمام أحمد بن حنبل كان بطلاً للرقى في يوم من الأيام أو اتخذها مهنة.

فعليك أن تنشغل بالعلم وحفظ القرآن، وإن جاءك من ابتُلي بهذه الأمور ترقيه وتُخلص في ذلك لعل الله أن يجعلك سبباً لشفاء هذا المريض.

اللّهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل
اللّهم احفظنا من كيد الشيطان

❁ ❁ ❁

٣١

الأسلحة التي يجب على المؤمن أن يتسلّح بها ضد الشيطان

عباد الله!

تكلمنا في الجمع الماضية عن عالم الجن والشياطين وقلنا: إنه عالم غيبي نؤمن به وإن كنا لا نراه، وتبيّن لنا أن إبليس عندما طرد من الجنة أقسم بالله لينتقمنَّ من آدم وذريته، وتبيّن لنا أن إبليس يقود المعركة مع بني آدم بنفسه، وأنه يستخدم في معركته جميع الأسلحة من إغواء وإضلال وتزيين لبني آدم، يدعوهم بذلك ليكونوا من أصحاب السعير.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع التعرف على الأسلحة التي يجب على المؤمن أن يتسلّح بها في وجه هذا العدو، وهو إبليس.

عباد الله: الإنسان في هذه الدنيا في معركة شرسة مع إبليس إلى أن يلقىٰ الله ﷻ.

ولذلك يجب على كل مؤمن أن يتسلح بالأسلحة الإيمانية، وأن يتحصن بكل حصنٍ دلَّه الله عليه، ودله الرسول ﷺ عليه؛ لينجو من كيد الشيطان، فيخرج من هذه الدنيا على الإيمان.

عباد الله: **السلاح الأول: الإخلاص لله ﷻ:**

الإخلاص لله ﷻ في كل شيء سلاحٌ فعّال، وحصن حصين إذا تحصنت به يا عبد الله، فلا يستطيع الشيطان أبداً أن يصل إليك، والشيطان يعترف بذلك، قال ـ تعالى ـ عن الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]؛ فالإخلاص حصن لك ـ يا عبد الله ـ من كيد الشيطان.

ولكن ما هو الإخلاص، ومَنْ هو المخلص؟.

الإخلاص هو: أن يَصْدُقَ العبد في نيته وفي عمله مع الله ﷻ، فإذا صلّى يصلي لله، وإذا زكَّى أو ركع أو سجد يعمل لله، وإذا أعطى ومنع، يعطي ويمنع لله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فالمخلص هو: الذي يتوجه بقلبه وعمله إلى الله؛ أي: هو الذي يريد بعمله وجه الله، والدار الآخرة، فالإخلاص حصن حصين من كيد الشياطين، وكذلك الإخلاص ينجيك من شدائد الدنيا وكروبها.

• فهذا يوسف عليه السلام: في شدة فتنة امرأة العزيز له عندما غلَّقت الأبواب، وقالت: هيت لك، وراودته عن نفسه وأمرته بما أَمرته ـ وهي سيدته ـ ومع ذلك قال: معاذ الله. فصرف الله عنه هذه الفاحشة بسبب إخلاصه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

• والثلاثة الذين دخلوا الغار وانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم؛ أي: بإخلاصكم لله ﷻ، فدعا الأول بإخلاصه لله في بره لوالديه فاستجاب الله له، ودعا الثاني: بإخلاصه لله في تركه للزنا فاستجاب الله له، ودعا الثالث: بإخلاصه لله ﷻ في رد الحقوق إلى أهلها فاستجاب الله له ونجاهم من الموت المحقق.

فالله ﷻ أمر عباده بالإخلاص؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وأمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالإخلاص؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢].

ورسولنا ﷺ ربّى أصحابه وأمته على الإخلاص لله؛ فقال ﷺ لابن عباس يوماً ـ معلماً له الإخلاص ـ: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف**»(١).

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢).

وقال ﷺ: («**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم [وأعمالكم]**» وأشار بأصابعه إلى صدره)(٣).

وسُئِلَ ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(٤).

فالإخلاص هو سرّ النجاح في الدنيا والآخرة، وكما تعلمون يا عباد الله أن أول من تسعّر بهم جهنم يوم القيامة هم المراؤون الذين توجهوا بأعمالهم لغير الله.

السلاح الثاني ـ تحقيق العبودية لله ﷻ:

أن تصبح عبداً ربانياً لله، فالله ﷻ عندما طرد إبليس من الجنة قال إبليس: لأغوينهم أجمعين، فرد الله ﷻ عليه وأخبَره بأن له عباداً لا يستطيع أن يصل إليهم أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/٢٩٣)، ك: (٣/٦٢٣)، طب: (١٢/٢٣٨)، ع: (٤/٤٣٠)، هب: (٢/٢٧)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٣١١)، م: (١٩٠٧).

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

(٤) **صحيح**: خ: (٧٠٢٠)، م: (١٩٠٤).

سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥]. فإذا دخلت ـ يا عبد الله ـ تحت هذه الآية ـ بأن تكون عبداً لله ـ فلن يصل إليك إبليس أبداً.

وقد يسأل سائل: ما هي العبادة؟.

العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. **وهذه العبادة أقسام**:

القسم الأول: **العبادة البدنية**: وهي التي يقوم بها العبد ببدنه: كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد.

القسم الثاني: **العبادة القلبية**: كالخوف، والرجاء، والمحبة، والإنابة، والتوكل على الله.

القسم الثالث: **العبادة المالية**: كالذبح، والنذر، والزكاة، والصدقة.

القسم الرابع: **العبادة القولية**: كالدعاء، والحلف بالله عز وجل، والاستعانة بالله.

فالعبد يعلم أن ما ينزل به من بلاءٍ فمن الله ولا يكشفه عنه إلا الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وهذا رسولنا ﷺ ماذا فعل عندما سحره اليهودي ـ قاتله الله ـ؟ لقد دعا الله، ثم دعا الله فاستجاب الله له، وكشف ما به من ضر، ودله الله على مكان السحر، فشفى الله عز وجل رسوله ﷺ.

فنقول لهذا المسحور: لا تهرول إلى المشعوذين، ولكن قم من الليل، وصلّ لله، وابكِ بين يدي الله، وقل: يا رب مسني الضر وأنت أرحم الراحمين؛ فالله هو وحده القادر على أن يبطل هذا السحر، وأن يحفظك من كيد الشياطين.

- وهذا أيوب عليه السلام لما مسه الضر دعا ربه وتوجه بقلبه إليه سبحانه وتعالى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣]. فتعلّموا ـ يا عباد الله ـ ماذا تفعلون إذا نزلت بكم نازلة أو مسكم ضر، فالله وصف لنا أيوب، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] وأما أحدنا إذا ابتلي بسحر، أو مرض، فلا يصبر، وتراه يركض إلى المشعوذين ـ إلا من رحمه الله ـ.

● وهذا يونس عليه السلام عندما سجن في بطن الحوت، في هذا السجن البعيد نادى ربه، ودعاه، ولم يلتفت لغير الله أبداً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

السلاح الثالث ـ الالتزام بالكتاب والسنّة علماً وعملاً ومنهجاً:

(لقد خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً طويلاً مستقيماً، وقال: «**هذا سبيل الله مستقيماً، وخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً كثيرة، وقال: هذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**»، وتلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾)[1] [الأنعام: ١٥٣]، فالتمسك بالكتاب والسنّة يحميك من الضلال الذي يدعو إليه الشيطان.

قال صلى الله عليه وسلم: «**تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[2]. والالتزام بمنهج الصحابة رضوان الله عليهم يحميك من الضلال والهلاك.

يقول صلى الله عليه وسلم: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً، فواحدةٌ في**

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥) بلفظ: (خلفت)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقةً فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، فواحدةٌ في الجنة وثنتان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**الجماعة**»[(١)]، وفي رواية: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٢)]. فإذا تركت الكتاب والسنّة، وسلكت تلك السبل المتفرقة، ثم دعاك الشيطان، وزين لك فاستجبت له، فأنت في ضلال مبين، وأنت من حزب الشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

السلاح الرابع ـ مخالفة الشيطان في كل ما يأمر به:

وهذا سلاح فعّال، وحصن حصين يمنع الشيطان أن يدخل إليك، لِمَ؟ لأن الشيطان يأمر بالكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

فالشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر، لذلك يجب عليك أن تخالف الشيطان في كل ما يأمر ويفعل. فمثلاً الشيطان يأكل بشماله فلا ينبغي لك أن تأكل بشمالك، وهو يشرب بشماله فلا ينبغي لك أن تشرب بشمالك، والشيطان يعطي ويأخذ بالشمال فلا ينبغي لك أن تأخذ وتعطي بالشمال، ورسولنا ﷺ أمرنا أن نأكل باليمين ونشرب باليمين، ونعطي ونأخذ باليمين؛ مخالفةً للشيطان.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٩٩٢)، طب: (١٨/ ٧٠)، [«ص.ج» (١٠٨٢)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

فيجب عليك أن تخالف الشيطان في كل ما أمر ـ ولو جاء في صورة الناصح الأمين ـ فهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

السلاح الخامس ـ الاستعاذة بالله ﷻ:

والاستعاذة معناها: الالتجاء إلى الله، والاحتماء بالله من كيد الشيطان. فمعنى أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أي: أستجير بك يا رب، وألتجئ إليك من كيد الشيطان، فإذا لم يصرف الله الشيطان عنك فلن يستطيع أحد أن يصرفه عنك، والشيطان يُشاركك في كل عمل فيجب عليك أن تلتجئ إلى الله بأن تقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**»، وقد أمرنا الله بذلك في كتابه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]؛ أي: ألتجئ إلى الله.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

● وعلّمنا رسول الله ﷺ كيف نستعيذ بالله من كيد الشيطان؛ فمثلاً في الصلاة إذا كبر الإنسان تكبيرة الإحرام، ودعا بدعاء الاستفتاح يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، مِنْ همزه، ونفخه، ونفثه**»(١).

● وعلّمنا رسول الله ﷺ إذا دخل أحدنا الخلاء أن يقول: «**اللّهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث**»(٢)، نلتجئ إلى الله، إذا دخلنا ذلك المكان؛ لأنه ممتلئ بالشياطين.

وعلّمنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله عند الغضب؛ فإذا غضب الإنسان فعليه أن يلتجئ إلى الله، وأن يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان**

---

(١) **صحيح**: د: (٧٧٥)، ت: (٢٤٢)، حم: (٣/ ٥٠)، مي: (١٢٣٩)، خز: (٤٦٧)، قط: (١/ ٢٩٨)، [«ص.د» (٧٠١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٩٦٣)، م: (٣٧٥).

الرجيم». فقد غضب عند رسول الله رجلٌ فقال ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[(١)].

● وكذلك علّمنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله من الشيطان إذا سمعنا نهيق الحمير، ونباح الكلاب بالليل[(٢)]، وبيّن لنا ﷺ أن الكلاب والحمير ترى الشياطين[(٣)].

● وكذلك إذا قرأ أحدنا القرآن فعليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، هذه يا عباد الله أسلحة تسلّحوا بها لتحموا أنفسكم من كيد الشياطين.

***إخوة الإسلام:* كيف يكون الإنسان منا في يومه وليلته في حصنٍ حصين من كيد الشياطين؟.**

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم احفظنا من كيد الشياطين

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٦٤).

(٢) هذه فائدة استفدتها من شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، بعدما ثبت عنده حديث يقيد ذلك في الليل.

(٣) انظر: «صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص٢٤٤).



كيف يُحصِّن الإنسان نَفْسَه من الشيطان

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الأسلحة التي يجب على المؤمن أن يتسلّح بها ضِدَّ هذا العدو، ومنها:

١ ـ الإخلاص، ٢ ـ العبودية لله وحده، ٣ ـ الالتزام بالكتاب والسنّة علماً وعملاً ومنهجاً، ٤ ـ مخالفة الشيطان في كل ما يأمر به؛ لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر، ٥ ـ الاستعاذة بالله من الشيطان.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن: كيف يُحَصِّنُ الإنسان نفسه في يومه وليلته من الشيطان الرجيم؟ وكيف يحصن الإنسان بيته من الشياطين؟ وكيف يُحَصِّن الإنسان أولاده من الشياطين؟.

أمة التوحيد: الإنسان يحصن نفسه من الشيطان في يومه وليلته بذكر الله؛ فذكر الله يُضْعِفُ الشيطان، ويُقوّي الإيمان، ويُرضي الرحمٰن، وهو الركن المتين والحصن الحصين للمؤمن من الشيطان الرجيم.

ولقد بيّن لنا الرسول ﷺ ذلك، أن الإنسان حين يتحصن بذكر الله يكون كرجل خرج العدو في إثره، فدخل منه في حصن حصين، فتحصّنَ في هذا الحصن من هذا العدو، فالإنسان بذكر الله ﷻ يتحصن بحصنٍ حصين من الشيطان الرجيم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]؛ أي: من يغفل عن ذكر الرحمٰن.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

فذِكْرُ الله له فضل عظيم، ويجب على المسلم أن يتعلم كيف يذكر الله على كل حال، كما جاء عن رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «**ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والورق، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله**»(١).

وقال ﷺ: «**مَثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مَثل الحي والميت**»(٢).

فالرجل الذي يحافظ على ذكر الله ﷻ رجل حي، والرجل الذي غفل عن ذكر الله رجل ميت ـ والمرأة كذلك ـ، والبيت الذي يذكر الله ﷻ فيه بيت عامر، والبيت الذي لا يذكر فيه الله بيت خرب قد عشش فيه الشيطان.

قال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدلَ عشر رقاب وكتبت له مائةُ حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه**»(٣). فتحصّن يا عبد الله بذلك من كيد الشيطان.

وتعالوا بنا ـ يا عباد الله ـ ننظر إلى مثالٍ واحدٍ ليتبين لنا ماذا يفعل ذكرُ الله في الشيطان وعمله، يقول ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقَدُهُ كُلُّها، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٤)، فانظر ـ يا عبد الله ـ كيف يفسد ذكر الله على الشيطان عمله،

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٣٧٧)، حم: (٥/ ١٩٥)، حل: (٢/ ١٢)، [«ص.غ.هـ» (١٤٩٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٤٤).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٤٠).

(٤) **صحيح**: خ: (٣٠٩٦)، م: (٧٧٦).

ولذلك أقول: من ابتلي من الشيطان أو من شياطين الإنس بسحر أو مرض أو غير ذلك فعليه أن ينشغل بذكر الله؛ وعليه أن يلتجئ إلى الله، فالله قادر على أن يبطل عمل الشيطان.

عباد الله! وكما علّمنا الرسول ﷺ أنه إذا قام أحدنا من النوم أن يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[١].

وأن يقول: «**الحمد لله الذي ردّ علي روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره**»[٢].

فإذا قام وذكر الله انحلت عُقْدةٌ، وإذا توضأ وذكر الله ـ ففي أول الوضوء يقول: بسم الله، وفي آخره يقول: أشهد أن لا إله إلا الله ـ انحلت عقدةٌ، فإذا صلّى انحلت الثالثة، فإذا جلس يستغفر الله حتى يطلع الفجر، ثم ذهب إلى المسجد ليصلي صلاة الفجر، فإذا دخل من باب المسجد وقال كما علّمنا ﷺ: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفِظَ مني سائرَ اليوم**»[٣].

فإذا دخل وصلّى الفجر في جماعة، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**من صلّى الفجر فهو في ذمة الله وحسابه على الله**»[٤]؛ أي: في حفظ الله ورعايته، أما الآخر الذي نام ولم يستيقظ حتى الصباح فيقول ﷺ عنه: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[٥].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٩٥٣)، م: (٢٧١١).
(٢) **حسن**: ت: (٣٤٠١)، [«ص.ج» (٧١٦)].
(٣) **صحيح**: د: (٤٦٦)، [«ص.ج» (٤٧١٥)].
(٤) **حسن**: طب: (٨/٣١٨)، طس: (٤/٢٢٩)، [«ص.غ.هـ» (٤٥٨)].
(٥) **صحيح**: خ: (٣٠٩٧)، م: (٧٧٤).

وقال ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء**»[١]، فاحفظوهن ـ يا عباد الله ـ وعلّموهن أولادكم بدل أن تأتوا لهم بالمفسديون، ولن تخسروا مالاً وأنتم تعلمون أولادكم وأهليكم ذلك!!

وقال ﷺ: «**ما من عبدٍ يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلةٍ: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مراتٍ فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ**»[٢].

فإذا خرج الرجل من بيته إلى عمله فذكر الله، فهو في حفظ الله.

قال ﷺ: «**من قال** ـ يعني إذا خرج من بيته ـ: **بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: كُفِيْتَ، وَوُقِيْتَ، وهُديْت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي ووُقي؟**»[٣]، كثير من الناس إذا خرج من بيته ووجد ماءً في الشارع قال: لعل هذا الماء سحر! وهناك بعض الكتب التي ملأت الأسواق، فيها هذا الضلال؛ أنهم إذا أرادوا أن يسحروك صنعوا لك السحر ووضعوه في ماء، ووضعوا هذا الماء على باب البيت فإذا خرجت ووضعت قدمك على هذا الماء سحرت! فاعلم لو أن كل السحرة جاؤوا ووضعوا لك السحر على باب بيتك ثم خرجت فقلت: «**بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٤]، فأنت في حفظ الله، ورعايته فلا تخف.

---

(١) **صحيح**: د: (٥٠٨٢)، ن: (٥٤٢٨)، ت: (٣٥٧٥)، [«ص.ج» (٤٤٠٦)].

(٢) **حسن صحيح**: ت: (٣٣٨٨)، حم: (١/٦٢)، خد: (٦٦٠)، لس: (٧٩)، [«ص.ت» (٢٦٩٨)].

(٣) **صحيح**: د: (٥٠٩٥)، [«ص.غ.هـ» (١٦٠٥)].

(٤) **صحيح**: ت: (٣٤٢٦)، حب: (٨٢٢)، [«ص.ج» (٤٩٩)].

كذلك الإنسان إذا رجع إلى بيته ذكر الله، وإذا جلس على طعامه، ذكر الله فيقول الشيطان لأعوانه: لا مبيت لكم ولا عشاء.

وإذا أراد الإنسان أن يخلع ثيابه فالجن ينظرون إلى عورته، والمؤمن يحافظ على عورته، ويحرص على سترها عن الإنس والجن، أما الفاسقون والمجرمون فإنهم لا يبالون، وما داموا يظهرون عوراتهم للإنس فلن يبالوا بإظهارها للجن!!

وستر العورة من الجن أن يقول الإنسان: (بسم الله)؛ وإذا أراد أن يدخل الخلاء أن يقول: (بسم الله)، وإذا أراد أن يأتي أهله أن يقول: «**بسم الله، اللّهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا**»(١)، وإذا أراد الإنسان أن ينام فليحصن نفسه عند النوم بذكر الله ولينم على طهارة، فالشيطان حينئذٍ لن يدخل في جسد الإنسان ولن ويؤذيه.

يقول ﷺ: «**طهّروا هذه الأجساد طهَّركم الله؛ فإنه ليس عبدٌ يبيتُ طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره لا ينقلبُ ساعةً من الليل إلا قال: اللّهم اغفر لعبدك؛ فإنه بات طاهراً في شعاره**»(٢)؛ أي: على جلده.

ملك ينام معك في داخل الثياب؛ لأنك نمت على طهارة! نعم، فمن أنت يا عبد الله حتى يرسل الله ﷻ لك ملكاً ينام معك في شعارك تحت الثياب.

الأمر الثاني: تقرأ آية الكرسي، فمن قرأها فعليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان؛ قال الشيطان لأبي هريرة: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] -، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب، قول النبي ﷺ: ذاك شيطان**»(٣).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٤١)، م: (١٤٣٤).

(٢) **حسن**: طب: (١٢/٤٤٦)، [«ص.ج» (٣٩٣٦)].

(٣) **صحيح**: خ: (٣١٠١).

الأمر الثالث: قول النبي ﷺ: «**الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه**»[١] (أي: من شر الشياطين)، (وكان ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده: يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات)[٢].

كيف يحصّن الإنسان بيته من الشياطين؟:

١ ـ ذكر الله: إذا جاء الرجل منكم من خارج البيت وأراد أن يدخل فليقل: (بسم الله)، قال ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله ﷻ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**»[٣].

٢ ـ قراءة سورة البقرة: قال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[٤]، وقال ﷺ: «**اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم؛ فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يُقرأُ فيه سورةُ البقرة**»[٥].

٣ ـ نزع الصور المعلقة على الجدران:

يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[٦]، انظروا إلى أحوال المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ وقد حصنوا بيوتهم بالمفسديون!! فيا حسرة على العباد، أهكذا أمرنا رسول الله ﷺ؟!.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٥٣)، م: (٨٠٧). (٢) **صحيح**: خ: (٤٧٢٩).

(٣) **صحيح**: م: (٢٠١٨). (٤) **صحيح**: م: (٧٨٠).

(٥) **صحيح**: ك: (٧٤٩/١)، طب: (١٢٩/٩)، هب: (٤٥٣/٢)، [«ص.ج» (١١٧٠)].

(٦) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

كيف يحصّن الإنسان أولاده من الشيطان؟:

١ ـ يتزوج بامرأة صالحة مسلمة: لقوله ﷺ: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١].

٢ ـ إذا التقى مع زوجته ليلة عرسه فليضع يده على ناصيتها ويدعو... ويصلي بها ركعتين[٢].

٣ ـ إذا جامع زوجته يقول: «**بسم الله، اللّهم جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً**»[٣].

٤ ـ أن يُعَوِّذَ أولاده في كل يوم من الشيطان، ومن العين والحسد، كما فعل ﷺ بالحسن والحسين فقال: «**أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة**»[٤].

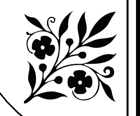
إخوة الإسلام: وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن عالم الجن والشياطين، فمن ترك نفسه بعد ذلك للشيطان فلا يلومن إلا نفسه. ولقد عرفتم أنكم في معركة شرسة مع هذا العدو المبين، فإما أن ينتصر عليك ويدعوك إلى عذاب السعير، وإما أن تنتصر عليه بطاعة الله وذكر الله، فتنجو من عذاب الجحيم، وموعدنا في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ أن نعود للحديث عن الأصل الثالث من أصول العقيدة.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، وعملاً صالحاً متقبلاً

* * *

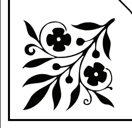
---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٢)، م: (١٤٦٦).
(٢) انظر: كتاب «آداب الزفاف» للشيخ الألباني رحمه الله (ص٢٢).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٢٥)، م: (١٤٣٤).
(٤) **صحيح**: خ: (٣١٩١).



الأصل الثالث

الإيمان بالكتب السماوية







الإيمان بالكتب السماوية

عباد الله!

قلنا فيما سبق أن العقيدة الصحيحة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وقد تكلمنا عن الأصل الأول من أصول العقيدة وهو الإيمان بالله، وعن الأصل الثاني وهو الإيمان بالملائكة، وقلنا: إن عالم الملائكة عالم غيبي نؤمن به ولا نراه، وتكلمنا أيضاً عن عالم الجن والشياطين، وقلنا أنه عالم غيبي نؤمن به ولا نراه.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الأصل الثالث من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بالكتب السماوية.

إخوة الإسلام: الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان. لأن الله ﷻ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ورسولنا ﷺ قال لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

عباد الله: والكفر بالكتب السماوية أو إنكارها أو إنكار واحدٍ منها، كفر بالله تعالى وضلال بعيد؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ

(١) **صحيح**: م: (٨).

وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠]. فالكفر بالكتب السماوية، كفر بالله تعالى وضلال بعيد.

عباد الله: أنزل الله تعالى آدم وحواء وإبليس إلى هذه الأرض ليعيشوا فيها إلى حين بعضهم لبعض عدو، فأنزل الله تعالى الكتب السماوية على أنبيائه ورسله؛ ليبيّن للناس طريق الحق وطريق الضلال، طريق الجنة وطريق النار، طريق الخير وطريق الشر، ليهلك من هلك عن بينةٍ ويحيا من حيّ عن بينة.

فاسمعوا هذه التوجيهات الإلهية إلى بني آدم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله: وإيماننا بالكتب السماوية يكون على وجه الإجمال بأن نؤمن بكل الكتب السماوية ما علمنا منها وما لم نعلم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]. فيجب علينا أن نؤمن بكل الكتب السماوية.

كذلك ـ يا عباد الله ـ من إيماننا بالكتب السماوية أن نؤمن بما ذكر لنا في القرآن عن صحف إبراهيم وموسى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وعن الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣]. وعلينا أن نعلم أن القرآن قد جاء مهيمناً على هذه الكتب، فنؤمن بهذه الكتب بأسمائها؛ لأن الله أخبرنا عنها في كتابه، ولا يجوز أبداً أن نثبت كتاباً لله عز وجل غير ما أخبرنا عنه في كتابه.

عباد الله: ويجب علينا جميعاً أن نعتقد ونؤمن أن هذه الكتب السماوية جميعها جاءت بالحق والهدى والنور، وأنها جميعها تأمر بتوحيد الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته وفي ألوهيته، فمثلاً أخبرنا الله ﷻ في القرآن أنه أنزل التوراة على موسى فيها هدى ونور، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

وأخبرنا الله في القرآن أنه أنزل الإنجيل على عيسى فيه هدى ونور، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

ومع هذا نؤمن كذلك أن الله أنزل القرآن العظيم مهيمناً على هذه الكتب ومصدقاً لما جاء فيها قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة: ٤٨].

ونؤمن أيضاً بأن الله ﷻ حفظ هذا القرآن من التبديل والتحريف؛ لأن القرآن هو دستور الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

عباد الله: ونؤمن أن ما وقع في الكتب السماوية عدا القرآن من التحريف والتبديل إنما هو من فعل البشر وما أنزل الله به من سلطان.

فمثلاً: ما وقع في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل إنما هو من فعل اليهود والنصارى، والله ﷻ أخبرنا في كتابه أن اليهود حرَّفوا

التوراة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، إذاً التحريف الذي وقع في التوراة هو من صنع اليهود.

وكذلك أخبرنا الله في كتابه أن النصارى حرَّفوا الإنجيل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٤، ١٥].

إذاً جاءت كل الكتب السماوية بالحق والهدى والنور تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك.

عباد الله: ومن التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وأن النصارى قالت: المسيح ابن الله، والله ﷻ كذّبهم في القرآن وبيّن لهم العقيدة الصحيحة في ذلك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]. فكذبهم الله بما قالوا: إذ نسبوا إليه الولد، فتعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

ومن التحريف والتبديل الذي أوقعته النصارى في الإنجيل أنهم

قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم فكذّبهم الله، ورد عليهم ما قالوا وكفَّرهم بما قالوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ومما حرّفته النصارى أيضاً قولهم: إنَّ الله ثالث ثلاثة، فكفّرهم الله بقولهم ذلك؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

والله ﷻ صوَّب ما قالوا في كتابه، وبيَّن أنه ما اتخذ ولداً ولا صاحبة، وأن عيسى ابن مريم رسول قد خلت من قبله الرسل، وأنه عبد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وعيسى عليه السلام قال لقومه: اعبدوا الله ربي وربكم؛ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار.

إخوة الإسلام: لا يوجد على وجه الأرض كتابٌ خالٍ من التحريف والتبديل إلا القرآن، فاحمدوا الله ﷻ أن جعلكم من أمة القرآن، واسألوا الله أن يحفظكم بالقرآن، ويحفظ لكم القرآن، ومع القرآن ـ إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية ـ نعيش في الجمعة القادمة.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن

اللّهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار،

لعلك ترضى يا ذا الجلال والإكرام



مع القرآن الكريم

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الأصل الثالث من أصول العقيدة وهو الإيمان بالكتب السماوية، وقلنا: إن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، وقلنا: إن من كفر بهذه الكتب أو بواحدٍ منها، فقد كفر بالله تعالى وخرج عن ملة الإسلام.

لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقلنا: إنه يجب على المؤمن أن يؤمن بكل الكتب السماوية ما علم منها وما لم يعلم، وأن يؤمن كذلك بما ذكر لنا في القرآن؛ كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل، ويجب على المؤمن أيضاً أن يؤمن بأن هذه الكتب جاءت جميعها بالحق والهدى والنور إلى الناس، وأن ما وقع فيها من التحريف والتبديل إنما هو من فعل البشر.

ومِنْ ذلك ما وقع في التوراة من تحريف وتبديل فهو من فعل اليهود، وما وقع في الإنجيل من تحريف وتبديل فهو من فعل النصارى، وقد بيّن الله لنا ذلك في القرآن، وبيّن ما حرَّفوه، وأنزل الصحيح في الكتاب الذي بين أيدينا وهو القرآن الكريم.

عباد الله: **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع القرآن الكريم.**

أمة الإسلام: نُبيّن الآن عقيدتنا في القرآن الكريم، والتي نَدين لله بها ونموت عليها إن شاء الله:

أولاً: نؤمن أن القرآن الذي بين أيدينا هو الكتاب الوحيد الذي لم يصله التبديل أو التحريف، أو التغير، أو الزيادة أو النقصان؛ لأن الله ﷻ تعهَّد أن يحفظه بنفسه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

فعقيدتنا أن القرآن الذي بين أيدينا والذي يبدأ بالفاتحة وينتهي بسورة الناس جميعه هو كلام الله، ولا يستطيع أحد أيّاً كان أن يزيد عليه حرفاً أو آية وإن فعل؛ فإن حفّاظ القرآن في كل مكان يردون عليه ما يقول، فقد منَّ الله ﷻ على كثير من عباده المؤمنين بحفظ كلامه في صدورهم وهم يتلونه آناء الليل وأطراف النهار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فالحمد لله الذي حفظ لنا القرآن، وإلا لأصبح عندنا كما عند اليهود والنصارى الكثير من نسخ القرآن، ولكن والحمد لله إذا ذهبت إلى أي مكان في الدنيا تجد أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفسُهُ محفوظ بحفظ الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: نؤمن أن القرآن هو الكتاب الوحيد الهادي للناس جميعاً في كل زمان ومكان، فالتوراة نزلت لليهود فقط، والإنجيل نزل للنصارى فقط، ولكن القرآن نزل للبشرية بأسرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ بل نزل للإنس والجن، وأما أولئك الذين يقولون: إن تحكيم القرآن لا يصلح لهذا العصر بما فيه من تقدم وحضارة!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

قال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن: ١، ٢].

ثالثاً: أننا نعتقد (أنه كلام الله بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر)(١).

رابعاً: نعتقد أنه كلام الله نزل به جبريل الأمين على رسولنا ﷺ الصادق الأمين بلسان عربي مبين، ليقوم رسول الله ﷺ بتبليغه للناس أجمعين استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: ٦٧]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]. فالقرآن ما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون فإنهم عن السمع لمعزولون.

خامساً: ونعتقد أن في القرآن نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، من قال بالقرآن صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِرْ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم.

سادساً: نعتقد أن من تمسّك به وعمل بمقتضاه فلا يضل في الدنيا أبداً، ولا يشقى في الآخرة، ومن تركه وأعرض عنه عاش في الدنيا عيشة ضنكاً، وحُشر يوم القيامة أعمى.

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص٢٤).

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[(١)].

سابعاً: أنه نور نزل من عند الله لينقل البشرية من الظلمات إلى النور. فالبشرية في ظلمات بعضها فوق بعض: ظلمات الجهل، ظلمات الشرك، ولا يخرجون من هذه الظلمات إلا بالقرآن الكريم الذي لا غنى له عن السنّة بفهم سلف الأمة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فأين تذهبون يا أمة الإسلام، أين تركضون؟ أخلف حضارة الكفار تركضون؟!.

ثامناً: أنه يهدي إلى أقوم الطرق: في العقيدة، والعبادات، والأحكام، والمعاملات، والأخلاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

تاسعاً: أنه إذا قرىء في بيت طرد الشياطين منه، قال ﷺ: «**لا**

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[١].

عاشراً: أنه إذا قُرىء نزلت لسماعه الملائكة، قال ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٢].

وقال ﷺ: «**إن العبد إذا تسوّك ثم قام يُصلّي، قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه ـ أو كلمة نحوها ـ حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهّروا أفواهكم للقرآن**»[٣].

الحادي عشر: أن مَن تعلّمه، وعلّمه للناس ـ يبتغي به وجه الله لا يريد به رياءً ولا سمعة ـ كان من خير الناس.

قال ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[٤].

ومن عمل به وتمسك به رفع الله منزلته على الناس، قال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**»[٥]، والدليل أيضاً على أن الله يرفع به أقواماً:

قوله ﷺ: «**يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله..**»[٦].

وقوله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»[٧].

---

(١) **صحيح**: م: (٧٨٠).

(٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

(٣) **حسن صحيح**: بز: (٢/ ٢١٤)، عب: (٢/ ٤٨٧)، هب: (٢/ ٣٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢١٥)].

(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩).

(٥) **صحيح**: م: (٨١٧).

(٦) **صحيح**: م: (٦٧٣).

(٧) **صحيح**: د: (١٤٦٤)، ت: (٢٩١٤)، حم: (٢/ ١٩٢)، حب: (٧٦٦)، ش: (٦/ ١٣١)، [«ص.ج» (٨١٢٢)].

عباد الله: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. لماذا أنزله الله إلينا؟ ليقرأ على المقابر؟! ليقرأ على الأموات؟! ليقدم هدية في المناسبات؟! ليقبَّل قبل القراءة وبعدها؟!.

الجواب: لا، ولكن ليُنذر من كان حياً، فهو دستورٌ ومنهاجٌ للحياة، ولذلك فإن الصحابة لما تمسّكوا وعملوا بالقرآن أعزهم الله بالقرآن، أما نحن فقد تركنا القرآن وراءنا ظِهْرِيّاً وأقبلنا على الدنيا وعلى المفسديون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

تذكّروا أن الرسول ﷺ يشتكي ويقول: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

إخوة الإسلام: كلٌّ منا ينظر إلى المفسديون في بيته، وإلى القرآن، أيُّهما يُهتم به أكثر؟ أَيهما هو أكثر عكوفاً عليه؟ أيهما يدفع عليه مالاً أكثر؟ إلى أيهما يستجيب؟ لو سألتم لوجدتم أن الأمة الإسلامية عكفت وأقبلت على المفسديون أكثر من كتاب الله، فانتظروا الدمار الذي أخبر عنه الرسول ﷺ، إن لم نعد إلى كتاب ربنا قال ﷺ: «**إذا زخرفتم مساجدكم وحلَّيتم مصاحفكم، فالدمار عليكم**»(١).

ما واجبنا نحو القرآن؟

١ ـ أَنْ نفهم ما جاء فيه وَأَنْ نتدبّره.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، فالتذكّر يأتي بعد التدبّر، لكن كثير من المسلمين يقرأ القرآن ويقبِّله ويدَّعي أنه من أهله، لكنك تراه يقرأ آيات الربا ولا ينتهي عن الربا، ويقرأ آيات التبرج ويسمح لامرأته بالتبرج، يقرأ آيات الحجاب ولا يأمر بالحجاب...، وقد عاب الله على من لا يتدبّرون

---

(١) **حسن**: عب: (٣/ ١٥٤)، [«ص.ج» (٥٨٥)].

القرآن فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

٢ ـ على المؤمنين أن يعملوا بالقرآن، فإذا أمرهم اللهُ فيه ائتمروا، وإذا نهاهم انتهوا.

انظروا إلى الصحابة الذين فتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها لما نزلت آيات الخمر، وكانوا يشربونها ويخزنونها في بيوتهم، فلما نزلت ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أراقوا الكؤوس من أيديهم على الأرض، وسكبوا ما عندهم وقالوا: انتهينا ربنا.

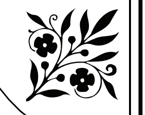
ولما نزلت آية الحجاب فقرأها الرسول ﷺ على الصحابة، ثم رجعوا إلى بيوتهم فقرأ كل منهم الآية على ابنته وزوجته وأمه وأخته احتجبن جميعاً.

فمتى نعود إلى كتاب ربنا؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

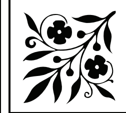
اللّهم ردّ المسلمين إلى كتابك ردّاً جميلاً
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

* * *



الأصل الرابع

الإيمان بالرسل







الإيمان بالرسل

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية عن الإيمان بالكتب السماوية وقلنا: إن الله ﷻ أنزل هذه الكتب فيها الهدى والنور لترشد إلى طريق النجاة. وقلنا: إن ما وقع في هذه الكتب من التغيير والتبديل هو من فعل البشر كما وقع في التوراة وهو من فعل اليهود، وكما وقع في الإنجيل وهو من فعل النصارى، وقد بيَّن الله في كتابه العزيز ما أوقعوه من التحريف والتبديل. وقلنا في الجمعة الماضية: إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الخالي من التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان؛ لأن الله ﷻ تكفّل بحفظ القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقلنا أيضاً: إن هذا القرآن هو كلام الله وليس بمخلوق، من الله بدأ، وإليه يعود، أنزله الله بواسطة جبريل الأمين على قلب نبينا محمد ﷺ بلسان عربي مبين؛ ليكون به من المنذرين. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

ونزل هذا القرآن كما قلنا: لينقل الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور لا ليُقرأ على الأموات، ولا ليُقرأ على المقابر، ولا ليقدم كهدية في المناسبات، إنما هو منهج حياة للبشرية يسعدون بتطبيقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالقرآن نور لهم؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم مع الأصل الرابع من أصول العقيدة، ألا وهو الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول العقيدة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ورسولنا ﷺ لمّا سُئل عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

عباد الله: الكفر بالرسل هو كفر بالله تعالى، وضلال بعيد؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿...وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فمن آمن بالله وملائكته وكتبه، وآمن بالحساب والبعث والنشور، ولكن كفر بالرسل، فهو كافر بالله خارج عن ملة الإسلام.

ومن آمن برسولٍ وكفر بالآخرين، فهو من الكافرين بنص القرآن الكريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

ومن كذّب برسولٍ واحد فقد كذّب بكل الرسل، قال ـ تعالى ـ عن قوم نوح: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال ـ تعالى ـ عن قوم هود: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال ـ تعالى ـ

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

عن قوم ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١].

فمثلاً من آمن بكل الرسل وكفر بموسى، فهو كافر بكل الرسل خارج عن ملة الإسلام، وكذلك حكم من يكذبون بعيسى ومحمد ﷺ. أما نحن معشر المسلمين فإننا نؤمن بكل الرسل بموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وكل الرسل.

إخوة الإسلام: الله ﷻ رحيم بعباده وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل إلى الناس؛ ليبيّنوا لهم طريق الهدى وطريق الضلال، طريق الجنة وطريق النار، طريق الخير وطريق الشر، وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، لأجل ذلك كله أرسل الله ﷻ في كل أمة رسولاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٥].

إخوة الإسلام: وعقيدتنا معشر المسلمين في الرسل: أنهم من البشر وأنهم ليسوا بآلهة، ولا هم من الملائكة، وإذا كان الأمر كذلك ـ أن الرسل من البشر ـ فهم يمرضون، ويأكلون، ويشربون، ويمشون في الأسواق، ويتزوجون، ويموتون، ويتعرضون للأمراض والمحن والابتلاءات، كما يتعرض إليه سائر البشر.

والدليل من كتاب ربنا على أن الرسل من البشر، قول الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال ـ تعالى ـ

على لسان إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء: ٧٩].

وكذلك فإن الرسل يتزوجون ويتناسلون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨].

ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «**لكني أصوم، وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني**»[(١)]. وهذا إبراهيم يقول في دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠]، هذا دليل على أن الرسل لهم ذرية، ويعقوب عليه السلام وهو في مرض الموت يدعو أولاده فيقول لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وزكريا عليه السلام الذي قال الله ـ تعالى ـ عنه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

وكذلك فإن الرسل يموتون كما يموت البشر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فهذا هو رسولنا ﷺ نام في فراش الموت ووعك وعكاً شديداً، فدخل عليه عبد الله بن مسعود فقال: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً ـ أي: تتألم ـ، فقال ﷺ: «**أجل إني أوعك كما يُوْعَكُ رجلان منكم**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٦)، م: (١٤٠١).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٣٢٤)، م: (٢٥٧١).

واذكروا أيوب عليه السلام في مرضه وابتلائه في تلك السنين الطويلة، حتى إن الله عز وجل قال عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

فالأنبياء والرسل يمرضون، ويتعرّضون للبلاء، فمنهم من سُجن مثل يوسف عليه السلام، لبث في السجن بضع سنين، ويونس عليه السلام سجن في بطن الحوت، في سجنٍ ما سجن فيه أحد، وإبراهيم عليه السلام يُقيد بالحديد ويوضع في النار، ورسولنا صلى الله عليه وسلم ضُرب بالحجارة حتى أدميت قدماه.

ومنهم من يتعرضون للمحن والطرد من بلادهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

فإبراهيم عليه السلام يهاجر من أرضه إلى أرض أخرى فراراً بدينه.

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يخرج من مكة ـ وهي أحب بقاع الأرض إلى قلبه ـ، ويقول: «**لولا أني أُخرجت منك ما خرجت**»[1].

فعقيدتنا في الأنبياء والرسل أنهم من البشر، ولكن الله عز وجل أعلم حيث يجعل رسالته، فاختار الأنبياء من أفضل وأصدق وأحسن البشر، على خُلق عظيم، اختارهم الله لرسالته وليبلغوا الناس هذا الدين، وهذا عمل لا يقدر عليه إلا الرجال.

إخوة الإسلام:

انفرد الأنبياء والرسل عن البشر ببعض الأمور التي جاءت في الكتاب والسنّة:

أولاً ـ الوحي: اختص الله عز وجل أنبياءه ورسله بأن أوحى إليهم من دون

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٩٢٥)، هـ: (٣٠١٨)، حم: (٤/ ٣٠٥)، [«ص.ج» (٧٠٨٩)].

سائر البشر، قال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧].

والوحي من الله ﷻ لرسله يكون على صور ثلاث، كما ذكر في الآية الكريمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

الصورة الأولى ـ الوحي المباشر من الله ﷻ لرسوله ﷺ:

ويكون ذلك بأن يلقي الله ﷻ في روع النبي ما يريد، فيعلم هذا النبي أن ما يقع في روعه وقلبه إنما هو من الله، أو يأتيه ذلك في المنام كما جاء الأمر لإبراهيم عليه السلام عندما أُمر بذبح إسماعيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

الصورة الثانية ـ أن يتكلم الله ﷻ مع رسوله من وراء حجاب:

كما فعل ذلك مع موسى عليه السلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وكما فعل ذلك مع رسولنا ﷺ ليلة المعراج.

الصورة الثالثة ـ أن يرسل الله ﷻ ملكاً من الملائكة إلى رسوله من البشر:

كما كان يأتي جبريل عليه السلام بالوحي إلى رسولنا ﷺ، إذاً انفرد الأنبياء عن البشر بأنهم يوحى إليهم، وإذا كان الأمر كذلك فإنهم يطلعون بذلك على بعض أمور الغيب؛ كعذاب القبر، والجنة والنار، وما سيكون يوم القيامة، وهذا مما يوحيه الله إليهم وليس من عند أنفسهم، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله.

ثانياً ـ العصمة: أجمعت الأمة الإسلامية على أن الأنبياء والرسل معصومون في تحمل الرسالة، وفي تبليغ الرسالة، فالله عصمهم فبلّغوا الرسالة كما جاءت من عند الله، وأدّوا الأمانة كما جاءتهم من الله، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى لقوا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

أما ما وقع منهم من أمور تقع من البشر فهي لا تقدح في عصمتهم أبداً، وإنما وقعت منهم لأنهم بشر، ولكنهم ما أخطأوا أبداً في تبليغ الرسالة، ولا في الدعوة إلى الله.

ثالثاً ـ أنهم إذا ناموا تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

يقول ﷺ: «**إنّا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**»(١)، ويقول ﷺ: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**»(٢).

رابعاً ـ أنهم إذا مرضوا مرض الموت خُيِّروا بين الدنيا والآخرة:

يقول ﷺ: («**ما من نبي يمرض إلا خيِّر بين الدنيا والآخرة**»، ـ تقول عائشة رضي الله عنها ـ: وكان في شكواه ـ يعني الرسول ﷺ ـ الذي قُبض فيه أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ [النساء: ٦٩]، ـ تقول ـ: فعلمت أنه خُيِّر)(٣). فاختار الرفيق الأعلى.

خامساً ـ أنهم يُدفنون في المكان الذي يموتون فيه:

فما من نبي يموت إلا دفن في المكان الذي مات فيه، ولذلك أجمع الصحابة على دفن الرسول ﷺ في غرفة عائشة؛ لأنه مرض في غرفة عائشة، وقبض فيها فدفن ﷺ في غرفة عائشة.

---

(١) **صحيح**: رواه الإمام مالك في الموطأ (رواية محمد بن الحسن) (١/٣٥٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (١/١٧١)، [«ص.ج» (٢٢٨٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٣٧٦).

(٣) **صحيح**: خ: (٤٣١٠).

لتعلموا ـ يا عباد الله ـ أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لم يدفن في داخل المسجد ولم يُبْنَ المسجد على قبره، وليعلم ذلك الذين يكذبون على الرسول، وليعلموا أيضاً أن الرسول بريء من كل إنسان دُفِنَ في مسجد برضاه، أو أَوصى أن يدفن في مسجد؛ فإن ذلك حرام، قال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

سادساً ـ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء:

قال ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٢)، فإذا مات النبي أو الرسول ودفن في الأرض بقي كما هو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعلينا أن نؤمن ونعتقد بأن رسولنا ﷺ بقي كما هو، وهو ميت بجسده كامل في قبره لا تأكل الأرض جسده إلى يوم القيامة.

سابعاً ـ أنهم أحياء في قبورهم:

يقول ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**»(٣)، ويقول ﷺ: «**مررت على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**»(٤)، ولكن كيف تكون هذه الحياة؟ الله أعلم، كيف يصلّون؟ الله أعلم، حياة برزخية، عالم غيبي ونحن نؤمن بذلك دون أن نفكر في كيفية هذه الحياة، ولا في كيفية هذه الصلاة؛ فإنها تختلف عن هذه الحياة التي نعيشها. إذاً فالأنبياء والرسل بشر وليسوا آلهة، كما قال بعض الناس عن بعض الرسل: إنه إله، ويوم القيامة يوقف الله ـ جلَّ وعلا ـ هذا الرسول أمام الذين قالوا عنه: إنه إله ـ والله يعلم أنه ما قال لهم: إني إله ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٢٤)، م: (٥٢٩).

(٢) **صحيح**: ن: (١٣٧٤)، هـ: (١٦٣٦)، حم: (٤/٨)، مي: (١٥٧٢)، خز: (١٧٣٣)، ك: (٤/٦٠٤)، طب: (١/٢١٦)، طس: (٥/٩٧)، [«ص.ج» (٢٢١٢)].

(٣) **صحيح**: ع: (٦/١٤٧)، [«ص.ج» (٢٧٩٠)].

(٤) **صحيح**: م: (٢٣٧٥).

مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

وعيسى عليه السلام ما قال، فهو بريء، وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة الإسلام، ثم يموت كما تموت الرسل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]، وما من رسول إلا قال: لا أعلم الغيب، ولا أقول: عندي خزائن الله، ولا أقول لكم: إني ملك.

ولكن هناك من جهلة المسلمين الآن من يقول: إن هناك من الأولياء والصالحين من يتحكم في الكون! مع أن الرسول ﷺ ـ وهو أحب الخلق إلى الله ـ يقول: لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً! فالرسل ليسوا آلهة ولا ملائكة وإِنما هم بشر أرسلهم الله إلى البشر.

نسأل الله العظيم أن يفقِّهنا في ديننا



٣٦

لماذا أَرسل الله الرسل إلى البشرية؟

عباد الله!

في الجمعة الماضية بدأنا الحديث عن الأصل الرابع من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بالرسل، وقلنا: إن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة. وقلنا: إن من كفر برسول واحد فقد كفر بكل الرسل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، وقلنا أيضاً: إن الله ﷻ أرسل رسله من البشر، وكانوا جميعاً من الرجال.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الإجابة على سؤال مهم، ألا وهو: **لماذا أرسل الله الرسل إلى البشرية؟**.

أولاً ـ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده:

وهذه هي الوظيفة الأساسية؛ بل هي المهمة الكبرى التي من أجلها أرسل الله الرسل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فما من أمة إلا خلا فيها نذير يقول لهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، يا قوم إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون، فهو يدعو

الناس إلى عبادة الله، يعرِّفهم بخالقهم، ويأمرهم أن يعبدوه وحده، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

ثانياً ـ ليبلّغوا الناس دين الله:

فالله ﷻ أوحى إلى رسله بتبليغ الرسالة، فهم يقومون بتبليغها دون زيادة ولا نقصان؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

ـ وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا التزم بما نزل من الله على رسوله من كتاب وسنّة صحيحة وبلّغها إلى الناس؛ فإن الله ﷻ يحفظه من الناس، ومن أذى الناس له، ويتولى الدفاع عنه ـ وقال ـ تعالى ـ عن نوح عليه السلام عندما دعا قومه إلى عبادة الله، فقالوا له: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦٠ ـ ٦٢]، وقال ـ تعالى ـ عن صالح عليه السلام عندما كذبه قومه فأهلكهم الله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال ـ تعالى ـ عن شعيب عليه السلام عندما كذبه قومه فأهلكهم الله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩٣].

فالرسل جميعاً يقولون: لقد بلّغناكم رسالة الله ونصحناكم.

إخوة الإسلام: والبلاغ يحتاج إلى جرأة وشجاعة وتوكل على الله وحده؛ ولذلك وصف ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسله بأنهم لا يخافون إلا الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

أمة الإسلام: كيف يبلِّغ الرسول ما أُنْزِل إليه؟:

يكون ذلك بأن يتلو عليهم ما أُنزل إليه من ربه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

ويبيّن الرسول للناس ما نُزِّل إليهم لعلهم يتفكرون، قال ـ تعالى ـ: ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، ويكون بيان الرسول للناس بالقول والعمل والتقرير.

عباد الله: إذا تولى الناس عن الرسول فما على الرسول إلا البلاغ، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

لا إكراه في الدين. الدين أمامكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وما على الرسول إلا البلاغ، وكذلك ما على الدعاة إلا البلاغ، فعليهم أَن يقولوا: هذا هو طريق الجنة، وهذا هو طريق النار، هذا هو طريق الهُدى، وهذا هو طريق الضلال.

ثالثاً ـ ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور:

فالناس بدون الرسل في ظلمات بعضها فوق بعض، فالناس في ظلمات الكفر والشرك وظلمات الجهل والضلال. فبيَّن الله أنه أرسل الرسل ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ

صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

ينير الطريق لمن أراد أن يسلك طريق الهداية، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فالرسل جاؤوا إلى البشرية لينقلوهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

فانظروا معي ـ يا عباد الله ـ إلى العالم في هذا الزمان العجيب، فلقد وصل إلى ما وصل من التقدم والحضارة ومع ذلك فالناس يتخبطون في الظلمات، لِمَ؟ لأنهم سلكوا طريقاً غير طريق الرسل؛ لأنهم لم يستجيبوا للرسل؛ فتجد في كل مكان: قتل ودمار وأمراض، لا يدري المقتول لِمَ قُتل؟ ولا يدري القاتل لم قَتَل؟ انتحار، زنا، خمر، ضنك والسبب: أنهم سلكوا طريقاً ابتدعته عقولهم وأفكارهم، فهل تقدموا؟ نعم ولكن فقط في الدنيا، هل هم في سعادة؟ الجواب: لا؛ لأنهم مع تقدُّمهم في الدنيا إلا أن قلوبهم مظلمة فهم في الظلمات يتقلبون.

رابعاً ـ ليبشروهم وينذروهم:

فالله ﷻ أرسل رسله إلى الناس ليبشروا المؤمنين الطائعين بخير الدنيا والآخرة، وينذروا العصاة والمجرمين بعذاب الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ** ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨].

فالله ﷻ أرسل رسله ليبشروا المؤمنين الطائعين بأن لهم حياة طيبة في الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فالحياة الطيبة تكون في ظل الأعمال الصالحة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

وكذلك وعد الطائعين بالتمكين في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. **هذا في الدنيا**.

أما في الآخرة: قال ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨]، الحسنى هي: الجنة التي فيها النعيم، وجاء الرسل أيضاً لينذروا العصاة والمجرمين بالضنك في الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، والضنك الذي فيه الناسُ اليوم هو بسبب إعراضهم عن طريق رُسُلِ الله، فالرسل ينذروهم ويخوِّفوهم بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، صواعق من الله، زلازل من الله، إنذارات؛ لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله. **هذا في الدنيا**.

أما في الآخرة: فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]، فهنيئاً لمن استجاب للرسول فسوف يحيا حياة طيبة ويُمَكَّن

في الأرض، ثم يوم القيامة يفوز بجنة عرضها السمٰوات والأرض. ولقد خاب وخسر من عصى الله ورسوله.

خامساً ـ ليُقيموا حجة الله على الناس؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة: قال ـ تعالى ـ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فمن رحمة الله بعباده، وحتى لا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة، فإنه: ما من أمة إلا خلا فيها نذير، لِمَ؟ لأن الله لو أهلك الناس في الدنيا بعذاب قبل أن يرسل إليهم رسولاً ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

ولكن حتى لا يكون لهم على الله حجة، فما من أمة إلا خلا فيها نذير؛ يدعوهم إلى عبادة الله، ولذلك هناك يوم القيامة وفي أرض المحشر ما من أمة تعرض على الحساب إلا ومعها رسولها الذي أُرسل إليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. وإذا أنزل الله عذابه في الدنيا على قوم فإنهم سيعترفون بأنهم هم الظلمة وأَنهم يستحقون من الله ذلك العذاب، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٤، ١٥].

فهم قد اعترفوا في الدنيا أنهم ظلمة؛ لأنهم أعرضوا عن طريق رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وهناك على أبواب جهنم وفي جهنم سيندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ٨ ـ ١٠]، وقال ـ تعالى ـ عن

العصاة والمجرمين وهم في النار: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١]، فهم يعترفون في داخل جهنم أن النار أحق بهم من الجنة؛ لأنهم يعلمون أنهم أعرضوا عن رسل الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

إخوة الإسلام: كيف دعا الأنبياء الناس إلى الله؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

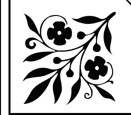
اللّهم ردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله

من نوح إلى عيسى عليهم السلام







مزايا دعوة الرسل عليهم السلام

عباد الله!

قلنا في الجمعة الماضية: إن الله ﷻ أرسل رسله إلى الناس:

أولاً: ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده.

ثانياً: ليبلّغوا دين الله للناس.

ثالثاً: ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

رابعاً: ليبشّروا المؤمنين الطائعين بسعادة الدنيا والآخرة، وينذروا العصاة والمجرمين بعذاب الدنيا.

خامساً: ليقيموا حجة الله على الناس؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ **مع دعوة الرسل**.

عباد الله: ما من أمة إلا خلا فيها نذير أرسله الله ﷻ ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده، ولقد أمرنا الله ﷻ أن نتأسّى بالأنبياء في دعوتهم.

قال ـ تعالى ـ في كتابه بعد أن ذكر أنبياءه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله: ودعوة الأنبياء تمتاز بمزايا أذكرها لكم في هذا الزمن العجيب؛ لأن الذكرى تنفع المؤمنين ولعلنا نعود إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فقد كثرت الفتن والضلالات.

فإليكم منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ودعوتهم تمتاز بما يلي:

○ **أولاً: أن دعوتهم ربانية:**

أي: ليست من عند أنفسهم، ولا من هواههم؛ بل دعوة الأنبياء وحي من الله، فالله ﷻ إذا أرسل رسولاً إلى الناس أوحى إليه برسالة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، ويقول ـ تعالى ـ عن رسوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

ولذلك عندما دعا الرسول ﷺ أهل مكة إلى عبادة الله وحده، قال الكفار: ائتنا بقرآن غير هذا أو بدّله؛ فقال لهم الرسول ﷺ: لا ينبغي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إليّ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

فالرسول ﷺ لا يستطيع أن يبدل آية مكان آية؛ لأن هذا وحي من الله.

ولما كانت دعوة الأنبياء وحياً من الله فإنهم لا يرضون ولا يقبلون تنازلاً في أمر من أمور الدعوة، لذلك عندما دعا الرسول ﷺ كفار مكة إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام حاولوا أن يقدموا له من أمور الدنيا وهم يظنون أنه سيتخلى بذلك عن دعوته، قالوا له: يا محمد، نجمع لك

مالاً لتصبح أغنانا، وقالوا: نجعلك علينا كبيراً ـ أي: ذا منصب من مناصب الدنيا ـ يا محمد، نزوجك بما تشاء من نساء الدنيا.

فرفض ﷺ ولم يقبل شيئاً من ذلك، لِمَ؟ لأن دعوته وحي من الله. فعادوا إليه ـ يضعون حلاً يُرْضي الطرفين كما يفعل أهل الدنيا ـ يتفاوضون ليقدم كل منهم تنازلاً ليصلوا إلى حلٍّ، ولكن الرسول ﷺ لا يقبل حلّاً وسطاً ولا تنازلاً. قالوا: يا محمد، نعبد إلٰهك يوماً، وتعبد آلهتنا يوماً آخر! فماذا كان من رسول الله ﷺ؟ جاءَه الوحي من فوق سبع سماوات بالجواب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٤، ٦٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

فهي إذاً دعوة ربانية، يبلغون ما جاءهم به الوحي؛ أي: أنهم لا يفترون على الله كذباً ولا يبدلون ولا يغيِّرون، فإذا أوحى الله ﷻ إلى رسوله: أن الربا حرام، كان واجباً على الرسول أن يبلغ الناس أن الربا حرام، لا يستطيع أبداً أن يقول: هذا النوع من الربا حلال، وهذا حرام، كما نسمع الآن في هذا الزمان الذي يقولون فيه: إن الربا حلال، ويسمّونه بالفوائد، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

فنقول: يا معشر الدعاة، عليكم بالكتاب والسنّة.

قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

○ **ثانياً ـ أنهم لا يطلبون أجراً على دعوتهم:**

يا معشر الدعاة، الأنبياء لا يطلبون أجراً، ولا يريدون بدعوتهم دنيا.

فيا ويل من طلب بدعوته مالاً، أو طلب أن يكون وجيهاً عند الناس، فإن الأنبياء كل منهم حرص أن يكون عند الله وجيهاً، فما من نبي جاء إلى قومه إلّا قال بأعلى صوته وعلى الملأ:

يا قوم، لا أسألكم عليه مالاً؛ إن أجري إلا على الله، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٢٩].

وهذا هود يقولها صريحة: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١].

وهذا رسولنا ﷺ يقول الله له: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [الفرقان: ٥٧].

فالأنبياء جميعاً يطلبون الأجر من الله، ويوم أن أصبحت الدعوة مناصب، وأصبح الداعية لا يدعو إلا بمقابل، فهذا حالنا: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

الدعوة فرض وواجب على كل إنسان بحسب استطاعته، وعليه ألا يأخذ عليها مالاً؛ بل يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، (لِمَ؟)؛ لأن ما في الدنيا ينفد، وما عند الله باقٍ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون.

○ **ثالثاً ـ البساطة في الدعوة وعدم التكلف:**

فالأنبياء يخاطبون الناس على قدر عقولهم ولا يسلكون طرق التعقيد، إنما يسلكون طريق الحكمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وها هو رسولنا ﷺ يقول: وما أنا من المتكلفين.

فلقد كان ﷺ يتلو القرآن على الناس، فيدخلون في دين الله، وكان ﷺ يأتيه الرجل الذي يحب المال فيعطيه مالاً كثيراً فيسلم الرجل ويرجع إلى أهله ويقول لهم: أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر.

وهذا إبراهيم عليه السلام في مناظرته مع النمرود، وفي منتهى البساطة يقضي على النمرود من اللحظة الأولى، عندما يخاطب العقل والفطرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالدعوة تسلك طريق الفطرة، بلا تكلفَ، ولا تعقيد.

○ **رابعاً ـ أنها واضحة الغاية والمنهج:**

فهم لا يخفون شيئاً عن الناس كما تفعل كثير من الجماعات.

يقول الرسول للناس: هذه سبيلي أدعو إلى الله.

كما أمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالغاية: هي الدعوة إلى الله، لا أدعو إلى حزبية، ولا إلى وطنية، ولا إلى حميَّة، ولا إلى جماعة، إنما أدعو إلى الله على بصيرة؛ على علم أنا ومن اتبعني.

وهذا رسولنا الكريم ﷺ يوضح ذلك عملياً، فيخط خطاً يوماً طويلاً ويقول: هذا سبيل الله الذي نسلكه، ويخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً

قصيرة، ويقول: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، فوضَّح السبيل للملأ، قال عبد الله بن مسعود ﵁: (خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيماً**» قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ . . .﴾ الآية)[1] [الأنعام: ١٥٣]. ووضح ﷺ المنهج الذي علينا أن نسلكه فقال: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: ما هي يا رسول؟ **قال:** «**ما أنا عليه وأصحابي**»[2].

وقال ﷺ لأصحابه عندما قالوا له: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا.

قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّرَ عليكم عبدٌ؛ وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[3].

فوضَّح الرسول ﷺ السبيل، ووضح المنهج، وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال.

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

فقد رضي الله عن الذين سلكوا سبيله، ورضوا عنه.

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٦٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٣٤٨)، لس: (٢٤٤)، بز: (٥/ ١١٣)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، حب: (٨/ ١٥٢)، حل: (٩/ ٢٤٢)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، ك: (١/ ١٧٦)، طب: (١٨/ ٢٤٨)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

○ **خامساً ـ أَنهم لا يتطلعون ـ وهم يدعون الناس ـ إلى الدنيا؛ بل يتطلعون إلى رضى الله والجنة:**

لأنهم إذا تطلعوا إلى الدنيا ركنوا إليها، وتركوا العمل للآخرة، كما هو حالنا الآن ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ وقليل ما هم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ [طه: ١٣١].

فالدنيا زهرة، والزهرة سرعان ما تذبل.

عباد الله: الدنيا غرَّارة خدَّاعة، ولذلك لما طلب أزواج الرسول ﷺ من رسول الله أن يوسع عليهن في النفقة فقلن: (يا رسول الله، زد لنا في الرزق والعطاء، نريد أن نعيش كما يعيش النساء، فنزل التخيير من فوق سبع سماوات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾)(١) [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

عباد الله: الدنيا كالدابة إذا ركبتها حملتك، وإذا ركبتك قتلتك، فكم من أناس قتلتهم الدنيا؟!.

من الذي يبني على موج البحر داراً ... تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

---

(١) **صحيح**: انظر الحديث بتمامه في: م: (١٤٧٨).

وقال ﷺ: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»(١).

○ **سادساً ـ أنهم يهتمون بعقيدة التوحيد:**

الأنبياء يهتمون أولاً بالعقيدة، وكما نقول ونقول دائماً إلى أن نلقى الله: العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون؛ فما من نبي جاء إلى قومه إلا وهو يدعوهم إلى العقيدة أولاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

ورسولنا ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله؛ تفلحوا**»(٢).

العقيدة إذا استقرت في القلب صلح الإنسان؛ فإذا أُمِرَ ائتمر وإذا نُهِيَ انتهى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٧٧)، لس: (٢٧٧)، طس: (٩/ ١٢٢)، بز: (٤/ ٣٣٧)، هب: (٧/ ٣١١)، حم: (١/ ٣٩١)، [«ص.ج» (٥٦٦٨)].

(٢) **صحيح**: خز: (١٥٩)، حب: (٦٥٦٢)، ك: (٢/ ٦٦٨)، قط: (٣/ ٤٤)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٤٠١)].

فالذي فسدت عقيدته يذهب ـ مثلاً ـ إلى السحرة والمشعوذين، أما الذي يحمل في قلبه عقيدة صحيحة فلا يذهب أبداً إليهم؛ لأنه يعتقد أن الله هو الذي يعطي ويمنع، وأنه وحده هو الذي يعلم الغيب.

○ **سابعاً ـ أن الأنبياء لا يخالفون بأفعالهم أقوالهم:**

فهم القدوة؛ من أصدق الناس، ومن أتقى الناس، ومن أخشى الناس، وما من نبي إلا وعُرف بالصدق في قومه قبل أن يُنَزَّلَ عليه الوحي.

فرسولنا ﷺ كان يلقب بالصادق الأمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

فالرسول لا يخالف ما يقول، ولذلك نقول: يا معشر الدعاة، لا تخالفوا ما تقولون، فعيب عليك أيها الداعية أن تقول: الربا حرام، وتأكل الربا! عيب عليك أيها الداعية أن تقول للناس: حلق اللحية حرام، وتحلق لحيتك!.

عيب عليك أيها الداعية أن تقول للناس: التبرج حرام، وزوجتك متبرجة!.

عيب عليك أيها الداعية أن تقول للناس: الكذب حرام وأنت تكذب!

عباد الله: هذا منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وهذه المزايا التي امتازت بها دعوتهم.

ولذلك أقول: العالم الإسلامي في هذا الزمان في أمسِّ الحاجة أن يعود إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ولذلك قررنا بعد هذه الذكرى ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أن نتكلم عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ابتداء من الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

نسأل الله العظيم أن يردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

٣٨

منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله

دعوة نوح عليه السلام

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة الأنبياء وقلنا: إنها تمتاز بمزايا منها:

١ ـ أنها دعوة ربانية بوحي من الله.

٢ ـ أنهم لا يطلبون أجراً على دعوتهم.

٣ ـ أنهم يسلكون في دعوتهم سبيل الحكمة.

٤ ـ أن هدفهم واضح للناس لا غبار عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

٥ ـ أنهم لا يبتغون بدعوتهم زهرة الدنيا، إنما يبتغون بدعوتهم وجه الله والدار الآخرة.

٦ ـ أنهم يُركزون في دعوتهم على عقيدة التوحيد.

٧ ـ أنهم لا يخالفون بأفعالهم أقوالهم.

وقلنا: إن الله ﷻ أمرنا في كتابه أن نسلك منهج الأنبياء.

فقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وأمرنا الله ﷻ أن نتأسّى برسولنا ﷺ في كل شيء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية الحديث عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

إخوة الإسلام: الوقت لا يتسع، والعمر قصير فلا نستطيع أن نتكلم عن جميع الأنبياء، ولكننا نكتفي فقط بالحديث عن أُوْلي العزم من الرسل، وهم كما ذكرهم ربنا في كتابه: «محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم».

إخوة الإسلام: وقبل أن نبدأ الحديث عن منهج أُوْلي العزم في الدعوة إلى الله يجب علينا أن نعلم:

١ ـ أن الله ﷻ فضَّل بعض النبيين على بعض:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

٢ ـ وفضَّل الله ﷻ الرسل بعضهم على بعض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٣ ـ جعل الله ﷻ أُولي العزم من الرسل أفضلَ الرسل، وجعل رسولنا ﷺ هو أفضل الأنبياء والرسل أجمعين.

إخوة الإسلام: أمر الله ﷻ رسوله فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وذكر الله لنا في كتابه أن أولي العزم خمسة:

فقال ـ تعالى ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

عباد الله، هؤلاء هم أولوا العزم من الرسل، فضَّلهم الله على جميع الرسل، وفضل رسولنا ﷺ على جميع الأنبياء والرسل.

فمثلاً: فضَّل الله محمداً ﷺ بأن أرسله إلى الناس كافة.

وفضَّله ﷺ بأَنْ جعله خاتم الأنبياء والمرسلين.

وفضَّله ﷺ بأنْ أنزل عليه القرآن، فالله ﷻ فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، اصطفاهم واختارهم لحمل رسالاته؛ والله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته.

واعلموا ـ عباد الله ـ: أَن الله فضَّل الأنبياء بعضهم على بعض بما أعطاه لأحدهم دون الآخر، وبما رفع درجة أحدهم على الآخر، ولا يجوز أبداً؛ بل يحرم علينا أن نفاضل بين الأنبياء على وجه التنقيص، فنقول: فلان من الأنبياء أفضل من فلان على وجه التنقيص من فلان، فهذا حرام.

فقد جاءت الأدلة في الأحاديث تحرم ذلك؛ قال ﷺ: «**لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله**»(١).

والتفضيل المنهي عنه هنا هو تفضيل التنقيص أن يُقال: إنَّ فلاناً من الأنبياء خيرٌ من فلان من الأنبياء.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٣٣)، م: (٢٣٧٣).

عباد الله! اعلموا أن الدين عند الله واحد، ومن زعم أن هناك ديانات عند الله يقبلها يوم القيامة غير الإسلام، فقد افترى على الله الكذب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩].

عباد الله! ومن آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق)(١).

جاء نوح عليه السلام بالإسلام وهو من المسلمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

- فنوح جاء بالإسلام، ودعا الناس إلى الإسلام، ومات عليه السلام على الإسلام:
- وإبراهيم عليه السلام جاء بالإسلام لتعلموا أن الدين عند الله هو الإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

فمَنْ هذا الكذابُ الذي يزعم أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً؟! فالله يكذبه في القرآن.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

- وكذلك موسى عليه السلام جاء بالإسلام:

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٨٠)، [«س. ص» (٧/ ٢/ ٨٥٤)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

● وعيسى عليه السلام جاء بالإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

● ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء بالإسلام، وهو من أول المسلمين:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١، ١٢].

● ويوسف عليه السلام قال في دعائه الذي تحفظونه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

والله عز وجل يأمر عباده جميعاً أن يموتوا على الإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله، فالدين واحد، وهو الإسلام، وجاء كل نبي إلى قومه بشرعةٍ ومنهاج.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

والله عز وجل أخبرنا في كتابه أنه لا يقبل يوم القيامة ديناً غير الإسلام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فيا ويل من مات على غير الإسلام، فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

إخوة الإسلام: كان الناس أمة واحدة من آدم إلى نوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام، كلهم يعبدون الله وحده على فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم بدأ الناس ينحرفون ـ في قوم نوح ـ وبدأ الشرك يدب فيهم، أتدرون لِمَ ـ يا عباد الله ـ؟ بسبب قلة العلم، وكثرة الجهل، والغلو في الأولياء والصالحين، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليردوا الناس إلى عبادة الله، وكان أول رسول أرسل إلى البشرية نوح عليه السلام، وهو من أولي العزم.

أرسل الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح: ١ ـ ٣].

إخوة الإسلام:

كيف دعا نوح عليه السلام قومه إلى التوحيد؟

أولاً: عندما بعثه الله عز وجل وأرسله إلى قومه جمع قومه وقام فيهم خطيباً، وأخبرهم أنه رسول من رب العالمين؛ أي: أن الذي يقوله وحي من عند الله وليس من عند نفسه، وأخبرهم أَنه لهم ناصح أمين.

فقال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦١، ٦٢]، ويجب على الداعية أن يكون ناصحاً أميناً لمن يدعوهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥ ـ ١٠٨].

ثانياً: قال نوح لقومه: لا أطلب منكم مالاً، ولا أجراً على دعوتي، ولا منصباً من مناصب الدنيا.

قال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [هود: ٢٩]. ويجب على الداعية أَلّا يتطلع بدعوته إلى مالٍ، ولا إلى منصب؛ لأن ما عند الله هو خيرٌ وأَبقى.

ثالثاً: أخبرهم نوح أنه لا يعطي لمن استجاب له مالاً.

كثير من الناس يظن ويعتقد أنه إذا تمسك بالكتاب والسنّة فسيأتيه مالٌ من جهة ما! وهذه دعاية كاذبة، وهذا من كذب الكفار وأعداء الإسلام، لا ـ يا عباد الله ـ من دخل في هذا الدين وتمسك به فلا أجر له إلا عند الله يوم القيامة.

فنوح قال لهم: لا أطلب منكم أجراً على دعوتي، وكذلك لا أعطي أجراً لمن استجاب لي، وبَيَّنَ لهم أنه لا يعلم الغيب، وبَيَّنَ لهم أنه بشر مثلهم وليس بملَك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: ٣١].

رابعاً: كان نوح يخوِّف قومه من عذاب الله، ويبيِّن لهم أنه يخاف عليهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال لهم في مكان آخر: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [هود: ٢٦].

وهذا أسلوب في الدعوة، وهو: ترهيب الناس من عذاب الله ليتوبوا إلى الله.

خامساً: ومن أساليب نوح في دعوته أنه كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يلفت أنظار قومه إلى السمٰوات والأرض، وما بينهما، وإلى الشمس والقمر لعلهم يستيقظون من غفلتهم، ويرجعون إلى الله فيعبدوا الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما.

قال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٣ ـ ٢٠].

يذكرهم بآيات الله وقدرته ونعمه، يذكرهم بأيام الله لعلهم يرجعون.

فالله عز وجل خلق السماء بلا عمد ترونها، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم، ولكن إذا لم يتذكروا، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

سادساً: استخدم نوح عليه السلام في دعوته أسلوب الترغيب.

يرغب قومه فيما عند الله إن هم استجابوا لله والرسول.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

يرغب قومه بالمغفرة في الآخرة، وببركات السمٰوات والأرض في الدنيا.

عباد الله! بالاستغفار والتوبة والطاعات ينزل الخير من السماء، وبالرقص والغناء والربا وتضييع الصلاة والمعاصي تُحرموا القطر من السماء.

فلماذا حَرَمَنا الله من المطر؟ أمِن كثرة التقوى فينا حيل بيننا وبين المطر!؟.

أتعرفون السبب؟ المعاصي سدَّت الآفاق، بارزنا الله بالمعاصي فحرمنا الله المطر الذي فيه الحياة، فمن على وجه الأرض الآن يستطيع أن يأتينا بالمطر؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالمطر لا ينزل وهم يأكلون الربا ويضيِّعون الصلاة، ويحاربون الله.

عباد الله! الأمرُ يحتاج إلى توبة واستغفار وندم، ونوح عليه السلام دعا قومه إلى أن يستغفروا ربهم لتنزل عليهم البركات من السماء والأرض.

نوح عليه السلام لا يمل ولا يكل في دعوته، يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، لا ييأس أبداً.

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: ٥، ٦].

عباد الله! ألف سنة إلا خمسين عاماً ونوح عليه السلام على هذا الحال، يدعو قومه بالليل والنهار، سراً وعلانية، يدعو قومه لا يمل ولا يكل، فماذا كانت النتيجة؟ ماذا قال له قومه؟ ماذا فعلوا به؟ وبماذا اتهموه؟ وماذا كانت نهايتهم؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

اللّهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بما فعل المبطلون

* * *

٣٩

ماذا قال قوم نوح عليه السلام له؟ وبماذا اتهموه؟

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة نوح لقومه، وقلنا: إن نوحاً عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يرَ من قومه إلا آذاناً صُمّاً، وقلوباً غلفاً، وعقولاً متحجرة، فكلما ازداد لهم نصحاً كلما ازدادوا عنه بُعداً، وكلما ذكرهم بالله عز وجل كلما ازدادوا ضلالاً وفساداً، فاسمعوا يا عباد الله إلى نوحٍ عليه السلام وهو يتألم من قومه ويشتكيهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ٥ ـ ١٣].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع نوح، ماذا قال له قومه؟ وبماذا اتهموه؟ وماذا فعل الله بهم؟ ليتذكر أولو الألباب.

أمة الإسلام: بُعث نوح عليه السلام في قومه وهم يعبدون الأصنام، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله وإلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

فماذا قالوا له، وبماذا ردوا عليه؟:

أولاً: ـ لم يستجيبوا لدعوة التوحيد: وأصرّوا واستكبروا استكباراً، أصرّوا على الكفر والعناد.

فقال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

وقال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

ثانياً: ـ هدَّدوه بالرجم إذا لم يتوقف عن دعوته:

فقال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: ١١٦].

ثالثاً: ـ قالوا له: كيف نتبعُك وأنت بشرٌ مثلنا والذين اتبعوك هم أراذلنا؟!:

قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

رابعاً: ـ اتهموه أنه بدعوته يريد أن يتفضل عليهم؛ أي: أن يأخذ ما في أيديهم:

قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤].

إخوة الإسلام: وبماذا اتهموه؟.

أولاً: ـ بالضلال:

قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف: ٦٠ ـ ٦١].

ثانياً: ـ بالكذب:

قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ على لسان نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء: ١١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٤].

ثالثاً: ـ بالجنون: قالوا: هذا رجل مجنون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر: ٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: ٢٥].

رابعاً: ـ بكثرة الكلام والجدال:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود: ٣٢].

عباد الله: هذا ما قالوه في حقه، وبهذا اتهموه، ونوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم، ومع ذلك لم يسمعوا له، ولم ينظروا إليه، وعادوه؛ بل كان أحدهم يوصي ولده فيما بعده فيقول له: يا ولدي، إياك إياك أن تتبع هذا الرجل، وهو يشير إلى نوح، فلما نظر إلى ما فعلوا تألم عليه السلام ووقف يشتكيهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥ ـ ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧، ١١٨].

وقال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠].

فأوحى الله ﷻ إلى نوح: أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود: ٣٦].

وما آمن مع نوح إلا قليل، فلما عرف نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن دعا ربه أن ينتقم من الكفرة، وأن ينتقم من الظلمة والجبابرة، وسجلت دعوته في القرآن تتلى إلى يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

فدعا عليهم، ونحن نرجو وندعو الله ﷻ أن يدخل الكفار في دين الإسلام، وأن ينجوا بإسلامهم من عذاب الله، ولكن إذا أصرّوا على العناد وحاربوا الإسلام والمسلمين، فنحن نقول مثل ما قال نوح: ربَّنا لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً.

واستجاب الله لعبده نوح؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات: ٧٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦].

فاستجاب الله لعبده نوح فلم يذر على الأرض من الكافرين دياراً.

عباد الله: أوحى الله ﷻ إلى عبده نوح أن يصنع سفينة النجاة، وبوحي من الله وأمرٍ منه سبحانه أخذ يصنع السفينة، كلما مر عليه قومه

قالوا بسخرية: يا نوح، بالأمس كنت نبياً تدعو إلى الله، واليوم نجار تصنع السفن؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ٣٧ ـ ٣٩].

عباد الله: وأوحى الله ﷻ إلى عبده نوح بعلامة وأمره إذا ظهرت أن يركب في السفينة هو ومن آمن معه، وأن يأخذ من كلٍّ زوجين اثنين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠].

وأمر الله ﷻ عبدَه نوحاً أن يذكر الله ﷻ هو ومن آمن معه إذا ما ركبوا في السفينة، وأن يحمدوا الله ﷻ أن نجاهم من القوم الظالمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨].

إخوة الإسلام: صنع نوح عليه السلام السفينة، وتجهز هو ومن آمن معه، فلما فار التنور ركبوا في السفينة، وجاء أمر الله، وفار التنور وبدأ الماء يخرج من الأرض، وينهمر من السماء وركب نوح هو ومن آمن معه في السفينة، وأخذ معه من كلٍّ زوجين اثنين.

عباد الله! انظروا إلى سنّة الله في الظلمة والكافرين، كيف يأخذهم وينتقم منهم ليتذكر أولو الألباب، فالسماء تنهمر بالماء، والأرض تنبع بالماء، وها هو نوح في السفينة، والكفار قد بغتهم الماء فهم يركضون في كل مكان، فهذا يركض إلى جبل يعصمه من الماء، وهذا يدخل حصناً حصيناً لينجو من الغرق، ولكن هيهات هيهات، ولات حين مناص.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

عباد الله! ولنستمع إلى كلام ربنا وهو يصور لنا هذا المشهد، ويصور لنا كيف أخذ الله المكذبين وانتقم منهم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: ٩ ـ ١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤١ ـ ٤٣].

أمة الإسلام: وهكذا دَمَّر الله ديار الكفرة، وأغرق من كان على الأرض من الكافرين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

عباد الله: الماء مِنْ جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [المدثر: ٣١]، أهلك الله به قوم نوح وأغرق به فرعون، فنجّى موسى ومَنْ آمنَ معه، وثبَّتَ به الأرض تحت أقدام المؤمنين يوم بدر.

عباد الله: فمتى عدنا إلى الله، ورجعنا إلى ديننا سخَّر لنا مِنْ جنوده ما يشاء ليقاتل معنا أعداء الله.. فمتى نرجع إلى الله؟.

أما الذين آمنوا مع نوح: فقد قال الله ـ تعالى ـ فيهم: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم

مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٨، ٤٩].

أمة الإسلام: ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ من دعوة نوح لقومه؟.

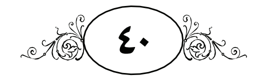
هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة، إن شاء الله.

ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁



الدروس والعبر المستفادة من دعوة نوح عليه السلام لقومه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن قوم نوح، وتبين لنا ماذا قالوا لنبيهم، وبماذا اتهموه، وماذا كانت نهايتهم.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم مع الدروس والعبر التي تؤخذ من دعوة نوح لقومه.

أمة الإسلام: دعوة نوح عليه السلام مع قومه فيها من العبر والعظات ما لا يعلمه إلا الله، فيجب على المسلمين أن يقفوا أمام هذه القصة ليأخذوا بما فيها من العبر والعظات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

أولاً: يجب على الداعية أن يصبر على دعوته للناس، ولا يلتفت أبداً إلى النتائج:

فنوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، يبتغي الأجر من الله وحده، ولا يلتفت إلى النتائج، ولو التفت إلى النتائج لتوقف، ولكنه ما توقف عن دعوته لقومه إلا بعد أن أوحى الله إليه: أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.

ولقد أمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله محمداً ﷺ بالصبر.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠].

وأمرنا الله في كتابه بالصبر أيضاً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

أمة الإسلام: الداعية ينجح بالصبر في دعوته، ويخسر نفسه ومن حوله بالاستعجال والتسرع في دعوته، لذلك نهى ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله ﷺ عن الاستعجال والتسرع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧].

احذر يا رسول الله أن يستخفنك الذين لا يوقنون، فيدفعونك إلى الاستعجال فتستعجل، واحذروا يا دعاة الإسلام من التسرع والاستعجال.

وقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أين نحن من هذه الآيات؟!.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨].

كيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي خرج من بين قومه فسجنه الله في بطن الحوت.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤].

ورسولنا ﷺ ربَّى أمته على الصبر وعدم الاستعجال.

عن أبي عبد الله خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(١). فيا دعاة الإسلام، احذروا الاستعجال، ويا شباب الإسلام، احذروا دعاة الاستعجال، فكفانا ما وصلت إليه الأمة، وإن الذين يستعجلون يقطفون الثمار قبل نضجها فيضيعون الجهد والوقت والمال، والقاعدة الشرعية تقول: «**من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه**».

وهذا لقمان الحكيم يربّي ولده ويقول: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

ونوح عليه السلام ـ الذي نحن في صدد الحديث عنه ـ مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه بالليل والنهار، ولم يتعجل أبداً حتى أوحى الله إليه: أنه لن يؤمن من قومك إلامن قد آمن، فدعا عليهم فأهلكهم الله.

ثانياً: على الداعية أن يستمد قوته من الله وحده، وذلك بتوكله على الله:

فالتوكل على الله قوة، والمتوكل على الله أمة ولو كان وحده.

• فهذا نوح ضرب لنا مثلاً أعلى في التوكل على الله، فها هو يقفُ وحده في وجه الكفرة بقوة وثقة ويقول لهم: إني توكلت على الله، فأجمعوا أمركم واستعدوا بقوتكم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

هل استطاعوا أن يفعلوا به شيئاً؟ ما استطاعوا.

• وهذا هود عليه السلام ضرب أيضاً لنا مثلاً أعلى في التوكل.

يقول الله عز وجل على لسانه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

ولذلك أمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله أن يتوكل على الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب: ١ ـ ٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا

كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٨].

أتدرون لِمَ يا عباد الله؟ لأن من توكل على الله فهو حسبه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

فهو حسبه؛ أي: كافيه، وناصره، وحاميه، فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم التوكل عليه.

ثالثاً: حصول العزة والنصر والنجاة والتمكين للمؤمنين ولو كانوا قلة، والدمار والهلاك والهزيمة للكفار ولو كانوا كثرة:

قال ـ تعالى ـ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢].

فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه، وما آمن معه إلا قليل، فماذا كانت النتيجة؟ ولمن كانت العاقبة؟!.

نجَّى الله نوحاً والذين آمنوا معه وهم قلة، وأهلك الله الكافرين وهم كثرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

ولذلك عندما نَجّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نوحاً ومن معه أخبر: أن في ذلك لآية لمن أراد أن يعتبر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥].

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

أمة الإسلام! أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين.

من الذي نصر محمداً ﷺ وأصحابه يوم بدر وهم أذلة؟! إنه الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

من الذي نصر محمداً ﷺ وأصحابه يوم الأحزاب؟! إنه الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

عباد الله! كيف رد الله تعالى الكافرين؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

من الذي نصر محمداً ﷺ وأصحابه يوم حنين؟! إنه الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

عباد الله! أعرفتم أن النصر من عند الله، وليس من الشرق ولا من الغرب!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

رابعاً: أن المؤمن ينجو من عذاب الله وإن كان عبداً حبشياً، والكافر يهلك بعذاب الله وإن كان ابناً لنبي من الأنبياء:

فهذا نوح عليه السلام قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

فرفض وانضم إلى الكافرين فهلك مع الكافرين.

فيا ويل من أحب الكفار أو تشبه بهم أو والاهم.

ونوح عليه السلام يقول: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٥ ـ ٤٧].

أي: يا نوح، إنه ليس من أهل إيمانك؛ فالإيمان هو الذي ينجي، والرابطة بيننا هي الإيمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: ١٠]، والخيانة هنا خيانة كُفرٍ إنها زوجة نبيٍّ! نعم، ولكنها في النار بسبب كفرها، ولم ينفعها كونها زوجة نبي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾ [العنكبوت: ٣١، ٣٢]. ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: «**يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً**»(١).

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٩٣)، م: (٢٠٦).

عباد الله: يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

خامساً: أن الصور والتماثيل سبب من أسباب وقوع الناس في الشرك:

من آدم إلى نوح والناس على التوحيد، حتى دبَّ الشرك في قوم نوح بسبب الصور والتماثيل.

فليعتبر الذين يصورون الأعراس في ليلة العرس للذكرى!.

وليعتبر الذي يعلق صورة والده وأمه للذكرى! واسمعوا وعوا يا عباد الله.

يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: ٢١ ـ ٢٤].

روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فقال عن هذه الآلهة المزعومة هي: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنسَّخ العلم عُبدت)[(١)]. ثم انتقلت هذه الأصنام إلى العرب فيما بعد.

ولذلك حرَّم الإسلام الصور والتماثيل؛ سداً لباب الشرك.

قال ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٣٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦١٦)، م: (٢١٠٧).

وقال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(١).

وقال ﷺ: «**من صوَّر صورةً عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها، وليس بنافخ، ومن تحلَّم كُلِّف أن يعقد شعيرتين وليس بعاقد، ومن استمع إلى حديث قوم يفرون منه، صُبَّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة**»(٢).

وقال ﷺ عن الذين يصورون هذه الصور: «**أولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة**»(٣).

ولعن رسول الله ﷺ: «**آكل الربا، وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصور**»(٤).

وقال ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثةٍ: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»(٥).

فيا أخا الإسلام! إن كنت ولا بد فاعلاً وتحبُ أَن تصوِّر، فعليك بما ليس له روح كالمناظر الطبيعية، ويا أيها المتصور إن كنت لا بد فاعلاً فللضرورة فقط، وربما يقول قائل: وهل يعقل أن نعبد هذه الصور والتماثيل ونحن في القرن العشرين، قرن التقدم والحضارة، كما يزعمون؟!.

نقول: يا أخا الإسلام، في قرن الحضارة والتقدم هناك من يعبدون البقر، مع أنهم بلغوا القمر، وهناك من يعبدون النار، وهناك من ينكرون الله ﷻ.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: د: (٥٠٢٤)، حم: (١/٢١٦)، حب: (٥٦٨٦)، هب: (٤/٢١٣)، [«ص.ج» (٦٣٧٠)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨). (٤) **صحيح**: خ: (٥٦١٧).

(٥) صحيح: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/٣٣٦)، هب: (٥/١٩٠)، [«ص.ج» (٨٠٥١)].

فالإسلام حرم الصور والتماثيل إلا ما اضطررتم إليه، فالضرورات تبيح المحظورات والضرورات تقدر بقدرها.

إخوة الإسلام! وبهذا نكون قد أنهينا الحديث عن دعوة نوح مع قومه.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه،
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



٤١

٢ ـ دعوة إبراهيم عليه السلام

عباد الله!

تكلمنا في الجمع الماضية عن نوح عليه السلام، وعن صبره في الدعوة إلى الله، وتبيّن لنا كيف صبر على دعوته مع قومه إلى التوحيد ألف سنة إلا خمسين عاماً بالليل والنهار سرّاً وجهراً لا يكل ولا يمل، ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل فصبر على منهجه ودعوته، حتى أهلك الله الكافرين ونجَّاه الله هو ومن آمن معه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الرسول الثاني من أولي العزم من الرسل، وهو **خليل الرحمٰن إبراهيم** عليه السلام، أتعرفونه يا أمة الإسلام؟!.

١ ـ إنه أبو الأنبياء، فما من نبي جاء بعده إلا وهو من ذريته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧].

٢ ـ إنه إمام الموحّدين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

٣ ـ إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن كما أنَّ محمداً ﷺ خليل الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

أمة الإسلام: اعلموا أن إبراهيم عليه السلام كان وحده، ولكنه كان أمة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

واعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً طرفة عين، ولكنه عليه السلام كان حنيفاً مسلماً:

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

عباد الله: أمرنا الله عز وجل في كتابه أن نتبع ملة إبراهيم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥].

وأمر الله عز وجل في كتابه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وأمرنا الله في كتابه أن نتأسّى بإبراهيم عليه السلام **والذين آمنوا معه:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ...﴾ [الممتحنة: ٤].

دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد وإلى (لا إله إلا الله)، فبدأ بأبيه فدعاه إلى التوحيد، ثم دعا قومه إلى عقيدة التوحيد، ثم دعا النمرود وهو طاغية ذلك الزمان ـ وكان يدَّعي الربوبية ـ دعاه إلى التوحيد وناظره.

والله أمرنا أن نتأسّى بإبراهيم عليه السلام في دعوته إلى التوحيد.

فتعالوا بنا ـ عباد الله ـ في هذا اليوم لنتعلم من إبراهيم عليه السلام كيف دعا والده إلى عقيدة التوحيد لنتربّى ولنتعلّم كيف ندعو الآباء يا شباب الإسلام.

فيا من يضرب أو يسب والده! ويا من يهجر والده!.

تعالوا بنا لنتعلّم الأدب من إبراهيم عليه السلام وهو يدعو والده الكافر

الذي كان يعبد الأصنام؛ بل كان آزر والدُ إبراهيم هو الذي ينحت الأصنام بيده، ثم يقوم ببيعها إلى الناس، فاسمعوا، هل سبه إبراهيم وشتمه؟ هل ضربه؟ لا، وكيف يفعل ذلك وقد تربّى على (لا إله إلا الله)؟! يخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه عن دعوة إبراهيم عليه السلام لوالده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٥٠].

قرآن كريم علّمنا فيه ربنا كيف ندعو إلى التوحيد.

● آزر ـ يا عباد الله ـ كافرٌ، فانظروا إلىٰ ذلك الذي يعتدي على والده وهو ليس بكافر!.

● آزر كافر وحبه للأصنام أكثر من حبه لإبراهيم! فهو ينحتها بيده ويقوم ببيعها للناس! فيا ليتنا نتأدب بهذا في هذا الزمان العجيب الذي أخذنا فيه الآداب من المفسديون، فضللنا ضلالاً بعيداً.

ويوم تربّى الصحابة على القرآن والسنّة فتحوا العالم.

ويوم أن تركنا الكتاب والسنّة وتربّينا على شاشات المفسديون ضيّعنا العالم، وسلّمنا العالم، وسقطت بلاد الإسلام بلدة تلو الأخرى في أيدي الكفار ونحن أكثر منهم عدداً، ولكننا غثاء كغثاء السيل.

عباد الله! قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا

﴿٤١﴾ [مريم: ٤١]، وصف الله إبراهيم بالصدق قبل أن يصفه بالنبوة، وما أرسل ﷻ نبياً إلّا كان متصفاً بالصدق أميناً، صدق في العقيدة والإيمان والدعوة، فكان إبراهيم عليه السلام صادقاً قبل النبوة وبعدها ـ ورسولنا ﷺ كان يلقب قبل النبوة بين الناس بالصادق الأمين ـ ولقد كان إبراهيم صادقاً في دعوته لأبيه، وكان يريد من أبيه أن يترك عبادة الأصنام لينجو من عذاب الله.

ثم إنه بدأ دعوته بهذا النداء اللطيف: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ نعم، فهو أبوه وله فضل عليه بعد الله ﷻ في وجوده في هذه الحياة، بهذا النداء يصل إلى قلب أبيه ـ وإذا توصلت إلى قلوب الناس تمكنت منهم وأحبوك، فإن قلت سمعوا لك، أما إذا أبغضوك فروا عنك، ولم يسمعوا لك ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ وكيف لا يقول: يا أبت وقد تربّى على دين الإسلام؟!.

• أنسيتم يوسف عليه السلام عندما رأى رؤياه ماذا قال لأبيه يعقوب؟ قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

• أنسيتم إسماعيل عندما قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال إسماعيل: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، تربية على دين الإسلام، وعلى (لا إله إلا الله).

فلينظر كل منا إلى أولاده، وإلى التربية التي رُبُّوا عليها، فنحن جئنا بالمفسديون إلى البيت، وهو بالليل والنهار يدمِّر أولادنا، ونساءنا، فأصبحنا نُشبه الكفار في كل شيء في لباسنا، وفي مظهرنا، ونومنا، وأكلنا!.

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾، يريد من أبيه أن يفكر، فإذا فكر انتبه من غفلته. ووالله لو فكر آكل الربا في الربا ما أكل الربا، ولو فكَّرت المتبرجة وعقلت أنها تبيع لحمها لذئاب الشوارع ما تبرجت، ولو فكر المدخِّن أنه يقتل نفسه والله ما دخن.

إبراهيم يريد من أبيه أن يفكر، يا أبت لم تعبد هذه الأصنام التي لا تسمع؟ وآزر يعلم أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً، ويعلم أنها لا تراه ولكنه لا يفكر: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

يقول له إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

انظروا إلى العلم، ما قال له: يا أبت أنت رجل جاهل، كما يقول الشباب في هذا الزمان! وما قال له: يا أبت أنا أعلم منك، وإنما هذا الذي أقوله لك يا أبتِ وحيٌ من عند الله! وفي هذا إشارة إلى أن علم التوحيد يهدي إلى صراطٍ مستقيم، فمن تعلم علم التوحيد وعلَّم الناس عِلم التوحيد، هُدي إلى صراطٍ مستقيم.

للمرة الثالثة يقول له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾.

فهو يعبد الأصنام، وعبادة الأصنام هي عبادة للشيطان، وكل من دان لغير الله وعبد غير الله فهو عابد للشيطان، وقد أخذ الله على بني آدم العهد ألّا يعبدوا الشيطان ومع ذلك عبدوه، ولذلك يوم القيامة يوبخ الله ﷻ بني آدم على عبادتهم للشيطان:

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٣].

عباد الله! يقول إبراهيم لأبيه للمرة الرابعة: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

يخوِّف والده بأدب: إني أخاف أن ينزل بك عذاب من الرحمٰن فتكون للشيطان ولياً. عباد الله! وإذا اتخذ الإنسان الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

انظروا إلى هذا الوالد الجاهل الذي تربّى على مائدة الأصنام، ما قال له: يا ولدي، كما قال يعقوب ليوسف: يا بني، إنما قال له: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦]؛ أي: عن هذه الأصنام، وهذا يدل على أن أعداء دعوة التوحيد موجودون من قديم الزمان، وسيبقون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم هدده بالقتل والطرد من البيت، فماذا قال إبراهيم؟ قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧] نعم، إنه من عباد الرحمٰن الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: لا يصلك مني أذى، وذلك طمعاً من إبراهيم أن يهتدي والده إلى الإسلام.

فما كان مِنْ إبراهيم بعد ذلك إلّا أن قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، ترك الأصنام ومجالس عُبَّاد الأصنام.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هجرهم وتركهم، أبدله الله أهلاً خيراً من أهله.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠]، ورسولنا ﷺ يقول: «**إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله ﷻ، إلّا أعطاك الله خيراً منه**»[(١)].

فما هي الدروس والعبر التي نأخذها من دعوة إبراهيم لأبيه إلى التوحيد؟.

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٧٨)، هب: (٥/٥٣)، [«الموسوعة الحديثية»].

أولاً: كيف ندعو آبائنا إلى التوحيد؟:

١ ـ أن يتلطف ويتأدب الولد مع والده، كما سمعنا من خلال دعوة إبراهيم، فهي دعوة صادقة حارة خارجة من القلب نابعة عن خُلق وعقلٍ وأدبٍ قويمٍ.

أنْ يقول الولد لوالده: يا أبت! هذا حرام وهذا هو الدليل، يا أبت! هذا يضر وهذا هو الدليل، بأدب، فإن أصرّوا على المعاصي فلنحسن إليهم في الدنيا، ونتبع سبيل من أناب إلى الله؛ أي: نتبع سبيل المؤمنين والله علّمنا ذلك في سورة لقمان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥]، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

٢ ـ إذا أمرك الوالد بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فإذا أمرك أبوك أن تحلق لحيتك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا أمرك أن تترك الصلاة في المسجد فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إذا أمرك أن تدخن وتأكل الربا، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إذا أمرت الوالدة ابنتها بالتبرج، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومع ذلك: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

ثانياً: علينا أن نهتم بعقيدة التوحيد:

فنتكلم عن عقيدة التوحيد ونبيّن للناس أن الأصنام التي تُعبد من دون الله لا تسمع ولا تضر ولا تنفع، كما فعل إبراهيم.

فالذي يعبد قبراً أو شمساً أو قمراً أو طاغوتاً أو شيطاناً نقول له: هذه الآلهة المزعومة لا تسمع، فإذا رأيت إنساناً يدعو ولياً في قبر أو ميتاً فقل له: إنه لا يسمع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢]. عباد الله، الميت قد مات فلا يَسمع ولا يَرى ولا ينفع ولا يضر.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

عباد الله، كم من المسلمين يستغيث بغير الله، ويدعو غير الله؟!!.

ثالثاً: أن من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خير منه:

• إبراهيم عليه السلام لما هجر أباه وقومه الكفار أبدله الله ذريةً صالحةً مؤمنةً وجعَل فيهم النبوة.

• ورسولنا ﷺ عندما ترك مكة وأهلها الذين عادوه وآذوه أبدله الله الأنصار في المدينة، نصروه وعزّروه واتبعوا النور الذي جاء معه، ووقفوا معه وأقاموا دولة الإسلام، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خير منه.

• يوسف عليه السلام: لما ترك الزنا مخافةً من الله، ودخل السجن ودعا إلى عقيدة التوحيد في داخل السجن فلما فعل ذلك، أخرجه الله من السجن، ومكَّن له في الأرض.

• موسى عليه السلام: عندما خرج من مصر خائفاً من فرعون منَّ الله عليه وأنزل عليه الرسالة في البلاد التي هاجر إليها، ورزقه زوجة، وأمناً وعملاً عند الرجل الصالح.

فإذا هُجِّرت من بلد إلى بلد لأنك تدعو إلى التوحيد، أو سُجِنْتَ وأُوذيت لأنك تدعو إلى التوحيد، فاعلم بأن الله سيجعل لك مخرجاً، وسيبدلك داراً خيراً من دارك، وأهلاً خيراً من أهلك، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

أسأل الله أن يحفظنا من كيد الكائدين

❁ ❁ ❁

٤٢

إبراهيم عليه السلام يدعو قومه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه إلى عقيدة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع **إبراهيم** عليه السلام **وهو يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد.**

عباد الله: دخل إبراهيم عليه السلام على قومه وهم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله، فأخذ يدعوهم بلسانه إلى عقيدة التوحيد، فاسمعوا وعوا لنتأسّى به في دعوته فقد أمرنا الله بذلك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فانظروا يا دعاة الإسلام، وانظروا يا دعاة العاطفة والاستعجال، هل بدأ إبراهيم أولاً بتغيير الأوضاع الاقتصادية؟ أو بتغيير الفكر، أو أراد أن يفجِّر انقلاباً على الحاكم الطاغي في ذلك الزمان؟ ولو أراد ذلك إبراهيم عليه السلام لوجد الكثير من الناس يلتفون حوله، ويصفقون له، ولكنه بدأ يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد ليعلم الجميع أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

عباد الله! تعالوا بنا إلى سورة الشعراء ففيها يعلّمنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ كيف ندعو إلى العقيدة أولاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)﴾

[الشعراء: ٦٩ ـ ٧٤]، هذا هو المقطع الأول من دعوة إبراهيم.

يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾.

أخبر الكفار والمسلمين عن خبر إبراهيم كيف دعا قومه وهم يعبدون الأصنام إلى عقيدة التوحيد لنتأسّى به.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠﴾، سؤال للتقرير، وليس للاستفهام.

فإبراهيم عليه السلام يعلم أن قومه يعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضر، وقومه يعلمون ذلك، ولكن إبراهيم عليه السلام يريد أن يقرر قومه بما يعبدون لعلهم ينتبهون من غفلتهم، لعلهم يستيقظون من ضلالهم، يقول لهم: ما تعبدون؟.

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾، يعترفون أنهم يعبدون أصناماً، فيقول إبراهيم: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾، هل هذه الآلهة المزعومة يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون؟ فماذا أجابوا؟ ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤﴾، فاعترفوا أن هذه الآلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، ولو كانت تسمع أو تنفع أو تضر لأجابوا؛ بل قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، إنه التقليد الأعمى للآباء والأجداد بلا دليل ولا برهان، والمقلد بلا دليل ولا برهان كالدابة تساق من مكان إلى آخر لا تدري لِمَ سيقت من هنا إلى هناك. التقليد الأعمى هو الذي منعهم أن يستجيبوا لإبراهيم.

لا فَرْقَ بَيْنَ مقلِّدٍ وبهيمةٍ   تنقاد بَيْن دعاثرٍ وجنادلِ

وها هو التقليد الأعمى في زماننا هذا دفع كثيراً من الناس إلى معصية الله.

● كم من الناس أكل الربا بتقليده الأعمى لغيره؟ فهذا اقترض من البنك وبنى بيتاً، فقلده الجاهل الآخر واقترض قرضاً وبنى بيتاً، تقليدٌ أعمى، لا يفكر أهذا حلال أم حرام؟.

• كذلك المفسديون أدخله الجاهل في بيته، فقلده الآخر بلا دليل ولا برهان فأدخله إلى بيته ليأتي بالمنكر من كل بلاد الدنيا ليصب في بيته الفساد صبّاً، تقليد أعمى.

• وكذلك اللباس والتشبه بالكفار، قلدناهم في لباسهم وفي أشكالهم وفي بيوتهم، ولنا مع التقليد الأعمى درسٌ خاصٌ، فكم دفع التقليد الأعمى إلى معصية الله؟! وكم منع التقليد الأعمى الكثير أن يسلكوا سبيل المؤمنين؟! ترى شباباً تحجرت عقولهم يعبدون الله على جهل، وسلكوا سبيلاً غير سبيل المؤمنين، وعندما تقول له: يا أخا الإسلام، هذا خطأ، يقول: شيخي يفعل ذلك! حزبي يفعل ذلك!! أميري يأمرنا بذلك!! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

عبادَ الله! ها هو إبراهيم عليه السلام يبين لهم عداءه لهذه الآلهة؛ لأنهم يظنون أنه يخاف منها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٨٩].

عباد الله! قال لهم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾ وأخذ يدعوهم إلى عقيدة التوحيد، ويبيّن لهم أن الله الذي يعبده وحده هو الذي يضر وينفع فقال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾، انظروا ـ يا دعاة الإسلام ـ كيف يدعو إلى التوحيد؟.

• ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ يبيّن

لهم أن القادر على ذلك هو الله وحده وليست الأصنام، أنه الخالق وهو وحده المستحق للعبادة، وكانوا إذا سألوا الكفار: من الذي خلقكم، قالوا: الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].

الخالق الرازق المعطي المانع المحيي المميت، أليس وحده هو المستحق للعبادة؟ ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧]، ثم يدعو إبراهيم عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد فيبين لهم أن الله وحده هو الذي يسمع الدعاء، وهو الذي يستجيب للداعي إذا دعاه، فدعا ربه أمامهم ليتعلّموا، ولنتعلّم نحن ـ يا عباد الله ـ يا من جعلنا بيننا وبين الله واسطة، فالله عز وجل وحده الذي يجيب المضطر قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾. وإبراهيم يدعو ربه أمام قومه ليتعلّموا أن الذي يستجيب الدعاء هو الله، يدعو الله أن يؤتيه الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] يدعو الله أن يؤتيه علماً نافعاً، كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ لرسوله ﷺ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وألحقني بالصالحين في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

إبراهيم يدعو ربه أن يُلحقه بالصالحين، وهو دعاء يوسف عليه السلام أيضاً عندما قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، ورسولنا ﷺ عندما خُيِّر عند الموت بين أن يختار الدنيا أو أن يلتحق بالرفيق الأعلى قال: «**بل الرفيق الأعلى**».

• ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ذكرى حسنة في الآخرين، فإبراهيم عليه السلام يُذكَرُ في كتاب الله إلى يوم القيامة، وإبراهيم نذكره في كل

صلاة نصليها لله إذا جلسنا للتشهّد، وإبراهيم يُذكر إذا صلينا على موتانا صلاة الجنازة، ذكرى حسنة، وأمرنا الله أن نتأسّى به في دعوته إلى التوحيد إلى يوم القيامة.

• ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾، إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يدخله الجنة، وجهلة الصوفية في هذا الزمان يقولون: نعبد الله لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، أهم أفقه من إبراهيم عليه السلام؟!! أهم أفقه من رسولنا ﷺ الذي كان لا يسجد إلا ويسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار.

• ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ فقد وعد أباه أن يستغفر له، ولكن عندما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله تبرّأ منه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

• ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الذي يدعو أبو الأنبياء من أولي العزم يخاف من فضيحة يوم القيامة، يوم تبلى السرائر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] يوم الفضيحة الكبرى، هناك يظهر ما في السرائر، هناك من ستره الله فهو المستور، ومن فضحه الله فهو المفضوح، تستطيع الآن أن تخفي في نفسك ما لا تبديهِ، ويوم القيامة يظهر ما أخفيت، فما بالنا وقد بارزنا الله بالمعاصي؟!.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

ثم أخذ ينقل قومه إلى مشهد من مشاهد يوم القيامة ويبين لهم أن الذين يعبدون الله وحده سيدخلون الجنة، وأن الذين يعبدون الأصنام سيدخلون النار، فإذا دخلوها لعن بعضهم بعضاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ

نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء: ٩٠ ـ ١٠٤].

• ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ قُرِّبت الجنة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، تتلألأ لأهلها جعلنا الله وإياكم من أهلها.

والنار قد جاءت وبرزت لأهلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

• ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾، أين الذين كنتم تعبدون من دون الله؟! أين الآلهة؟! ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ جاءت جهنم، ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها؛ أي: أنها ما جاءت إلا لهم، وقيل للمجرمين: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم من النار؟ أو ينتصرون هم من الدخول في النار؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨].

• ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾، فيا ويل من دعا غير الله!! يا ويل من سجد وركع لغير الله! والله سيندم يوم القيامة، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ ـ أيتها الآلهة المزعومة ـ ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ويقولون وهم في النار: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾؛ أي: عودةً إلى الدنيا مرة ثانية لنكون من المؤمنين، ندموا في وقتٍ لا ينفع فيه الندم، لعنَ بعضهم بعضاً في النار، وهل ينفع هذا اللعن؟ اجتمع إبليس مع جنوده في نار جهنم فمن انضم لحزب إبليس خسر الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة: ١٩]، ولِمَ خسروا؟ لأنهم ألقوا في جهنم وجنودُ إبليس أجمعون.

فيا إخوة الإسلام، دعا قومه إلى عقيدة التوحيد وما استجابوا له، ولكنه استمر؛ لأنه يعلم أن ما عليه إلا البلاغ، ولكن هداية التوفيق من الله وحده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وفي آخر الآيات يقول ربنا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [الشعراء: ١٠٣].

لمن أراد أن يذكر ومن أراد أن ينجو من عذاب الله.

إخوة الإسلام! دعا إبراهيم قومه إلى عقيدة التوحيد بيده بأن حطم الأصنام، كيف حطم هذه الأصنام؟ هذا ما نعيش معه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم توفّنا على الإيمان وألحقنا بالصالحين



٤٣

إبراهيم ﷺ يحطّم الأصنام

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن دعوة إبراهيم ﷺ مع قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع إبراهيم وهو يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد بأسلوب جديد، وقد أمرنا الله أن نتأسّى به، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة: ٤].

إخوة الإسلام: تعالوا بنا إلى سورة الأنبياء في كتاب ربنا لنعيش مع هذه الآيات لنتعلم كيف ندعو إلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٥٦].

يخبرنا ربنا ـ جَلَّ وعلا ـ أنه منَّ على إبراهيم ﷺ بالعلم والحكمة والهداية والحجة من قبل.

دخل إبراهيم ﷺ على قومه وهو فتىً، ووجدهم يعكفون على أصنام ينحتونها بأيديهم لا تضر ولا تنفع، فماذا قال لهم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

فبيَّن لهم أن هذه تماثيل لا تضر ولا تنفع، فبماذا أجابوا؟.

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾، التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

فقال لهم إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، فبيّن لهم أنهم وآباؤهم في ضلال مبين، وبيَّن لهم أنَّ عبادة الأصنام ضلال مبين، ففكروا قليلاً ثم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾، فرد عليهم إبراهيم وقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، فانظروا ـ يا عباد الله ـ إلى الفارق الكبير بين من عبد غير الله وبين من عبد الله.

فهؤلاء عندما قال لهم إبراهيم: أنتم في ضلال مبين، قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟! هم في ريب وشك، أما الذي يعبد الله ﷻ وتمكّن الإيمان والتوحيد من قلبه يقول: بل ربكم الذي خلق السمٰوات والأرض، وبيَّن لهم وقال: وأنا على ذلكم من الشاهدين، فدعاهم إلى التوحيد بلسانه، ولكنه فكر وهو فتى لا يملك إلا نفسه، فكر أن ينتقم من هذه الأصنام التي عُبدت من دون الله حتى إذا وجدوها محطمة تحركت عقولهم وفكروا قليلاً، وعلموا أن هذه الأصنام لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً.

فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧]، فسمعه القليل منهم وكانوا في أعيادهم يصنعون الطعام، ويأتون بأطيب الطعام فيضعونه عند الآلهة المزعومة ليُبارَك لهم في الطعام، ثم يذهبون إلى أعيادهم ثم يرجعون إلى الطعام وقد باركت فيه الآلهة ـ بزعمهم ـ. ولما فعلوا ذلك، ذهب إبراهيم إلى أصنامهم، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩١ ـ ٩٣]. الطعام أمامهم فقال ـ مخاطباً إياهم ـ: ألا تأكلون، يستهزىء ويسخر مِنْ هذه الآلهة، آلهةٌ تُطْعم!! الإله هو الذي يُطعم خلقه؛ فقال لهم: ألا تأكلون؟ ما لكم لا تنطقون؟ فراغ عليهم ضرباً باليمين قال الله ﷻ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨]، خطة يريد بها وجه الله، يريد من قومه أن يفكروا ويستيقظوا من ضلالهم وغفلتهم فرجعوا من عيدهم إلى الآلهة ليأكلوا الطعام ويعكفوا عند الآلهة

فكانت المفاجأة، وجدوا الآلهة التي يعبدونها من دون الله محطمة في كل مكان، فقالوا جميعاً في صوت واحد: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩]، ومع كَوْنهم رأوها محطمةً، فإنهم ـ لضلالهم ـ لا زالوا يسمونها آلهةً.. فهل بعد هذا الضلال من ضلال!!.

﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠]، فاجتمعوا وقرروا أن يمكروا بإبراهيم عليه السلام فقالوا: ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ۝٦١﴾ [الأنبياء: ٦١].

نجمع الناس من كل مكان، ونأتي بإبراهيم ونسأله: هل هو الذي فعل هذا بآلهتنا؟ وننتقم منه أمام الناس، ليكون عبرة لغيره ولكل من تسوّل له نفسه أن يعتدي على آلهتنا، فجيء بإبراهيم إلى المكان الذي حُطِّمت فيه الأصنام والناس قد اجتمعوا من كل مكان ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾ [الأنبياء: ٦٢]؟ سؤال لا يتوقعون جوابه أبداً من إبراهيم، ولكن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [الأنبياء: ٥١] حكمةٌ، بلاغةٌ، حجةٌ، علمٌ، برهانٌ، شجاعةٌ. فماذا أجاب؟.

﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٣] فألجمهم بالحجة، هو يريد عليه السلام من عقول قومه أن تنتبه وتفكر، اسألوهم من الذي حطمها؟ اسألوا هذا الكبير لعله هو الذي فعل هذا اعتداءً منه عليهم؛ لأنه كبير. اسألوهم إن كانوا ينطقون، ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤﴾ [الأنبياء: ٦٤] فرجعوا إلى أنفسهم، وفكروا، وانتبهوا، فقالوا: تعبدون آلهة لا تنفع ولا تضر. ولكن سرعان ما رجعوا إلى الضلال، فعقولهم عفنة، ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥﴾ [الأنبياء: ٦٥].

فوعظهم ـ وهذا الذي يريده أمام الناس ـ فقال: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٧].

إخوة الإسلام: تصوَّروا هذه العبارات وهي تخرج من إبراهيم وهو فتى

وحده في هذا الجمع، وكلهم يمكرون به، ولو فكروا بعقولهم ما عبدوها، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فما استطاعوا أن يردوا على إبراهيم الحجة بالحجة، ولكنهم أصدروا القرار الجائر فقالوا: اقتلوه، أو حرِّقوه، إما قتل، وإما تحريق بالنار، فأجمعوا وقالوا: نقتله بالحرق في النار ليجمعوا بين الشرين، ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وكان باستطاعتهم أن يأتوا بإبراهيم ويشعلوا في ثيابه النار فيحترق وحده، فإنه كان وحيداً وهم مجتمعون، ولكن الحقد والحسد ملأ قلوبهم على إبراهيم فقالوا: ابنوا له بنياناً عظيماً ثم أشعلوا فيه النيران ثم ألقوا إبراهيم فيه، أما يعلمُ هؤلاء المجانين أن النار جندٌ من جنود الله تحرق بأمر الله ولا تحرق بأمر الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

وفي آية أخرى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨] فهم الأخسرون، وهم في أسفل سافلين، خسروا الدنيا والآخرة؛ لأنهم بقوا على عبادة الأصنام وهم في أسفل سافلين في الدنيا؛ لأنهم نزلوا في منزلة الحيوان، ولكن الحيوان لا يسجد لغير الله، ما سجد لغير الله إلا ابن آدم، سجد وعبد غير الله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧]، وهم في الدرك الأسفل من النار، ويوم القيامة يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً.

عباد الله! فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين، وهذا درس نعيش معه، وهو أنَّ المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

عباد الله! من دعا إلى التوحيد فليبشر بسعادة الدنيا والآخرة، فنتائج التوحيد في الدنيا قبل الآخرة عظيمة لكل من دعا الناس لعقيدة التوحيد، ولكل من دان لله بعقيدة التوحيد، ولكل من خرج من الدنيا على (لا إله إلا الله) سعادة في الدنيا والآخرة.

تعالوا معي إلى إبراهيم عليه السلام الذي دعا قومه إلى (لا إله إلا الله) وأرادوا به كيداً، وأرادوا أن يحرقوه، فماذا فعل الله لإبراهيم عليه السلام؟.

أولاً ـ نجّاه الله من النار:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤].

ثانياً ـ أبدله الله أرضاً خيراً من أرضه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١].

وهي أرض الشام، أرض مباركة بارك الله فيها. يا أهل الشام! إن الملائكة تضع أجنحتها على أرض الشام، أما يستحي أهل الشام أن يعصوا الله عز وجل؟!.

خرج من بلده التي كان قومه يعبدون فيها الأصنام في أرض العراق، وأبدله الله أرضاً خيراً من أرضه.

ثالثاً: أبدله الله أهلاً خيراً من أهله:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢، ٧٣].

فمنَّ الله على إبراهيم وعلى ذريته أن يكونوا عبيداً لله، وهذه هي

أعلى منازل الإنسان؛ أن يكون عبداً لله، أن يركع لله ويسجد لله.

فإذا كنت تركع للمنصب، وللدينار، وللدنيا، فقد خسرت يا عبد الله.

إذا وجدت نفسك تركع وتسجد لله وتعبد الله وحده، فاعلم أنك في منزلة عالية؛ لأنك أصبحت عبداً لله.

يا دعاة الإسلام! انشغلوا بدعوة التوحيد أولاً، وربُّوا الناس على عقيدة التوحيد، ولا تنشغلوا بالقيل والقال، ولا تقلدوا من لا دين لهم؛ فالله ﷻ جعلكم من خير أمة أخرجت للناس. يا دعاة الإسلام! دعوها فإنها منتنة واحذروا التحزّب والاجتماعات من وراء الجدران، فديننا واضح لا غبار عليه، والله يحفظ دينه ويقيم دولة الإسلام ولكن متى؟ عندما يرى ربنا ـ جلَّ وعلا ـ منا أننا أصبحنا أهلاً لذلك، فلا تنشغلوا بالشيء قبل أوانه، واحذروا الاستعجال؛ فالاستعجال ضيَّع الأمة وفرَّقها، وإلى متى هذا الضلال والبعد عن الكتاب والسنّة؟!.

فهذا كتاب ربنا بين أيدينا وسنة نبينا ﷺ بين أيدينا.

ورسولنا ﷺ يقول: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١).

فإن تركنا الكتاب والسنّة ضللنا، وإن تمسكنا بالكتاب والسنّة سرنا على صراط مستقيم، وهذا منهج أصحاب رسول الله، نهجوه وساروا فيه، فوصلوا إلى رضى الله والجنة، ورضي الله عنهم ورضوا عنه.

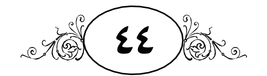
قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].



٤٤

إبراهيم عليه السلام يناظر قومه

عباد الله!

لا زلنا - يا عباد الله - في صدد الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام إلى عقيدة التوحيد.

- فإبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عقيدة التوحيد بلسانه، وبيّن لهم أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر.

- ودعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد بيده، فحطم الأصنام التي يعبدونها من دون الله ليبين لهم أنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضراً.

فقال لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع إبراهيم عليه السلام وهو **يناظر قومه ويدعوهم في مناظرته إلى عقيدة التوحيد.**

إخوة الإسلام: قوم إبراهيم عليه السلام كانوا في ضلالٍ مبين، كانوا يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، فبيّن لهم إبراهيم عليه السلام أنها لا تنفع ولا تضر، وكانوا أيضاً يعبدون النجوم والكواكب والشمس والقمر، وإبراهيم عليه السلام لا يكل ولا يمل في دعوة قومه إلى التوحيد، فها هو يبيّن لهم أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وكذلك ينتقل بهم إلى الكواكب والنجوم، ويبيّن لهم أنها لا تنفع ولا تصلح أبداً أن تكون آلهة تعبد من دون الله.

عباد الله: تعالوا بنا إلى سورة الأنعام، هناك يبيّن لنا ربنا في كتابه

كيف ناظر إبراهيم قومه فأفحمهم وانتصر عليهم، لنتعلم يا أمة الإسلام من إبراهيم عليه السلام كيف ندعو في كل وقت وكل حين إلى عقيدة التوحيد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٤ ـ ٧٩].

إبراهيم في هذه الآيات يناظر قومه، وهذا أسلوب بديع من أساليب المناظرة وهو أن يتكلم المناظر بكلامهم وبما هم عليه من باطل، حتى إذا ظهر الباطل أمامهم قذف عليه بالحق فيدمغه فإذا هو زاهق، فإبراهيم عليه السلام استخدم مع قومه هذا الأسلوب فجلس معهم وهم ينتظرون الليل ليعبدوا هذه الآلهة من النجوم والكواكب ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ أي: على زعمهم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ﴾ فهو يريد أن يحرك عقول قومه، كيف تعبدون آلهةً تغيب عنكم تارة وتظهر تارة؟! فهذا لا يصلح أن يكون إلهاً ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ أي: على زعمكم يا قوم، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، هو يريد من قومه أن يفكروا هكذا، ولا بد لكل إنسان أن يفكر بعقله الذي منَّ الله عليه به وميزه به عن الحيوانات، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، أي: على زعمكم ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾، يقول الله عز وجل: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ﴾ أي: أخذوا يجادلونه في المجلس؛ لأنه حطم الأصنام وأبطل ما يعتقدونه في النجوم والكواكب، وبيّن لهم أن هذه لا تصلح أبداً أن تكون آلهة تعبد، وحاجّه قومه؛ أي: جادلوه فيما قال.

﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ فخوَّفوه من الآلهة، وقالوا: إنها ستؤذيك يا إبراهيم، فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾ أي: كيف أخاف من هذه الآلهة المزعومة التي تنحتونها بأيديكم ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً؟ ثم يقول لهم: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي الفريقين أحق بالأمن والأمان: الذين يعبدون الله وحده، أم الذين يعبدون غير الله ويسجدون ويركعون لغير الله؟ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ ـ (أي: بشركٍ) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢].

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

عباد الله! إبراهيم عليه السلام ناظر قومه وبيّن لهم بالحجة والبرهان القاطع أن النجوم والكواكب لا تصلح أبداً أن تكون آلهةً تعبدُ؛ لأن الإله لا يغيب عن خلقه أبداً.

إخوة الإسلام! هناك بعض المفسرين في كتب التفسير ظنوا أن إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات كان ناظراً في النجوم يبحث عن إلٰهه وربه، وهذا على زعمهم يدل على أن إبراهيم عليه السلام قبل أن يهتدي إلى ربه كان مشركاً، وهذا كلام باطل ضعيف؛ لأنه يخالف الأدلة من الكتاب والسنّة، ومن باب النصيحة التي هي دائماً بيني وبينكم أردت أن أبيّن الأدلة من الكتاب والسنّة التي تبين لنا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن مشركاً طرفة عين، وأنه في هذه الآيات ـ التي في سورة الأنعام ـ كان مناظراً لقومه وليس ناظراً في النجوم.

الدليل الأول: هذا إبراهيم عليه السلام يخبرنا أنه لم يكن من المشركين أبداً قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

الدليل الثاني: الله ﷻ يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه لم يكن من المشركين طرفة عين، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، فنفى الكون في الماضي والنفي هنا للاستغراق؛ أي: لم يك من المشركين قبل هذه المناظرة طرفة عين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وأمر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسولنا ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: ٥١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، والقلب السليم: هو الذي لم يعرف الشرك طرفة عين.

الدليل الثالث: من السنّة.

قال ﷺ: «**كل مولودٍ يُولد على الفطرة، حتى يُعرب عنه لسانهُ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»[١].

أي يعرف أن الذي خلقه هو الله، ولذلك لو ترك دعاةُ الباطلِ الناسَ وهم صغارٌ على فطرتهم لاتجهوا جميعاً إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده لِمَ؟ لأن الله أخذ هذه الأرواحَ في عالم الغيب من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ فأجابوا جميعاً قائلين: بلى.

إخوة الإسلام! إبراهيم هو أبو الأنبياء، وإمام الموحّدين، وخليل ربّ العالمين، ولم يكن مشركاً طرفة عين.

---

(١) **صحيح**: طب: (١/ ٢٨٣)، ع: (٢/ ٢٤٠)، [«ص.ج» (٤٥٥٩)].

عباد الله! إبراهيم ﷺ يعلّمنا كيف ندعو إلى عقيدة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعا والده إلى عقيدة التوحيد، ودعا قومه إلى عقيدة التوحيد، وناظر قومه ودعاهم من خلال المناظرة إلى عقيدة التوحيد.

وها هو الآن يُطلَبُ إلى النمرود، وهو طاغية يحكم البلاد في ذلك الزمان، وكان يدَّعي الربوبية، فلما سمع عن إبراهيم الذي حطم آلهة القوم استدعاه لمقابلته.

ذهب إبراهيم عليه السلام بما أتاه الله من حجة، ووقف أمامه ليناظره ويبيّن له أن الله وحده هو المستحق للعبادة. فانظروا معي، هل طلب إبراهيم من النمرود أن يتخلّى عن الحكم وقال: أنا أحق بالحكم منك؟ هل طلب إبراهيم من الناس أن يلتفوا حوله ليقضي على هذا الطاغية؟ ـ تعلموا يا دعاة الاستعجال ـ حاشاهُ أن يفعل ذلك؛ لأنه يدعو إلى منهج وإلى العقيدة أولاً.

ثم بعد ذلك تقوم دولة الإسلام إذا أراد الله ذلك ووجد الناسَ أهلاً لأن يقيموا دولة الإسلام.

عبادَ الله! إبراهيم يقف أمام النمرود، والنمرود يجادله ويسأله عن ربه الذي يدعو الناس إليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فلما سأل النمرودُ إبراهيم عليه السلام عن ربه الذي يدعو الناس إليه ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، قال النمرود ـ وهو يريد أن يدجّل على الأغبياء من شعبه ـ: أنا أُحيي وأميت، فجاء باثنين من السجن، وقد حكم عليهما بالإعدام فعفى عن أحدهما، ونفذ الحكم في الآخر، ثم قال: ها أنا يا إبراهيم أحييت هذا وأمت هذا! وهذا كلام يأْنَفُ الصغار أن يقولوه،

ولكن إبراهيم عليه السلام الذي أتاه الله الحجة والبرهان القاطع ما وقف يجادل النمرود في الإحياء والإماتة، ويبيّن له أن الذي فعلته ليس إحياء ولا إماتة، ولكنه ضرب ما عنده من باطل بما معه من حق وألجمه أمام شعبه.

فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فهل يستطيع أحد من المخلوقات أو من الملائكة أو من الجن أن يأتي بالشمس من المغرب، والله يأتي بها من المشرق؟ الجواب: لا، ولذلك ما استطاع النمرود أن يتكلم فألجمه بالحجة أمام شعبه.

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عباد الله: إبراهيم دعا أباه فلم يستجب، ودعا قومه فلم يستجيبوا، ودعا النمرود فلم يستجب، ولكن ما عليه إلا البلاغ، فالداعية لا يملك إلا البلاغ والله عز وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولذلك ـ يا دعاة الإسلام ـ عليكم أن تدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، ولكن متى يهتدي الناس؟ الله أعلم، متى تقوم دولة الإسلام؟ الله أعلم، متى يخرج الناس من هذه الظلمات؟ الله أعلم، علينا أن ندعو إلى عقيدة التوحيد، وأن نبيّن للناس: هذا طريق الحق، وهذا طريق الضلال، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وهذا يحتاج من الدعاة إلى علم ـ أن يدعو الناس على علم ـ فالداعية الذي يعرف كتاب ربه ويعرف سنّة نبيه صلى الله عليه وسلم يعلم أن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله منهج واضح، ومن كان على علم بالكتاب والسنّة لا يخرج عن منهج الأنبياء، ولكن الداعية الذي يدعو الناس على جهل فيأخذ عنوان موعظته من جريدة اليوم أو يأخذ خطبته من فيلم ظهر على شاشات المفسديون، فهذا لا يزيد الناس إلا ضلالاً، فكثير من الدعاة يأتي ويقف على المنبر ويتكلم للناس عن أخبار الأسبوع كاملة، والناس يعرفون ذلك؛ بل ربما كثير من الناس يعلمون ذلك ويعلمون أكثر من الداعية في ذلك؛ فهم يسمعون الأخبار ويقرؤون الصحف والجرائد، فيأتي الخطيب ليخبرهم بما يعرفون ويترك الناس لا يعرفون دينهم، فهم يأكلون الربا ونساؤهم تبرجت وأصبحت أشكالهم مثل أشكال الكفار، وبيوتهم مثل بيوت

الكفار، لِمَ؟ لأن الدعاة شغلوهم بما يكون في هذا الوقت ولم يشغلوهم بدينهم! أقول: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنّة والتمسّك بهما، ثم بعد ذلك إذا عدنا إلى الله ونصرنا الله في أنفسنا نصرنا الله على عدونا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

عباد الله! بذلك نكون قد انتهينا من الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه إلى عقيدة التوحيد، لنعيش بعد ذلك مع الدروس والعبر التي تؤخذ من منهج إبراهيم ودعوته إلى عقيدة التوحيد.

أسأل الله أن يفقِّهنا وإياكم في ديننا

اللّهمَّ ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





دروس وعبر مِنْ دعوة إبراهيم عليه السلام
١ ـ التقليد الأعمى

عباد الله!

في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام إلى قومه، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الدرس الأول من الدروس التي تؤخذ من دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه.

وهو بعنوان: التقليد الأعمى ضلال في الدنيا وندم يوم القيامة.

عباد الله: التقليد في اللغة هو: جَعْلُ القلادة في العنق، يُقال: فلان قلَّد فلاناً؛ أي: جعل القلادة في عنقه.

أمّا التقليد في الشرع فهو: أن يقلّد الرجل غيره في كل شيء بلا دليل ولا برهان، وهذا إبراهيم عليه السلام دعا قومه بالليل والنهار إلى عقيدة التوحيد وبيَّن لهم بالعلم والبرهان والحكمة والحُجة والعقل أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تسمع الدعاء، وحطمها أمامهم ليبيّن لهم أنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضراً ولا نفعاً، ومع ذلك لم يستجيبوا له، أتدرون ما السبب يا عباد الله؟ السبب هو التقليد الأعمى للآباء والأجداد.

فإبراهيم عليه السلام قال لأبيه وقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٠ ـ ٧٤]، تقليد بلا دليل ولا برهان.

وقال لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣]، تقليد أعمى للآباء فضلُّوا وأضلُّوا، ولذلك ذمَّ ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه هؤلاء الذين يقلدون بلا دليل ولا برهان.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢١].

أَوَلَو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون؟ نعم.

أَوَلَو كان الذي يدعوهم إلى ذلك هو الشيطان؟ نعم، تقليد أعمى.

أمة الإسلام! التقليد الأعمى مرض خطير أصاب كثيراً من الناس حتى أنهم يقلدون غيرهم بلا دليل ولا برهان في كل شيء، حتى في الفواحش والله أخبرنا بذلك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

كانوا قبل الإسلام يطوفون بالبيت الحرام عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم رجالاً ونساءً، فلما قيل: هذا حرام، قالوا: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، تقليد حتى في الفواحش، نعم وسيظهر لنا الآن أننا قلدنا الكفار في كل شيء حتى في الفواحش.

عباد الله! التقليد الأعمى مرض أصاب الكثير من الأمة الإسلامية، ورسولنا ﷺ أخبرنا بذلك.

قال ﷺ: «**لتتبعنَّ سَنَنَ الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم**»، قلنا: يا رسول الله: آليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[١].

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع**»، فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولئك**»[٢].

وقد وقع ما أخبر به المصطفى ﷺ.

فوالله قد قلّدناهم في كل شيء حتى في الفواحش، وبالمثال يتضح البيان.

أولاً: قلّدنا اليهود والنصارى في بناء المساجد على القبور؛ ففي كثير من بلاد المسلمين في هذا الزمان بُنيت المساجد على القبور تقليداً لليهود والنصارى. ويخبرنا رسولنا ﷺ عن اليهود والنصارى.

يقول ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة**»[٣].

وقال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٤]، وقد فعلنا مثلهم.

وهناك من الجهلة من يوصي قبل موته أن يدفن في المسجد الذي بناه لله، ومن فعل ذلك أثَمَ وعصى الله ورسوله.

ثانياً ـ قلّدنا الكفار في رفع القبور:

فرفعنا القبور أكثر من شبر، وكتبنا على القبور، وبنينا عليها بالرخام وزرعنا الأشجار والزيتون على المقابر، فانظروا معي ـ عباد الله ـ وواقعنا

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٦٩). (٢) **صحيح**: خ: (٦٨٨٨).

(٣) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨).

(٤) **صحيح**: خ: (١٣٢٤)، م: (٥٢٩).

يشهد بذلك، ها هي قبور المسلمين وها هي قبور الكفار، وها هو البقيع في المدينة دفن فيه من خيرة الناس وهم أصحاب رسول الله ﷺ هل رأى من ذهب هناك شجرة زرعت على قبرٍ في البقيع؟ أنحن أعلم منهم؟ لو كان خيراً لفعله الصحابة، لرفعوا القبور وبنوا الرخام وكتبوا الأسماء، ولكنهم علموا أن رسولهم ﷺ نهى عن ذلك.

عباد الله! زيارة المقابر شرعت لترقق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فإذا كانت القبور كالحدائق والبساتين، فأنَّىٰ تحصل الذكرى؟! إضافةً إلى كَوْن زراعتها ورفعها وبنائها كل ذلك مخالفات شرعية.

ثالثاً ـ قلّدنا الكفار في الربا:

تَعامُلنا في تجارتنا ـ إلا من رحم ربي ـ قائم على الربا؛ بل أصبح الكثير من الناس يعتقد أنه لا يستطيع أن يتاجر إلا بالربا ولا يحفظ ماله إلا في بيوت الربا.

عباد الله! بيوت الربا (البنوك) في بلاد المسلمين أعلى بناءً من بيوت الربا في بلاد غير المسلمين، (البنوك) في بلاد المسلمين تعطي فائدة أعلى من بنوك الكفار لِمَ؟ لأننا سلكنا مسلكهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فأكلنا الربا بلا دليل ولا برهان، فوالله لو أن الذي أكل الربا وتعامل بالربا فكر قليلاً ما أكل الربا، لو علم أن الله قال في كتابه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] لقال في نفسه: كيف أُقْدِمُ على الحرام؟ ولو قرأ كتاب الله ووجد أن الله أعلن الحرب على آكل الربا لامتنع عن أكله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

ولو علم آكل الربا أن رسول الله ﷺ قد «**لعن آكل الربا وموكله**»[1]، ما أكل الربا.

---

(١) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

ولو علم آكل الربا أن رسول الله ﷺ قال: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد عند الله من ستٍّ وثلاثين زنية**»[١]. ولكننا أكلنا الربا تقليداً أعمى للكفار.

رابعاً ـ قلّدنا الكفار في التبرج والاختلاط:

عباد الله! قلدنا الكفار في التبرج، وواقعنا يشهد بذلك، فلا يختلف اثنان في أن ما نراه في شوارع المسلمين إنما هو تقليد أعمى للكفار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أقول: والله تبرج الجاهلية الأولى لهو حشمة ووقار إذا ما قُورن بتبرج القرن العشرين، عجب والله!! رجلٌ تربّى على الإسلام والشهامة والعروبة يسمح لابنته أو زوجته أن تخرج إلى الشارع كما نرى!! ما الذي أصابنا يا عباد الله؟!.

أتدرون ما الذي أصابنا؟ إنه التقليد الأعمى لما نرى عبر شاشات المفسديون.

يقول ﷺ عن صنف من نساء أهل النار: «**صنفان من أهل النار لم أَرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٢]. وهذا ما نراه في القرن العشرين.

انظروا إلى شباب المسلمين الآن، كيف يحلقون شعورهم؟ أتجدون ذلك في بلاد المسلمين يا عباد الله أن يحلق نصف شعره من أسفل ورسولنا ﷺ نهى عن ذلك، ولكنه التقليد الأعمى، إدخال المفسديون في البيوت وتركيب الأطباق اللاقطة (الستالايت) على البيوت، تقليد أعمى

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، [«ص.ج» (٣٣٧٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

للكفار بلا دليل ولا برهان ليصبّ الفساد في بيته صبّاً، هل هناك عاقل يحافظ على الصلوات الخمس في المسجد، ويعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١)، ويأتي بهذا الجهاز ويضعه على بيته.

عباد الله! والله لا يشرِّف المسلم أبداً أن يسكن في بيت عليه هذا الجهاز، وسيندم الذين أقدموا على شراء هذا الجهاز، والله إنهم سوف يجنون الشوك بأيديهم، وذلك عندما يرى في بيته الفساد وقد نبت فلا يستطيع أن يحصد إلا الشوك؛ لأنه هو الذي زرع الشوك وغش رعيته، وهذا هو التقليد الأعمى الذي ضيع الأمة وفرقها ولا نملك إلّا أن نقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

عباد الله! التقليد الأعمى ضلال في الدنيا وندم يوم القيامة:

ضلال في الدنيا وقد تبيّن لكم، وأي ضلال بعد هذا الذي وصلنا إليه.

وندم يوم القيامة، والعاقل من اتعظ بغيره، يخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ عن هؤلاء الذين قلدوا بغير دليل ولا برهان، فيقول ﷻ: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾**﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].

أي: قال الذين اتبعوا: لو أن لنا كَرَّة؛ أي: عودة إلى الدنيا مرة ثانية فنتبرأ منهم.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/ ١٧٩)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].

بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨]، ندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

أمة الإسلام! التقليد الأعمى فرّق الأمة:

انظروا إلى المسلمين اليوم كلٌّ يقلد شيخه بلا دليل ولا برهان، كلٌّ يقلد حزبه وجماعته بلا دليل ولا برهان، تقول لأحدهم: يقول رسول الله ﷺ كذا وكذا، يرد عليك بكل جهل ويقول: شيخي يقول كذا! تقول له: رسول الله ﷺ يقول: اعفوا اللحى، وفِّروا اللحى، أطلقوا اللحى، يقول لك: جماعتي وحزبي يقولون: احلقوا اللحى!! تقليد أعمى بلا دليل ولا برهان.

والله إني لأعرف شباباً كانوا على درجة من العلم والالتزام فجلسوا مع أَمثال هؤلاء فدعوهم إلى الضلال فاتبعوهم بلا دليل ولا برهان، فقاموا بحلق لحاهم أو بحفها وتقصيرها، فتشبهوا بالكفار وتخلفوا عن صلاة الجماعة، وعن دروس العلم وظنوا أنها قشور لا يجب أن ننتبه إليها الآن، فضلّوا وأضلّوا.

فيا شباب الإسلام، احذروا دعاةً على أبواب جهنم إذا دعوكم فقولوا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

عباد الله! يوم أن قلدنا الكفار في كل شيء ضللنا، ولِمَ لا.

ورسولنا ﷺ يقول: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عَليَّ الحوض**»(١).

فالعلاج لهذا المرض الخطير يكون بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنّة، فبالعلم الشرعي تميز بين الحلال والحرام، وبين السنّة والبدعة، وبين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان.

يكون معك النور الذي تستطيع به أن تتبين، ولكن بالجهل تقلد غيرك في أكل الربا والتبرج، وفي كل معصية، وتظن يا مسكين أنك تُحسن صنعاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

اللّهم فقّهنا في ديننا

* * *

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

٤٦

(٢) الابتلاء سنّة مِنْ سُنن الله في خلقه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الدرس الأول من الدروس التي تؤخذ من دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه إلى عقيدة التوحيد.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الدرس الثاني من هذه الدروس، وهو بعنوان: «**الابتلاء سنّة من سنن الله في خلقه**».

عباد الله! كثير من الناس في هذه الدنيا يدَّعون الإيمان والصلاح وما هم بمؤمنين ولا صالحين، ولكنهم من الكاذبين، وبهذا أخبرنا ربّ العالمين.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

عباد الله! لمّا كان من الناس في هذه الدنيا من يقول: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، كان لا بد من الابتلاء في الدنيا؛ ليميز الله الخبيث من الطيب.

ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]؛ أي: أنهم يدَّعون الإيمان والصلاح، والإيمان والصلاح منهم براء.

عباد الله! اعلموا أن أشد الناس بلاء في هذه الدنيا هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

قال ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**»(١). وبالمثال يتضح البيان:

• **فهذا أيوب** عليه السلام: ابتُلِيَ بمرض طال فيه عناؤه، وابتُلِي بفقد المال والولد فصبر أيوب عليه السلام صبراً جميلاً على الابتلاء حتى إن الله عز وجل قال فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وهذا يوسف عليه السلام: ابتُلِيَ بإخوته الذين ألقوه في غيابة الجب يريدون أن يتخلّصوا منه، وابتُلِيَ بامرأة العزيز التي راودته عن نفسه، وابْتُلِيَ بالسجن بضع سنين، ومع ذلك صبر على الابتلاء صبراً جميلاً حتى إن الله عز وجل قال فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

• **وهذا يونس** عليه السلام: ابتُلِيَ بالسجن في بطن الحوت، فصبر على ذلك صبراً جميلاً حتى جعل الله له مخرجاً، ونجَّاه من الغمِّ وكذلك ننجي المؤمنين.

• **وهذا إبراهيم** عليه السلام: الذي نحن في صدد الحديث عنه يضرب لنا أَروع الأمثلة في الصبر على الابتلاء لتصبروا على الابتلاء يا أمة الإسلام،

(١) صحيح: حب: (٢٩٠٠)، ك: (١/ ١٠٠)، هق: (٣/ ٣٧٢)، [«ص.ج» (٩٩٣)].

فالشاهد والواقع الآن أنه لا يختلف اثنان في أن الأمة الإسلامية في ابتلاءٍ شديد، مكرٌ بالليل والنهار، تعذيب لها بالليل والنهار، فماذا يجب علينا؟ هل نقوم بالانتقام على ما نحن فيه من ضعف أم نصبر على هذا الابتلاء حتى نعود إلى ديننا، فيجعل الله لنا مخرجاً كما جعل للأنبياء والصالحين مخرجاً؟ نقول ذلك ونذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين.

***عباد الله:* هذا إبراهيم** عليه السلام: **أولاً**: ابتُلِيَ بوالد كافر، ومن أكبر الابتلاء أن يبتلى الرجل بوالد كافر.

يأمره بالكفر، وينهاه عن الدين والإسلام، ومع ذلك صبر إبراهيم على هذا الابتلاء ودعا أباه إلى عقيدة التوحيد، وصبر على أذى والده له حين قال له: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: ٤٦].

تهديد له بالرجم والطرد، ومع ذلك صبر على الابتلاء.

ثانياً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بقوم كفار يعبدون الأصنام والنجوم والكواكب بالليل والنهار، ومع ذلك صبر على دعوتهم إلى عقيدة التوحيد، وصبر على أذاهم.

ثالثاً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بالإلقاء في النار التي أجَّجها له الظالمون؛ أوقدوا له ناراً حامية وألقوه فيها، ومع ذلك صبر على هذا الابتلاء وقال: «حسبي الله ونعم الوكيل».

رابعاً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بالهجرة من الوطن والأهل، ومع ذلك صبر واحتسب ابتغاء مرضاة الله.

خامساً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل، وهذا بلاءٌ شديد حتى إن الله عز وجل أخبرنا بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات: ١٠٦]، فتعالوا ـ يا أمة الإسلام ـ لننظر إلى إبراهيم عليه السلام كيف ابتُلِيَ بذبح ولده؛ لنتعلّم منه وهو يصبر على ذلك ويستسلم لله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصافات: ٩٩ ـ ١٠٨]، وجاءه الولد على الكبر، والولد إذا جاء على كبر كان له مكانة ومحبة في قلب أبيه، وعندما كبر إسماعيل وترعرع وفرح به إبراهيم عليه السلام رأى في منامه رؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ أن يذبح ولده إسماعيل ابتلاءً وتمحيصاً.

فماذا قال الابن؟ قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، الله أكبر! على أي مائدة تربيت يا إسماعيل؟! على مائدة التوحيد، على مائدة العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ استسلم إبراهيم وإسماعيل لأمر ربهما، وهمَّ إبراهيم بالذبح ووضع السكين على رقبة إسماعيل، ولكن دائماً يأتي الفرج بعد الصبر على الابتلاء ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾؛ أي: بكبش عظيم.

عباد الله! صبر إبراهيم عليه السلام على الابتلاء، فماذا كانت النتيجة؟.

أولاً: نجّى الله عز وجل ولده إسماعيل من الذبح، وحفظه حتى صار نبياً من الصالحين، وصار له ذرية كان منها فيما بعد رسولنا صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: نجّى الله ولده إسماعيل من الذبح، وبشره بغلام آخر وهو إسحاق عليه السلام.

ثالثاً: شهد الله عز وجل لإبراهيم أنه من المحسنين وكفى بالله شهيداً، والإحسان أعلى درجات الإيمان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال في آية بعدها: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١١٠].

رابعاً: شهد الله لإبراهيم بالصدق.

أي: بالصدق في دعوته وتوحيده وإيمانه وصبره على الابتلاء.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

خامساً: جعل الله لإبراهيم ذكراً حسناً في الآخرين: فأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، اقرؤوا القرآن تجدوا الكثير من آيات الله تتكلم عن توحيده ودعوته للناس إلى عقيدة التوحيد.

ونحن نذكره في صلاتنا إذا جلسنا للتشهّد.

ونذكره نحن معشر المسلمين في كل عام في عيد الأضحى، ونحن نتقرب إلى الله بذبح الأضاحي سنّة أبينا إبراهيم.

لتعلموا يا أمة الإسلام أن النصر مع الصبر، وليس مع التسرع والاستعجال.

يا شباب الإسلام! يا دعاة الاستعجال والعاطفة! يا من سلكتم طريقاً غير طريق الأنبياء! لتعلموا أن التمكين في الأرض لا يكون إلا بعد الصبر على الابتلاء.

والله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

أي: لا يكون أبداً النصر مع الاستعجال والعاطفة، أو مع الخطب الرنانة التي تشعل الناس حماساً، كفانا خطباً رنّانةً، وحماساً يؤدّي إلى جني الثمار قبل نضجها، فقد ضاع الشباب، وامتلأت السجون بشباب المسلمين بسبب التسرع والتهور، ولذلك رسولنا ﷺ ربّى أمته على الصبر على الابتلاء وعدم الاستعجال.

عباد الله! ورسولنا ﷺ يربّي أمته على الصبر على الابتلاء:

أولاً: رسولنا ﷺ ـ وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقد أرسله الله

رحمة للعالمين ـ يمر ﷺ على بعض أصحابه وهم يعذبون على أيدي الكفار والظَّلَمة، ومع ذلك يقول لهم: «**صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**»(١)، أأنتم ـ يا دعاة الاستعجال ـ أرحم بالأمة من رسول الله؟!.

ثانياً: رسولنا ﷺ يربّي خباب بن الأرت والأمة الإسلامية على الصبر على الابتلاء، ويبيّن لهم أن النصر لا يكون إلا بعد الصبر على الابتلاء.

يقول خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(٢).

كثير من الشباب إذا ابتلي بابتلاء قليل، أو سجن في سجون الظلمة أياماً، خرج من السجن ينتقم ويكفّر؛ لا.

إنما هو ابتلاء من الله وتمحيص. أرأيتم الذهب وهو ذهب يُدْخل النار لينقى من الشوائب، وكذلك المؤمن يدخل في البلاء مؤمناً ويخرج منه مؤمناً قوياً.

واللهِ داعيةٌ من دعاة الاستعجال ذكر هذا الحديث كاملاً ولم يذكر (ولكنكم تستعجلون)، أتدرون [لِمَ]؟ لأن هذه الكلمة نقض لكل ما يفعلونه، وكأنه يريد أن يقول: لا ينبغي أن تكون هذه الكلمة من رسول الله ﷺ! وهل ذقنا الوبال وامتلأت السجون إلا من الاستعجال والتسرع القائم على العاطفة.

---

(١) **حسن صحيح**: ك: (٣/ ٤٣٢)، طب: (٢٤/ ٣٠٣)، هق: (٢/ ٢٣٩)، حل: (١/ ١٤٠)، [«فقه السيرة»].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

عباد الله! الصبر على البلاء لا بُدَّ منه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

عباد الله! اعلموا أنَّ الابتلاء في هذه الدنيا سنّةٌ مِن سنن الله في خلقه.

فالله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه خلق الخلق ليبتليهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

- الابتلاء في هذه الدنيا يكون بالسراء والضراء، والحسنات والسيئات، والخير والشر، والفقر والغنى، والصحة والمرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

- فهذا أيوب عليه السلام ابتُلِيَ بالشدة، والمرض، والفقر، وفقد الأولاد، فصبر، فقال ـ تعالى ـ عنه: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

- وهذا سليمان عليه السلام ابتُلِيَ بالسّرّاء فشكر.

فقال الله عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

فالمؤمن في هذه الدنيا إذا ابتلي بالسّرّاء يشكر، وإذا ابتلي بالضّرّاء يصبر.

فرسولنا ﷺ يقول: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كُلَّهُ له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته**

ضرّاءُ صبر فكان خيراً له»(١).

ونحن في هذه الدنيا نتقلب بين السرّاء والضرّاء.

فيا أخا الإسلام: إذا ابتليت بالفقر فعليك أن تصبر صبراً جميلاً، وتبحث عن وسائل الحصول على الرزق الحلال، ولا تهرول إلى أبواب الربا لتقترض منها، فكثير من الناس لا يصبر على الفقر فيتورط في الربا.

● إذا ابتليت بعدم الأولاد والإنجاب، فعليك أن تصبر وتأخذ بالوسائل المشروعة للحصول على الأولاد، ولا تهرول إلى أبواب السحرة والدجّالين.

● إذا ابتليت بفقد المال وسرقته، فاصبر على ذلك وخذ بالأسباب المشروعة لمعرفة السارق، وإياك أن تهرول إلى أبواب السحرة والكهنة والمشعوذين لتعرف منهم السارق، فإنهم لا يعلمون الغيب.

● إذا ابتليت بالسراء فمنَّ الله عليك بالمال الكثير فاشكر، والشكر أن تعلم أن هذا المال الكثير هو من عند الله، وأن تستخدم هذا المال في طاعة الله، وليس في شراء المفسديون وألبسة التبرج، وتعصي الله ﷻ بهذا المال.

● أن تتحدث بنعمة الله عليك بهذا المال. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، أن يظهر عليك أثر هذا المال، وأن تقول به هكذا وهكذا في سبيل الله.

● إذا ابتليت في هذه الدنيا بمنصب فاعلم أن هذا ابتلاء، وأن هذا المنصب لا يدوم لك، فاتقِ الله فيه، ولا تعصي الله به، واستخدمه في خدمة الإسلام والمسلمين، وإياك أن تتخذ منصبك لمحاربة الإسلام والمسلمين.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

عباد الله! فالكل راجع لله والكل موقوف أمام الله، وكل واحد مجزي بما عمل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إخوة الإسلام! بذلك نكون قد انتهينا من الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يحشرنا وإياكم معه ومع نبينا ﷺ في جنات النعيم

❁ ❁ ❁

٤٧

موسى عليه السلام

عباد الله!

في الجمع الماضية تبيّن لنا كيف دعا نوح قومه إلى عقيدة التوحيد بالليل والنهار، سرّاً وجهراً، ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يكلّ ولا يملّ.

وتبيّن لنا أيضاً كيف دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد وصبر على أذاهم.

والله عز وجل أمر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤]. ورسولنا صلى الله عليه وسلم ربّى أمته على الصبر وعدم الاستعجال.

فقال صلى الله عليه وسلم، كما مر في الجمعة الماضية: «**ولكنكم تستعجلون**»[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم مع الرسول الثالث من أُوْلي العزم، أتدرون من هو يا عباد الله؟ **إنه موسى** عليه السلام **كليم الله**، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

أمة الإسلام! ولد موسى عليه السلام في ظروف صعبة جداً.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

كان فرعون ـ عليه وعلى كل فراعنة الدنيا لعنة الله إلى يوم القيامة ـ كان يذبح أبناء بني إسرائيل الذكور، فوُلد موسى في هذه الظروف، وخافت أم موسى عليه خوفاً شديداً، ولكن انظروا ـ يا عباد الله ـ كيف يحفظ الله عباده، وكيف يدافع الله عن عباده المؤمنين، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ﴾ [القصص: ٧].

عباد الله! تعالوا بنا نحكِّم العقول والعواطف في هذا الكلام: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾، ولكنه أمرٌ من خالق السمٰوات والأرض. ***عباد الله!*** ولما أمرها ربها بأن تلقيه، وعدها ربّ العزة فقال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٧].

عباد الله! انظروا أين تربَّى موسى عليه السلام؟ في بيت الذي يذبح الأولاد من بني إسرائيل، في بيت فرعون.

فوضعت أم موسى موسى في اليم فأخذه اليم، وذهب به إلى ما شاء الله ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص: ٨].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٩]، من الذي جعل امرأة فرعون تقول: لا تقتلوه؟ إنه هو الله الذي يحفظ عباده المؤمنين.

عباد الله! موسى وصل إلى بيت فرعون ليتربّى في بيته، ويرضع من أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن، إنها توكلت على الله عز وجل فانظروا كيف يحفظ الله عباده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص: ١٤].

عباد الله! خرج موسى عليه السلام يوماً من بيت فرعون إلى المدينة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ﴾ [القصص: ١٥]. ندم موسى على ما صنع، وتاب إلى الله فتاب الله عليه. فأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب، والقوم يبحثون عنه ليقتلوه، ولكن جاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، فخرج موسى من بلاد مصر وتوجه إلى بلاد مَدْيَن عبر الصحراء بالليل والنهار فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

● وهناك ـ يا عباد الله ـ في بلاد مدين أمَّنه الله من الخوف، فقال الشيخ الكبير لموسى عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

● ومنَّ الله عز وجل على موسى بعمل حلال يرتزق منه، لتعلموا ـ يا عباد الله ـ كيف يهيء ربنا ـ جلَّ وعلا ـ الأسباب لمن اتقاه، ولمن آمن به، فيمنُّ عليه بالأمن والأمان ويرزقه رزقاً حلالاً بعمل مشروع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

● ومنَّ الله عليه بزوجة صالحة، فقال الشيخ الكبير: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: ٢٧].

قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

عباد الله! لا نريد أن نتكلم عن موسى وقصته بالتفصيل، كما قلنا في بداية الكلام عن العقيدة، ولكن نريد أن نتكلم عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لنتعلم ـ يا دعاة الإسلام ـ كيف ندعو إلى الله على بصيرة، ولا نستعجل في قطف الثمار قبل نضجها فنندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ﴾ [القصص: ٢٩]، فمشى في الصحراء بين الجبال، وبينما هو يسير مع أهله رأى ناراً فقال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٠ ـ ١٦].

عباد الله! موسى من الآن سيدعو إلى عقيدة التوحيد بعدَ أن أوحى الله إليه.

قال ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٤، ١٥]. وقال ـ تعالى ـ لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٧، ١٨].

وموسى قبل قليل، قبل أن يخرج بأهله كان يرعى الغنم، وما من نبي إلا رعى الغنم؛ لأن الذي يرعى الغنم ويصبر عليها ويكون أميناً عليها هو الذي يستطيع أن يرعى الأمم ويكون أميناً عليها.

أما الذين تربوا على مائدة الكفر، وفي أحضان الكفار فلا يمكن أبداً أن يرعوا الغنم، ولا الأمم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! وهل خرج موسى من بلاد مصر إلا بسبب فرعون. يقول الله تعالى لموسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، الأمر خطير وليس

باليسير، وهل يستطيع موسى أن يقول: لا؟ الجواب: لا، فماذا فعل موسى دعا الله ﷻ فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٦].

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧ ـ ١٩].

ولكن موسى يطلب من ربه فيقول: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٤، ٣٥].

والآن يتوجه موسى عليه السلام إلى بلاد مصر، لِمَ يا عباد الله؟ ليدعو فرعون إلى عقيدة التوحيد وإلى (لا إله إلا الله).

دخل موسى عليه السلام على فرعون. كيف دعاه إلى عقيدة التوحيد؟ وبماذا رد عليه فرعون؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى.

عباد الله! ما هي الدروس والعبر التي نأخذها مما سمعنا؟.

أولاً: احفظ الله يحفظك:

قال ﷺ: «**يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك...**»[1] الحديث.

عباد الله! انظروا كيف حفظ موسى عليه السلام أمر الله فحفظه الله.

مَن الذي حفظ موسى من الذبح؟ إنه الله، مَن الذي حفظ موسى

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ع: (٤/ ٤٣٠)، ك: (٣/ ٦٢٣)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

وهو في اليم؟ إنه الله، مَن الذي حفظ موسى في بيت فرعون؟ إنه الله، مَن الذي حفظ موسى من القتل؟ إنه الله، من الذي حفظ موسى في طريقه من بلاد مصر إلى بلاد مدين؟ إنه الله، مَن الذي أمَّن موسى في بلاد مدين ورزقه بالعمل الحلال بالزوجة الصالحة؟ إنه الله، ولذلك عندما طلب الله من موسى أن يذهب إلى فرعون قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

دعا موسى ربه، «**وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[١].

ثانياً: الله لا يخلف وعده:

وعد الله ﷻ أم موسى أن يردَّ إليها موسى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

فالله ﷻ حرَّم المراضع على موسى فلم يرضع إلا من أمه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: ١٣].

وقد وعد الله ﷻ المؤمنين الصادقين بالنصر، والله لا يخلف وعده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) صحيح: ت: (٢٥١٦)، ك: (٣/ ٦٢٣)، حم: (١/ ٢٩٣)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

فالله لا يخلف وعده، ولكنكم تستعجلون.

ثالثاً: الله ﷻ يقيم حجته على عباده:

ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة.

فالله ﷻ يعلم قبل أن تخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة أن فرعون لن يؤمن أبداً، ومع ذلك أرسل إليه موسى، لِمَ؟ ليقيم الله حجته على العباد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] يدعوها إلى عبادة الله فمنهم من يؤمن، ومنهم من يكفر، فالكافر يكفر بعلمه وإرادته، والمؤمن يؤمن بعلمه وإرادته، ويوم القيامة يضع الله ﷻ الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.

والله ﷻ دائماً يذكّر عباده ويخوّفهم وينذرهم لعلهم يرجعون.

إذا كثرت المعاصي أرسل الله الزلازل على الشعوب والناس لعلهم يرجعون.

يا بني آدم، كثرت المعاصي فتوبوا إلى الله، وعودوا إلى الله، فالمؤمن عندما يسمع بزلزال يرجع إلى الله، والكافر كالحمار لا يدري لِمَ هذا الزلزال. وكذلك كسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده.

كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فنادى في المسجد فاجتمع الناس ووقفوا يصلون لله ﷻ، وبيَّن لهم الرسول ﷺ أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تكسف الشمس ولا يخسف القمر لموت أحدٍ ولا لولادة أحدٍ، إنما هذا إنذار من الله وتخويف من الله، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى يُكشف ما بكم[١].

فيا أمة الإسلام! أستحلفكم بالله، عندما رأيتم ذلك بالأمس القريب

---

(١) انظر الحديث في خ: (٩٩٣).

مَن منكم هرول إلى المسجد، وفزع إلى الصلاة وتاب إلى الله؟ وكم من المسلمين لم يفكر في ذلك.

فالمعاصي كما هي، والعكوف على المفسديون كما هو، والتبرج كما هو، والخمور كما هي، وأكل الربا كما هو.

فالله ينذر يا بني آدم، كثر الزنا، وتركتم الصلاة...

عودوا إلى الله، فيوم القيامة ماذا تقول لربك يا تارك الصلاة، ويا آكل الربا، ويا من تركت ابنتك وزوجتك يتبرجن، إنذارات من الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





دعوة موسىٰ لفرعون

عباد الله!

في الجمعة الماضية استمعنا إلى الآيات القرآنية التي يذكِّر فيها ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله موسى عليه السلام بسلاح العقيدة فيقول ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٤ ـ ١٦].

لتعلم ـ يا عبد الله ـ أن الذي خلقك هو الله، وأن الله خلقك لعبادته وأنك بعد هذه الدنيا راجع إلى الله، وواقف أمام الله ليجزي الله الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

عباد الله! وبعد أن سلَّح الله رسوله موسى بسلاح العقيدة أيده بمعجزتين عظيمتين؛ دليلاً وبرهاناً على صدقه وعلى أنه رسول من عند الله.

المعجزة الأولى ـ العصا:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ١٧ ـ ٢١].

المعجزة الثانية ـ اليد:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

وقال الله ﷻ بعد ذلك لموسى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢].

عباد الله! بعد أن سلَّحَ الله ﷻ رسوله موسى بالعقيدة وبمعجزتين عظيمتين قال الله ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤].

عباد الله! إنها مفاجأة عظيمة، ومهمة صعبة لا يقدر عليها إلا رجل من أُوْلي العزم من الرسل، والله الذي لا إله غيره إن السمٰوات والأرض والجبال تعجز عن حمل هذه الرسالة، ولكن موسى عليه السلام استعان بالله، وتوكل على الله، ودعا الله ﷻ دعاءً سُجِّل له في القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥].

فقال الله له: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦]، فاستجاب الله له.

عباد الله! وحرصاً من موسى على تبليغ الرسالة ماذا قال؟.

قال ـ تعالى ـ على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢ ـ ١٥].

فالله ﷻ طمأن موسى وقال له: إنه معه بسمعه ونصره، وتأييده وحمايته، وإذا كان الله معك فمعك القوة التي لا تهزم.

عباد الله! موسى يعود الآن من الوادي المقدس، موسى يعود الآن من البقعة المباركة إلى زوجته التي كان قد قال لها: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، رجع موسى إلى زوجته وأخذها، وتوجه بها إلى بلاد مصر، وهناك يلتقي موسى مع أخيه هارون ويخبره الخبر، ويخبره بما كلفهما الله من أن يذهبا إلى فرعون، وهناك

أوحى الله ﷻ إلى موسى فقال له: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤].

موسى ينطلق مع هارون إلى قصر فرعون، وبعد قليل يلتقي الحق مع الباطل، والإيمان مع الكفر، وبعد قليل يلتقي أولياء الرحمان مع أولياء الشيطان.

نعم الحق والإيمان مع موسى، والباطل والكفر مع فرعون.

ها هو فرعون، أتعرفونه يا عباد الله؟ جاوز الحدود وبالغ في الطغيان حتى إنه قال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

عباد الله! كيف وصل موسى إلى قصر فرعون ودخل عليه؟ هذا لا يهمنا، المهم أن موسى الآن يقف أمام فرعون، فماذا قال موسى لفرعون؟ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥].

وقال موسى أيضاً لفرعون: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٧، ٤٨].

وقال موسى له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، أما آن الآوان يا فرعون أن تتزكى!.

عباد الله! فرعون يجلس مع بطانته ويستمع إلى كلام موسى، هذا الكلام العجيب، ويفكر وهو ينظر إلى موسى ويقول في نفسه: أليس هذا هو موسى الذي تربّى في بيتنا، وأطعمناه عندنا، وقتل رجلاً منا، ثم فر هارباً، والآن يأتي ويتكلم هذا الكلام العجيب! لا يصدق فرعون ما يسمع، المهم ماذا كان الرد من فرعون؟ وماذا كان الجواب من موسى؟ تعالوا بنا ـ عباد الله ـ إلى سورة الشعراء، فهناك يخبرنا ربنا بما كان بين

موسى وفرعون، ويخبرنا عن انتصار موسى على فرعون في جميع المجالات بالحجة، والبرهان، والدليل.

قال - تعالى - على لسان موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٦، ١٧].

قال فرعون بسخرية واستهزاء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ فدافع موسى عن نفسه وقال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: ١٨ - ٢٢].

عباد الله! يقول موسى: يا فرعون تَمُنُّ عليَّ أنك أحسنت إلى رجل واحد من بني إسرائيل، وأنت قد استعبدت شعباً كاملاً!؟ فيسأل فرعون سؤالاً فيه سخرية فيقول: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ فيقول موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾، فانتصر موسى على فرعون، وبيّن له وللناس أن فرعون ليس ربّاً لهم، وهل يستطيع فرعون أو تستطيع الفراعنة أن تقول أنهم هم الذين خلقوا السمٰوات والأرض؟ وهل قال ذلك أحد من البشر، الجواب: لا؛ لأنهم لا يستطيعون ولا يقدرون، فقال فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، فقال موسى للمرة الثانية: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فقال موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فانتصر موسى وبيَّن لفرعون ومن حوله أن فرعون ليس ربّاً للناس كما يدّعي، فلجأ فرعون إلى التهديد بعد أن انهزم في الجولة الأولى، فقال فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، وهذا فعْلُ الفراعنة والظلمة دائماً التهديد والسجن، غضب فرعون وانفعل، ولكن موسى يقول له بكل هدوء: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾، فقال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣١] هات ما معك من الأدلة على أنك رسول من ربّ العالمين، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ

بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]، فانهزم فرعون للمرة الثانية فلجأ إلى الاتهامات، فقال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، بعد التهديد يلجئون إلى الاتهامات الباطلة، ثم لجأ إلى التحريض على موسى قال: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٣٥] موسى جاء بعد عشر سنين يريد أن يأخذ أرضكم فماذا تأمرون؟.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: ٣٦، ٣٧].

﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٧ ـ ٥٩]، وهذا يوم يجتمع فيه الناس، فاتفقوا على أن يجمعوا الناس في صعيد واحد، وأن يأتوا بكل السحرة لينزلوا في المباراة مع موسى لينتصروا ـ كما ظنوا ـ على موسى، فيقضوا على ما جاء به موسى، ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين.

عباد الله! كيف جمع فرعون السحرة؟ وماذا قالت السحرة لفرعون؟ وماذا قال موسى للسحرة؟ وما هي نتيجة المباراة؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ.

عباد الله! ما هي الدروس التي تؤخذ مما تقدم؟.

أولاً: على الداعية أن يكون دائماً ذاكراً لله، متوكلاً عليه مستعيناً به، مخلصاً في دعوته لله، حكيماً في دعوته، يتكلم بالكلام المناسب في الوقت المناسب، في المكان المناسب.

وهذا نأخذه من قوله ـ تعالى ـ لموسى وأخيه هارون: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤]، والله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]،

وإن كان الذي تدعوه طاغية وظالماً فعليك باللين والحكمة، أما السب والشتم على المنابر فما علمنا ذلك من هدي رسول الله ﷺ، ولا علمنا ذلك من سنّة أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فالمنابر ليست موضعاً للسب والشتم وإنما لتذكير الناس بالله واليوم الآخر.

عباد الله! الله يعلم أن فرعون طاغية، وبَلَغَ من طغيانه أنه قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال للناس: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومع ذلك قال الله لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

ثانياً: على الدعاة أن يتسلّحوا بسلاح العلم.

أي عليهم أن يستغلوا أوقاتهم في طلب العلم، وأن يكونوا على علم بما يدعون الناس إليه، ففاقد الشيء لا يعطيه، فكثير من الدعاة قبل صلاة الجمعة بنصف ساعة يقرأ عنواناً في الجريدة، فيبني خطبته على هذا العنوان، فتأتي الخطبة خالية من (قال الله)، و(قال رسول الله)؛ ويخرج الناس وما استفادوا شيئاً، والله ﷻ يقول: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ أي: على علم، فتسلّحوا بالعلم ـ يا دعاة الإسلام ـ؛ لأنكم إذا دعوتم الناس على غير علم فعرضوا عليكم الشبهات ـ كما عرضها فرعون على موسى فقضى موسى عليها بالحجة والبرهان ـ فإنكم ستعجزون عن رَدِّ تلك الشبهات.

عباد الله! الداعية إذا كان على علم بالكتاب والسنّة، وعرضت له الشبهات قضى عليها بما معه من: (قال الله)، و(قال رسول الله ﷺ).

ثالثاً: السلام والأمن والأمان والحياة الطيبة في اتباع الهدى الذي جاء من عند الله، والعذاب والضنك والشقاء والذل والهوان في التكذيب والإعراض عن الهدى الذي جاء من عند الله.

أخذنا ذلك من قوله ـ تعالى ـ على لسان موسى وهارون: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٧ ـ ٤٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧]، وهذا حالنا لا يخفى على أحد: ضنك، ذل، هوان، أمراض، لا نعرف طعم الطمأنينة في الحياة، لِمَ؟ لأنّا أعرضنا عن القرآن والسنّة، فأكلنا الربا، وتبرجت نساؤنا.

الإسلام في وادٍ ونحن في وادٍ آخر، واللهُ ﷻ لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، أما آن الآوان أن نعود إلى الله ونتمسك بالكتاب والسنة؟!.

قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[(١)].

فهل من عودة إلى الكتاب والسنّة لنصبح أمة واحدة؟!.

فهل من عودة إلى طاعة الله؟!.

فهل من عودة إلى ديننا؛ لتعود لنا العزة والسيادة والأمن والأمان؟!.

لا نيأس، ولكن نقول:

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❋ ❋ ❋

(١) **صحيح**: ك: (١/١٧٢)، قط: (٤/٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].



موسى والسحرة

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية عن موسى عندما أمره ربه أن يذهب إلى فرعون.

فقال له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النازعات: ١٧]، ليدعوه إلى عقيدة التوحيد، فاستجاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمر ربه، وذهب إلى فرعون، ودعاه إلى عقيدة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقام موسى على فرعون الحجة بالدليل والبرهان، وبيَّن موسى لفرعون جميع الآيات التي تدل على أن موسى رسول من عند الله، ومع ذلك كذَّب فرعون بجميع الآيات وتولى واستكبر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦].

عباد الله! تعالوا بنا في هذا اليوم لنستمع إلى فرعون وقومه، ماذا قالوا عن موسى بعد أن دعاهم لعقيدة التوحيد وانتصر عليهم بالحجة والبرهان؟ لقد رموه بالسحر فقالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

وقالوا له: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٥٧].

فقال لهم موسى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٩].

عباد الله! اتفقوا جميعاً على هذا اليوم ـ وهو يوم الزينة، وهو يوم معروف عندهم في ذلك الزمان، يعرفه الجميع ـ بأن يلتقي السحرة مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أمة الإسلام! ها هو فرعون بعد أن اتفقوا على الموعد، تولى ليستعد لهذا اللقاء، ليكيد بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يريد فرعون أن ينتصر السحرة على موسى

ليقضي على موسى وما جاء به ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [طه: ٦٠]، ونادى في المدائن: ائتوني بكل ساحر عليم.

عباد الله! جاء السحرة بأمر من فرعون من جميع البلاد ليشهدوا هذا اللقاء والموعد، وكان الإعلام في ذلك الزمان يحرِّض الناس ضد موسى ويقول الإعلام للناس في ذلك الوقت: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين.

كما أخبر بذلك ربنا ـ جلَّ وعلا ـ فقال: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٣٨ ـ ٤٠].

عباد الله! وحضر عدد كبير من السحرة، قالوا في كتب التفسير: بلغ عددهم ثمانين ألفاً، وقبل أن يلتقوا بموسى تقدموا بطلب إلى فرعون، أتدرون ماذا يريدون يا عباد الله؟ يريدون مالاً وأجراً ومنصباً في الدولة التي يقودها فرعون إن هم انتصروا على موسى، وهذا هو شأن أهل الدنيا في كل زمان ومكان لا يريدون إلا الدنيا ولا يطلبون إلا الدنيا.

قال ـ تعالى ـ عن السحرة: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢].

يا فرعون أئِنّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال لهم: نعم، الأجر كبير، وأنتم من المقربين؛ أي: ستُعينون في مناصب عالية، فطمَّعهم بالمال والمنصب؛ ليستطيعوا بكل ما عندهم من فن السحر وقوته أن ينتصروا على موسى وما جاء به.

عباد الله! جاء اليوم الموعود، جاء يوم الزينة، واجتمع السحرة من كل مكان، وجاء الناس من كل مكان قائلين: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين، نزل السحرة صفاً واحداً إلى أرض المباراة، ونزل موسى وحده بعصاه متوكلاً على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

عباد الله! تصوَّروا معي الآن، الأرض واسعة، والناس في كل مكان ينتظرون هذا اللقاء، وفرعون قد جلس على كرسيه وحوله حاشيته وبطانة السوء، ينتظرون ماذا يصنع السحرة بموسى، والسحرة وقفوا صفاً واحداً وهذا موسى الآن يتقدم قبل اللقاء ليتكلم مع السحرة، أتعلمون ماذا يقول موسى للسحرة؟ إنه ينصحهم، ويحذرهم قبل اللقاء ـ وهذا واجب ـ فتقدم موسى إلى السحرة وقال لهم بعزة وكرامة: يا معشر السحرة ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٦١]، ولكن السحرة لم يستجيبوا لنصيحة موسى، واجتمعوا فيما بينهم ليتخذوا قراراً في موسى، أتدرون ماذا قالوا عن موسى وهارون؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه: ٦٣، ٦٤]، فقرروا أن يلتقوا مع موسى؛ لأن فرعون قد أغراهم بالأموال الكثيرة، والمناصب العالية.

إخوة الإسلام! تقدم السحرة الآن إلى موسى ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: ١١٥].

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: ٤٤].

عباد الله! موقف عظيم سحروا فيه أعين الناس.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦]، وأظنكم تتصورون معي الآن السحرة وقد فعلوا ما فعلوا، وبنص القرآن أنهم جاؤوا بسحرٍ عظيم، والناس قد ارتفعت أصواتهم وكأنني أنظر إلى فرعون وهو يتبسم؛ لأنه قد اطمأن أن موسى قد انهزم، وماذا يفعل موسى وحده مع ما رأى من السحر العظيم، فالأصوات ترتفع كما هو شأن الرعاع من الناس، وظنوا أنهم قد هزموا موسى وانتصروا عليه؛ لأن الأمر عجيب، ولكن الله ﷻ

أوحى إلى موسى في هذه اللحظة أن: ألق عصاك، فألقى موسى عصاه، فإذا هذه العصا تتحول إلى حية كبيرة حقيقية تبلع ما صنعوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأعراف: ١١٧] مفاجأة! أمر عجيب!! وكأنني أتصور الناس الآن مع فرعون وقد وضعوا أيديهم على رؤوسهم من شدة المفاجأة، ومن شدة الحسرة، عصا موسى ابتلعت ما صنعوا، عصا موسى فعلت ما لم يخطر لهم على بال، أتدرون ما هي نتيجة المباراة، وما هي نتيجة هذا اللقاء؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١١٨ ـ ١٢٢]؛ أي: جاء الحق وزهق الباطل، وهكذا ـ يا عباد الله ـ مهما علا الباطل ومهما انتشر فإذا ظهر الحق اختفى الباطل، أين الليل إذا جاء النهار؟ أين هو؟ كذلك إذا جاء الحق زهق الباطل.

عباد الله: نتيجة لم تخطر على قلب بشر، قال السحرة: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، أتدرون ماذا فعل فرعون؟ لا يملك في هذا الوقت ـ كما هو شأنه دائماً عندما ينهزم ـ إلا التهديد، وهل يملكون إلا التهديد؟! هذا هو سلاحهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤]، أنت يا فرعون مسكين، وهل يحتاج الإيمان إلى إذن!؟ من الذي استأذن عندما أراد أن يدخل في الإيمان؟! ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، بعد هذا التهديد ماذا قال السحرة؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف: ١٢٥]، الله أكبر!! هكذا إذ تمكن الإيمان في القلب! قالوا: يا فرعون إذا فعلت ما فعلت من الصلب والتعذيب، فإننا بعد ذلك ـ أي ـ بعد خروج الروح ـ إلى ربنا منقلبون؛ أي: أنهم يجدون عند الله

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ثم قالوا له: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وفرعون لا زال يهدد بالصلب والعذاب الشديد، ومع ذلك السحرة الذين آمنوا يقولون لفرعون: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢، ٧٣]، ثم يتحول السحرة بعد أن كانوا يطلبون الدنيا إلى دعاة يدعون فرعون والناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، قال ـ تعالى ـ على لسان السحرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦].

عباد الله! هكذا لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، مكر فرعون بموسى فوقع فيما مكر، أراد فرعون أن ينتصر على موسى فأخزاه الله وآمن السحرة وعلم الناس جميعاً أن الحق مع موسى، وأن الباطل مع فرعون، فالله ﷻ يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

أمة الإسلام! ماذا فعل فرعون بعد هذه الهزيمة؟ وماذا قال؟ وماذا فعل موسى بعد هذا الانتصار؟ هذا الذي نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

إخوة الإسلام! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟

أولاً: الإنسان بدون الإيمان في هذه الدنيا لا هَمَّ له إلا الدنيا، ولا يعمل إلا من أجلها، ولا يطلب إلا متاعها الفاني أما إذا دخل الإيمان في القلب وتمكن منه، فالمؤمن بعد إيمانه لا يطلب إلا الآخرة، ولا يعمل إلا للآخرة وهذا أخذناه من موقف السحرة قبل الإيمان وبعد الإيمان.

قبل الإيمان عندما جاؤوا من كل مكان قالوا لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا

﴿لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]، فلم يطلبوا إلا الدنيا، ولكن بعد أن آمنوا وهددهم فرعون بالصلب والعذاب، انظروا ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ [الأعراف: ١٢٥] فهم لا يريدون الآن إلا الآخرة.

وقالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾، فهم لا يريدون إلا الآخرة.

وقالوا لفرعون: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾، وهكذا ـ يا عباد الله ـ الإنسان في هذه الدنيا إذا ازداد الإيمان في قلبه نراه لا يريد إلا الآخرة، يحافظ على الصلاة، يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر، يتصدق، يزكي، يبر والديه، يسارع إلى الخيرات، كلما ازداد الإيمان كلما أقبل على الآخرة، وكلما ضعف الإيمان كلما أعرض عن الآخرة وقال: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]، فانظروا إلى كثير ممن انشغلوا بالدنيا كيف ضيعوا الصلاة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

فيا أخا الإسلام: انظر إلى نفسك الآن، هل تحافظ على الصلاة؟ هل تبادر إلى الأعمال الصالحة؟ هل تسارع إلى رضا الله والجنة؟ إن كنت كذلك فأنت على خير، وإن كنت ممن ضيعوا الصلاة في جماعة أو ممن لا يعرفون المسجد إلا في يوم الجمعة أو ممن يأكلون الحرام، فاعلم بأنك على خطر عظيم، فبادر بالتوبة النصوح إلى الله قبل فوات الأوان.

ثانياً: الناس يوم القيامة فريقان: فريقٌ في الجنة وفريق في السعير. فريق الجنة هم المؤمنون، وفريق النار هم المجرمون. فيوم القيامة يأتي الرجل إما مؤمناً وإما كافراً، وهذا أخذناه من قوله ـ تعالى ـ على لسان السحرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنًا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ [طه: ٧٤، ٧٥].

فيا أخا الإسلام: احرص أن تخرج من هذه الدنيا على الإيمان لتلقى الله مؤمناً، واحذر أن تخرج من هذه الدنيا على المعاصي فتلقى الله مجرماً.

فالله ﷻ أعد النار للمجرمين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣].

ابن آدم! المجرم يوم القيامة يتمنى لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته، وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه، فيقال له: كلا.

ابن آدم!

مَثّلْ وقوفَكَ يومَ الحشر عريانا … مستوحشاً قَلِقَ الأَحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظٍ ومن حنق … على العصاة وربّ العرش غضبانا

يقال لك:

اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ … فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته … إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي … وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا … والمؤمنون في دار الخلد سكانا

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجمعنا وإياكم في جنات النعيم
اللّهم إني أسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار



٥٠

موسى عليه السلام وفرعون

عباد الله!

• في الجمعة الماضية استمعنا إلى اللقاء الذي كان بين موسى عليه السلام وبين السحرة، وتبيّن لنا نتائج هذا اللقاء، كما أخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه فقال:

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١١٨ ـ ١٢٢].

• واستمعنا أيضاً إلى التهديد الذي أصدره فرعون للسحرة عندما آمنوا بربّ موسى وهارون، فقال ـ تعالى ـ على لسان فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤].

• واستمعنا أيضاً إلى رَدِّ السحرة على تهديد فرعون بعد أن آمنوا برب موسى وهارون فقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

عباد الله! فرعون بعد هذه الهزيمة في حيرة من أمره، يفكر ماذا يفعل بموسى وبما جاء به؟ وبينما هو على هذه الحالة يفكر، وإذا ببطانة السوء تدخل عليه ليحركوا بواعث الشر فيه ضد موسى! فماذا قالت بطانة السوء؟ قالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾

[الأعراف: ١٢٧]؛ أي: قالت بطانة السوء: أتترك موسى ليفسد في الأرض هو وقومه ويذرك وآلهتك؟!.

فماذا قال فرعون: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، أيها الظالم! ما ذنب الأبناء والنساء!؟.

عباد الله! ووصلت الأخبار إلى موسى عليه السلام، فماذا قال موسى لقومه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وهكذا فليكن المؤمن إذا هُدِّد استعان بالله وحده، فمن استعان بالله أعانه، ومن استعان بغير الله أذله.

عباد الله! فرعون أخذ يستخف بقومه من خلال وسائل الإعلام، ويسخر من موسى ويستهزئ به، كل ذلك لينفِّر الناس عنه، فاستمعوا ماذا قال فرعون، كما أخبرنا ربنا في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: ٥١ ـ ٥٤]، يسخر من موسى ويستهزئ به، ولم يكتف بذلك بل تعالى في الأرض، واتهم موسى بالكذب أمام الناس، حرب إعلامية ـ كما نرى اليوم ـ على الإسلام والمسلمين، فرعون يقول كما أخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: ٣٨، ٣٩]، فرعون يطلب من وزيره هامان وزير السوء أن يبني له صرحاً عالياً ليصعد عليه، يقول: لأطلع إلى إله موسى، وهذا فيه إشارة أن موسى عليه السلام أخبر فرعون أن الله الذي أرسله استوى

على عرشه فوق سماواته، استواءً يليق بجلاله ليس كاستواءِ المخلوقين، وهو غني عن العرش وما دون العرش، وقد قالها فرعون استهزاءً وسخريةً، ولكنْ في ذلك دليل على أن هذا من العقيدة التي يجب على الدعاة أن يدعوا الناس إليها، فيعرِّفونهم أن الرحمٰن على العرش استوى استواءً يليق بجلاله.

عباد الله! قال فرعون ما قال، وسخر من موسى واستهزأ به وتوعده... والأخبار تصل إلى موسى فماذا يفعل؟ وبماذا يتسلح؟ استخدم موسى سلاحاً واحداً ضد هذا التهديد الذي يأتيه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة من فرعون، أتدرون ما هو السلاح إنه (الدعاء)، وقف موسى ودعا ربه وأخذ هارون يؤمِّن على دعائه، وأخبرنا الله بهذا الدعاء في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨]، فقال هارون: آمين، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩]، دعا موسى على فرعون، متى يستجيب ربنا دعاء موسى ليهلك فرعون وقومه؟ الله أعلم، المهم أن موسى دعا وأخبره الله أنه استجاب له؛ أي: أن الله ﷻ سيهلك فرعون وقومه. كيف؟ ومتى؟ لا يدري موسى ولا يعلم.

عباد الله! فرعون لم يكتفِ بذلك ولكنه دعا إلى اجتماع طارىء ليتخذ قراراً نهائياً في أمر موسى، أتدرون ما هو هذا القرار؟ أن يقتل موسى ويتخلص منه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ﴾ اتركوني أقتل موسى؛ السبب: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] عجباً! الموازين اختلتْ، فرعون يخاف على الناس من موسى؟! (نعم)؛ لأن موسى يدعوهم إلى عبادة الله، موسى

يدعوهم إلى (لا إله إلا الله) وإلى جنة عرضها السمٰوات والأرض. وبَيَّن فرعون للناس أنه على الحق، وأن موسى على الباطل، وأنه يصلح وموسى يفسد، وأنه يخاف على دين الناس من أن يبدله موسى! فلا تعجب ـ يا عبد الله ـ فالناس إذا فسدت عقولهم، واسودت قلوبهم وفسقوا عن طريق ربهم استخفهم الظلمة فاستجابوا لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: ٥٤].

اجتمع فرعون وقرر أن يقتل موسى، وصل الخبر إلى موسى ـ فتعلَّموا ـ يا عباد الله ـ واستفيدوا من القرآن قبل أن تصبحوا في يوم وقد رُفع فيه القرآن إلى الله فلا تجدوا القرآن الذي بين أيديكم ـ ماذا قال موسى بعد أن وصله هذا القرار؟ إن فرعون قرر أن يقتلك، قال ـ تعالى ـ على لسان موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧]، التجأ موسى إلى الله، ولم يلتجىء إلى الشرق ولا إلى الغرب، لم يلتجئ إلى عضلاته وقوته ولا إلى عشيرته، إنما التجأ إلى الله واستعان به، فاحتمى موسى بالقوة التي لا تهزم.

إخوة الإسلام! ويحضر هذا الاجتماع الذي عقده فرعون رجلٌ كان قد آمن بموسى، ولكنه يكتم إيمانه خوفاً من فرعون، فلما سمع هذا الرجل الذي يكتم إيمانه القرار الجائر من فرعون بقتل موسى لم يصبر، فالإيمان يتحرك ويدفعه إلى النصيحة، الإيمان يدفعه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأخذ هذا الرجل المؤمن يقدم النصائح في هذا الاجتماع الجائر فماذا قال؟ هذا ما يخبرنا به ربنا في سورة غافر؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨]، يقول: يا قوم اتخذتم قراراً بقتْل موسى فما هي الجريمة التي ارتكبها؟ إلا أنه يقول: ربي الله؟! وهل إذا قال الإنسان: ربيَ الله، فهو مجرم؟ ماذا قال موسى؟ قال: ربي الله،

هل موسى طلب من السحرة أن يؤمنوا؟ هل موسى طلب من السحرة أن يحبوه؟ لا، ويا قوم الرجلُ قد جاءكم بالآيات البينات من ربكم.

عباد الله! وها هو الرجل المؤمن يذكرهم بعاقبة الأمم السالفة التي كذبت رسلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣٠، ٣١].

ويذكرهم بيوم القيامة: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].

يوم القيامة: يوم ترجعون إلى الله، يوم تقفون بين يدي الله حفاة عراة غرلاً، ويقول الرجل المؤمن لقومه في هذا الاجتماع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ . . .﴾ إلى آخر ما قال، ثم قال في نهاية نصيحته: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٤٤].

فستذكرون ذلك عندما ينزل بكم العذاب في الدنيا، وعندما يحل بكم العذاب يوم القيامة، ثم فوض الرجل أمره إلى الله، وقد أعلن إيمانه أمام الملأ وقد عرفوا أنه آمن بموسى، وأنه يدافع عن موسى، ولكن نصحهم، وهذه كلمة حق عند سلطان جائر قالها بالحق واللين والموعظة الحسنة، فتعلّموا ـ يا دعاة الإسلام ـ هذا الرجل المؤمن قال هذه الكلمة: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٤٤].

إخوة الإسلام! ماذا فعل فرعون بهذا الرجل المؤمن بعد أن تبين له أنه قد آمن بموسى؟ وماذا فعل فرعون بموسى بعد هذا الاجتماع؟ وماذا فعل موسى بعد ذلك؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

إخوة الإسلام! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: على المؤمن في هذه الدنيا إذا وقع في شدة وكرب، وإذا هُدد وظُلم أن يلتجيء إلى الله، وأن يستعين بالله وحده، وهذا نأخذه من فعل موسى عليه السلام عندما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال موسى لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وعندما قال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

ماذا قال موسى؟ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

- ويونس عليه السلام عندما وقع في الشدة، وأحاطه الغم من كل مكان، فماذا فعل وبمن التجأ؟ التجأ إلى إخوانه من الأنبياء؟! دعا الأنبياء والصالحين؟! استعان بغير الله؟!.

لا، قال - تعالى -: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

- وإبراهيم عليه السلام عندما وضع في النار بمن استعان؟ وعلى من توكّل؟ قال: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»[(١)]، فنجّاه الله من النار.

- ومحمد ﷺ وأصحابه عندما قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

- ويعقوب عليه السلام عندما جاءه الخبر بأن يوسف قد أكله الذئب ماذا قال؟ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، فاستعان بالله في هذا الكرب.

- عائشة رضي الله عنها عندما ضاق بها الأمر، وقيل فيها ما قيل تنظر عن

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٨).

يمينها وشمالها ومن أمامها ومن خلفها، فلا ترى أحداً يقف معها وهي بريئة، فماذا قالت؟ قالت: (والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾)(١) [يوسف: ١٨]. هذا درس عظيم، يجبُ علينا أن نعض عليه بالنواجذ، وهو أننا عند الكرب نلتجئ إلى الله، فإذا التجأنا إلى الله فمعنا القوة التي لا تهزم.

ثانياً: الإيمان إذا تمكن من القلب دفع صاحبه إلى النصيحة وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمؤمن دائماً ناصح والمنافق دائماً فاضح، ولذلك المؤمن إذا نصحك ينصحك برفقٍ ولينٍ، وفيما بينك وبينه.

أما المنافق ـ لأنه يريد أن يفضحك ـ فتراه يتكلم على الملأ وفي كل مكان، قلبه أسود لا يعرف الإيمان، وهو يعلم أَنه كاذب فيما يقول، فالمنافقون عندما قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس؛ آمنوا كما آمن الصحابة، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ وهم يعلمون أنهم هم السفهاء.

وكذلك المؤمن ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا نأخذه من موقف الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يجلس في الاجتماع يكتم إيمانه، ولكن عندما سمع قراراً جائراً لقتل موسى تكلم ونصح؛ لأن إيمانه دفعه إلى ذلك، ولذلك وصف ربنا ـ جل وعلا ـ المؤمنين والمؤمنات بصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

لقد ربط رسولنا ﷺ بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإيمان، فإذا كان الإيمان في قلب الرجل، فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإذا خلا القلب من الإيمان، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وربما اسود قلبه فأمر بالمنكر ونهى عن المعروف.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥١٨)، م: (٢٧٧٠).

ولذلك قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[١].

والرجل المؤمن الذي في قلبه إيمان إذا رأى زوجته وقد أرادت أن تتبرج وتخرج إلى الشارع تخالط الرجال الأجانب، تراه إذا كان إيمانه قوياً يغير ذلك بكل ما يملك، ولكن إذا كان القلب قد خلا من الإيمان فإنه لا يتأثّر ولا يغضب بل يفرح؛ بل لا يرى في ذلك بأساً إن تبرجت وصارت خلفه كاسية عارية، والجريمة الكبرى إذا كان هو الذي أمرها بالتبرج! نقول: هذه هي الدياثة، أعاذنا الله وإياكم منها.

إذا غاب الإيمان عن القلوب انتشرت المعاصي، فالمعاصي لها علاقةٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر قلَّت المعاصي، وإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ازدادت المعاصي. وأظن أنه لا يختلف اثنان في هذا الزمان أن المعاصي كثرت، قال ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ . . .﴾ [الروم: ٤١].

لأن الجميع يقول: نفسي نفسي وليهلك الجميع. فيا دعاة الإسلام مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى لا تنتشر بينكم المعاصي؛ لأنها إذا انتشرت وكثرت نزل العذاب من ربّ العالمين، كما قال ﷺ عندما سُئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[٢].

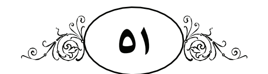
اللّهم فقّهنا في الدين اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٦٨)، م: (٢٨٨٠).



هلاك فرعون

عباد الله!

في الجمعة الماضية استمعنا إلى مؤمن آل فرعون، وهو يقدم نصائحه إلى قومه، وقال في نهاية كلامه: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

إخوة الإسلام! ولكن فرعون وقومه لم يستجيبوا لهذا الرجل المؤمن وأصرُّوا على كفرهم وعنادهم حتى إن فرعون أنهى اجتماعه بقوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]؛ أي: لا أرى إلا ما قلت: أن نقتل موسى ونستريح منه، وبعد الاجتماع قرر فرعون وقومه أن يمكروا بهذا الرجل المؤمن، ولكن الله ﷻ وقاه سيئات ما مكروا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥].

عباد الله! فرعون أخذته العزة بالإثم فتمادى في كفره وعناده وتكذيبه واستهزائه بموسى عليه السلام، فأرسل الله ﷻ إليه الإنذارات، فأخذهم بالسنين، ونقص من الثمرات، وأرسل عليهم العذاب بمثابة الإنذار لعلهم يذَّكرون، ولعلهم يرجعون عما كانوا يعملون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٣].

والله ﷻ من سننه أن يأخذ الناس بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون، يوسع عليهم في المال، ويكثر عليهم في الرزق، لعلهم يرجعون، يبتليهم بالأمراض لعلهم يرجعون، ولكن دون جدوى أصر فرعون على ما هو عليه، وقال لموسى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢].

عباد الله! وكان إذا نزل العذاب بفرعون وقومه هرولوا إلى موسى وقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]. وهكذا ـ يا عباد الله ـ الفراعنة والظلمة في كل زمان ومكان، ومع أنهم يحاربون الإسلام وأهله، لكنهم إذا وقعوا في شدة أو وقعوا في مرض عضال وطافوا البلاد فلم يجدوا الدواء قالوا: عليكم بأهل الدين، فإنهم يقرأون القرآن ففيه شفاء، وكذلك قوم فرعون كان إذا نزل به العذاب من الله ﷻ هرول إلى موسى.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٥]؛ أي: ينقضون العهد.

عباد الله! أصرّ فرعون على ما هو عليه، فأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى أن يخرج هو ومن آمن معه من بلاد مصر، واستجاب موسى لأمر ربه فتجهز هو ومن معه، وفي وقت متأخر من الليل خرج موسى ومن معه رجالاً ونساءً وأطفالاً.

عباد الله! ها هو موسى يخرج بقومه ليلاً، كيف سار بالليل؟ وإلى أين ذهب؟ كان الله ﷻ يأمره وهو يستجيب، وفي الصباح وصلت الأخبار إلى فرعون أن موسى ومن معه قد خرجوا من البلاد فطار عقله، وجنّ جنونه، وأخذ يرسل في كل اتجاه في المدائن حاشرين تعميماً سريعاً في كل البلاد ليمسكوا بموسى ومن معه، كما أخبرنا ربنا في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٣ ـ ٥٦].

عباد الله! فرعون يجهز جيشه بنفسه، جيش كثير لا مثيل له، ويقود فرعون الجيش بنفسه!.

وفي اليوم التالي مع طلوع الشمس تراءى الجمعان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾، نظر أصحاب موسى أمامهم فإذا البحر، ونظروا خلفهم فإذا فرعون يأتي من بعيد، فقال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٠ ـ ٦٢]، إنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

أي: معي ربّي بحفظه ورعايته وتأييده ونصره، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٠ ـ ٦٣].

سبحانك يا الله نشهد أنك إلهٌ تُعبد.

يا موسى اضرب بعصاك البحر، فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم؛ كالجبل العظيم.

انظروا ـ عباد الله ـ إلى هذا المشهد العظيم الذي يصوره الله لكم في القرآن، ها هو البحر أمام موسى قد انفلق بأمر الله، فأصبح كل فرق كالطود العظيم، وجعل الله لهم في البحر طريقاً يابساً، وأخذ موسى يمر هو ومن معه لينجو من فرعون وقومه.

عباد الله! ها هو موسى قد جاوز البحر، وقد خرج هو ومن معه إلى الشاطىء الثاني بسهولة ويسر بأمر من الذي يقول للشيء: كن، فيكون. عباد الله! البحر جند من جنود الله وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد وصل فرعون إلى البحر، وفرعون يجبن أن يعبر خلف موسى، وأراد موسى عندما نجا إلى الشاطىء الثاني أن يضرب البحر بعصاه ليعود كما كان حتى لا يدركه فرعون، ولكن الله أوحى إلى موسى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا

إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان: ٢٤] يا موسى، اترك البحر كما هو، لِمَ؟ ستعلمون الآن، بدأ فرعون يعبر البحر خلف موسى وجنوده معه يعينونه على الظلم، بغياً وعدواً، ولكن عندما توسطوا جميعاً البحر أمر الله ﷻ البحر أن يعود كما كان فأصبحوا تحت الماء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

عباد الله! البحر هو هو حتى الآن، وسنّة الله لا تتبدل ولا تتحول، وكأني أنظر الآن إلى موسى ومن معه في الشاطىء الثاني ينظرون إلى فرعون وهو يغرق، وأظنكم تعلمون أن الإنسان في لحظة الغرق ينزل في الماء ويصعد، ها هو الآن فرعون كلما خرج فوق الماء قال: آمنت أنه لا إله إلا . . . ويريد أن ينطق بلفظ الجلالة؛ أي: يريد أن يقول: آمنت أنه لا إله إلا الله، ولكن هل يخرج لفظ الجلالة من أفواه الفراعنة؟ لا، قبل قليل كان يقول هذا اللسان: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، الآن تقول: آمنت أنه لا إله إلا . . . ! تريد أن تنطق بلفظ الجلالة؟! لا، ولكنه في اللحظة الأخيرة قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، والإسلام بريءٌ منك يا فرعون؛ فالله ﷻ يقول له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١]، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

كم من الناس يتفرعن في هذه الدنيا حتى إذا أدركه الموت قال: آمنت؟! الكثير.

ابن آدم! إذا أعطاك الله منصباً ومالاً في الدنيا تفرعنت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ

مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٦، ٧] انظروا ـ عباد الله ـ إلى أجساد الفراعنة الآن فرعون وجنوده وهم على سطح الماء لا حول لهم ولا قوة ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] نعم، والله إنها آية لمن أراد أن يذكَّر، الذي يطفوا على سطح الماء الآن كان قبل قليل يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، كان قبل قليل يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، كان يقول: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١] من تحتي! هذا فرعون الذي كان قبل قليل يقول: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

كان قبل قليل يقول: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، إن في ذلك لآية لمن أراد أن يذكر.

انظروا ـ عباد الله ـ إلى الذين تفرعنوا على الله، وعلى عباد الله هذه هي نهايتهم: عذاب في الدنيا بالغرق، وعذاب في البرزخ في القبر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

ثم ينتقلون إلى عذاب شديد يوم القيامة.

عباد الله! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: الله ﷻ إذا أهلك الظالم أهلك معه الذين أعانوه على الظلم، أخذنا ذلك لما علمنا كيف أهلك الله ﷻ فرعون وجنده الذين خرجوا معه ليقضوا على موسى ومن آمن معه، فإذا رأيت إنساناً يظلم، فإياك إياك أن تعينه على الظلم؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة.

ورسولنا ﷺ يقول: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصرهُ**»[1].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٥٢).

أي: إذا رأيت إنساناً مظلوماً ترفع عنه الظلم، وإذا رأيت إنساناً يظلم تمنعه عن الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، إذا نزل العذاب على الظالم أخذ معه الذين أعانوه على ظلمه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٦]، كما فعل الله بفرعون وعاد وثمود.

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

إياك إياك أن تعين الظالم على ظلمه، فوالله إني أشفق عليك، فلا تغتر بالحياة الدنيا، ولا يغرنك بالله الغرور، إذا جاءك الموت ونزل بك العذاب أعندها تقول: آمنت؟! سيقال لك: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

ثانياً: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبتغي بذلك وجه الله، فالله يحفظه ويرعاه وينصره في الدنيا والآخرة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروه فلن يضروه أبداً؛ لأن الله معه ومن كان الله معه فمعه القوة التي لا تهزم.

- والدليل حفظ الله ـ جلّ وعلا ـ موسى من فرعون، ودافع الله عن موسى ضد فرعون.

وكذلك حفظ الله ﷻ هذا الرجل المؤمن من آل فرعون عندما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهمُّوا أن يقتلوه فوقاه الله سيئات ما مكروا.

فيا عباد الله! مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى لا ينتشر الفساد، وحتى لا تنتشر الأفكار السيئة بين المسلمين، فها نحن الآن وما من يوم يمر إلا ويظهر لنا فيه فرقة تدَّعي الإسلام والإسلام منهم بريء، أفكار ما أنزل الله بها من سلطان، أتدرون ما السبب يا عباد الله؟.

لأننا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعلى كل داعية وكل عالم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على قدر استطاعته.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد



٥٢

أسباب هلاك فرعون وقومه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تبيّن لنا جميعاً كيف أهلك الله ﷻ فرعون وقومه، وعلمنا أن فرعون وهو في سكرات الموت قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فقال الله له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

عباد الله! هكذا ينتقم الله من الفراعنة.

عباد الله! هكذا ينتقم الله من الظّلمة.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

وعن أبي موسى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» قال: ثم قرأ. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾» [هود: ١٠٢](١)، وكذلك أخذ ربك لكل ظالم تسوّل له نفسه أن يفعل كما فعل فرعون.

عباد الله! وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن: لماذا أهلك الله ﷻ فرعون وقومه؟.

الذي يجيب على هذا السؤال هو ربنا، فهذا كتابه ينطق بالحق:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦]؛ أي: مِنْ فرعون وقومه.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

فالسبب الأول: أنهم كذبوا بآياتنا.

عباد الله! التكذيب بآيات الله سبب لهلاك الأمم، وسبب لنزول العذاب من ربّ السمٰوات والأرض.

إخوة الإسلام! نعود بكم إلى غير بعيد، إلى أول لقاء كان بين موسى وفرعون.

أتعلمون ماذا قال موسى لفرعون، قال له: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٨]؛ أي: العذاب ينزل من ربّ السمٰوات والأرض على من كذب وتولى، ومع ذلك كذب فرعون وقومه بجميع الآيات التي جاء بها موسى.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦]، وقال فرعون وقومه لموسى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢]، فلما كذبوا بآيات الله أهلكهم الله أجمعين، وأغرقهم أجمعين، فاحذر يا ابن آدم أن تكون من الذين يُكذِّبون بآيات الله فتكون من المهلكين المعذبين، والعاقل من اتعظ بغيره.

ولذلك قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١]، كيف كانت عاقبة قوم نوح وعاد وثمود وفرعون؟.

يقول الله ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

السبب الثاني ـ لهلاك فرعون وقومه (الغفلة):

الغفلة سبب للهلاك والعذاب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦]. الغفلة عن دين الله، وعن كتاب الله، وعن سنّة رسول الله.

• الغفلة عن اليوم الآخر، وعن الصراط والميزان، وعن الجنة والنار، سبب للهلاك ونزول العذاب.

وإذا نظرنا إلى كثير من الناس في هذا الزمان العجيب تراهم في غفلة معرضين عن دين الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٦، ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

ابن آدم! احذر أن تكون من الغافلين؛ فقد وصف الله ﷻ الغافلين في كتابه بأنهم كالأنعام؛ بل هم أضل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ابن آدم! احذر أن تكون من الغافلين؛ فالغافلون يوم القيامة يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال ـ تعالى ـ على لسانهم وهم في أرض المحشر: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، فاحذروا ـ عباد الله ـ التكذيب بآيات الله، واحذروا الغفلة؛ لأنهما من أسباب الهلاك، وقد أهلك الله فرعون وقومه بسبب أنهم كذبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين.

أمة الإسلام! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ من هلاك فرعون؟.

أولاً: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده:

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

عباد الله! نرجع قليلاً إلى فرعون عندما قالوا له: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ماذا قال موسى لقومه عندما وصلته الأخبار، قال: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩].

إخوة الإسلام! تعالوا بنا الآن ننظر إلى النتيجة التي ظهرت لنا من الصراع بين الحق والباطل بين موسى وفرعون، ولننظر إلى العاقبة لمن كانت؟ هل هي لموسى الذي معه الحق؟ أم هي لفرعون الذي يمثل الباطل؟.

والجواب على ذلك في كتاب ربنا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦، ١٣٧].

النتيجة انتقم الله ﷻ من فرعون وقومه، وأغرقهم أجمعين، ودمر الله ﷻ ما فعل فرعون وما صنع هو وقومه وما كانوا يعرشون، وأورث الأرض التي كان فيها فرعون موسى وقومه.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ

ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان: ٢٤ ـ ٣١] العاقبة لمن؟ للمتقين، والنصر ـ إن شاء الله تعالى ـ للإسلام والمسلمين.

ورسولنا ﷺ يبشرنا بذلك، وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

يقول ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها..**»(١).

ويقول ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**»(٢)؛ أي: هذا الدين؛ أي: هذا الإسلام.

ويقول ﷺ: «**والله ليتمّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(٣)، ولكنكم يا عباد الله تستعجلون، وقد بشرنا الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

يا أمة الإسلام في كل مكان استعينوا بالله واصبروا؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

ثانياً: التوبة لا تقبل من العبد إذا نزل به الموت وهلك.

فانظروا إلى فرعون، والعاقل من اتعظ بغيره.

فهذا فرعون يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، ومع ذلك رد الله عليه توبته لأنها كاذبة، ورد عليه إيمانه لأنه كاذب فقال له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٨٩).
(٢) **صحيح**: حم: (٤/١٠٣)، ك: (٤/٤٧٧)، طب: (٢/٥٨)، هق: (٩/١٨١) [«س.ص» (٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤١٦).

لقد أخبرنا الله أنه لا يقبل توبة العبد إذا تاب عند حضور الموت.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨].

ورسولنا ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[(١)].

فيا عبد الله: الموت يأتي بغتة، فإذا نزل بك الموت وقلت: آمنت، يقال لك: آلآن! وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

واعتبروا ـ يا عباد الله ـ بهذا المفرط الذي يندم عند الموت.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ﴾، فيقال له: ﴿كَلَّآ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

الموت يأتي بغتة، فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك، واعدُد نفسك من أهل القبور فإنك لا تدري ما اسمك غداً.

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل

ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

عباد الله: بهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن موسى مع فرعون.

وإن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية ـ نبدأ في الحديث عن عيسى عليه السلام.

نسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم، أن يجمعني وإياكم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه

---

(١) **حسن**: حم: (٢/ ١٣٢)، حب: (٦٢٨)، ك: (٤/ ٢٨٦)، ع: (٩/ ٤٦٢)، ش: (٧/ ١٧٣)، هب: (٥/ ٣٩٥)، [«ص.ج» (١٩٠٣)].

٥٣

عقيدتنا في عيسى عليه السلام

عباد الله!

في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن دعوة موسى عليه السلام لفرعون عليه لعنة الله إلى يوم القيامة، وتبيّن لنا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وأن العاقبة للمتقين.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ **مع الرسول الرابع من أولي العزم من الرسل ألا وهو عيسى** عليه السلام.

عباد الله! اعلموا **أولاً**:

أن الإيمان بالرسل الكرام جميعاً أصل من أصول العقيدة السليمة الصحيحة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولقوله ﷺ لما سُئل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

واعلموا: أَن من كفر برسول واحد فقد كفر بجميع الرسل، ومن كذب برسولٍ واحد فقد كذب بكل الرسل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

واعلموا: أن من آمن برسولٍ وكفر بآخر وحاول أن يفرق بين رسل الله، فهو الكافر حقاً.

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فمن آمن بجميع الرسل وكفر بعيسى فهو كافر بالله، ومن آمن بكل الرسل وكفر بموسى فهو كافر بالله، ومن آمن بكل الرسل وكفر بمحمد ﷺ فهو كافر بالله.

ثانياً: واعلموا عباد الله أن عقيدتنا في عيسى ابن مريم ﷺ هي كالآتي، آخذين ذلك من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا ﷺ:

• نعتقد معشر المسلمين أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله أرسله الله ﷻ إلى قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، فالمسيح ابن مريم رسول قد خلت من قبله الرسل، جاء يدعو قومه إلى عبادة الله كما أخبرنا ربنا بذلك.

فقال ـ تعالى ـ على لسان عيسى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

فعيسى ابن مريم رسول من عند الله، جاء يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد لا فرق بينه وبين الرسل من قبله.

• ومن عقيدتنا معشر المسلمين في عيسى ابن مريم أن الله ﷻ خلقه بـ(كن)، فكان كما خلق آدم من قبل.

فالله ﷻ بقدرته خلق عيسى ابن مريم من أنثى بدون ذكر وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق آدم من قبل بلا ذكر ولا أنثى، وسائر

البشر يخلقون من ذكر وأنثى وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

• ومن عقيدتنا في عيسى ابن مريم عليه السلام أنه رُفع من هذه الأرض حياً إلى السماء، ثم إنه ينزل في آخر الزمان يحكم الناس بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب.

كما أخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ فقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: سألقي عليك النوم ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٨، ١٥٩].

إخوة الإسلام! أهل الكتاب اختلفوا في عيسى ابن مريم بين الإفراط والتفريط، فاليهود قالوا عن عيسى ابن مريم: إنه ولد زنا، واتهموا أمه الشريفة العفيفة بالزنا!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

وقد أخبرنا الله عز وجل عن قول اليهود في عيسى وعن اتهامهم لمريم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦]، وقالت اليهود: إنهم قتلوا عيسى ابن مريم، والله عز وجل كذبهم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٥٧].

أما النصارى فقد غلوا في عيسى فقالوا فيه ما قالوا:

• فمنهم من قال: إن عيسى ابن الله.

فقال الله عز وجل عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠].

• ومنهم من قال: هو الله.

فقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

• ومنهم من قال عن عيسى عليه السلام: ثالث ثلاثة.

فقال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ﴾ [المائدة: ٧٣].

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فاختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في عيسى ابن مريم.

فاليهود قالوا: هو ولد زنا، واتهموا مريم بالزنا.

والنصارى غلوا في عيسى فقالوا: هو ابن الله، وقالوا: هو الله، وقالوا: هو ثالث ثلاثة، والحق ـ عباد الله ـ هو ما سمعتم في عيسى، كما جاء في الكتاب والسنّة.

إخوة الإسلام! وواجبٌ علينا الآن ما دمنا نتكلم عن العقيدة أن نبين الحق في مريم وفي عيسى دفاعاً عن مريم ودفاعاً عن عيسى؛ لأننا نؤمن بأن عيسى عليه السلام رسول من الرسل، ومن آمن بكل الرسل وكفر بعيسى فهو كافر، فنحن معشر المسلمين نؤمن بعيسى أنه رسول من عند الله ونحبه ونسأل الله أن يحشرنا مع عيسى ومع محمد صلى الله عليه وسلم ومع النبيين في جنات النعيم، ولكن العيب على الذين يؤمنون بعيسى وموسى ولا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهم قد كفروا بذلك وضلوا ضلالاً بعيداً.

إخوة الإيمان! دفاعاً عن الحق لا بد أن نبين من خلال الكتاب والسنّة كيف ولدت مريم، وكيف تربت مريم، لنبرئها من مقولة اليهود: بأنها زنت، وجاءت بعيسى من الزنا.

فتعالوا بنا ـ عباد الله ـ إلى سورة آل عمران فهناك يبيّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ من أين جاءت مريم، وأين تربت مريم، وكيف تربت مريم، وهل هي أحصنت فرجها أم لا؟ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ

إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٧].

عباد الله! انظروا معي إلى أهل مريم الذين اصطفاهم الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ أي: اصطفاهم على العالمين.

• انظروا إلى مريم أين تربَّت؟ في رحاب بيت المقدس؛ لأن أمها عندما حملت بها نذرت أن يكون ما في بطنها خادماً لبيت الله، فهي تربت في رحاب بيت المقدس.

• انظروا كيف تربت مريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، من الذي أنبتها نباتاً حسناً؟ إنه الله.

• انظروا إلى مريم من الذي تكفّل بتربيتها؟ من الذي تكفل بالإشراف عليها؟ إنه نبي الله زكريا ﷺ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

• انظروا إلى مريم، إنها من أولياء الله، ففي محرابها كان يأتيها رزقها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

فيسألها زكريا: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وبعد ذلك ـ عباد الله ـ أثنى ربنا على مريم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، وها هي الملائكة تنزل من السماء على مريم لتقول لها:

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ

ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣]؛ أي: اصطفاها وأهلها.

وتنزل الملائكة مرة ثانية تبشر مريم، بعيسى ابن مريم رسولاً من عند الله، يُخلق بكلمةٍ من الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦].

عباد الله! كيف جاءت مريم بعيسى؟ وكيف ولدت مريم عيسى؟ وماذا قالت مريم عندما ولدت عيسى؟ وكيف جاءت إلى قومها؟ وكيف قابلت قومها بهذا الغلام؟ وماذا قال عيسى وهو في المهد؟ هذا الذي سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

عباد الله! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: الله ﷻ يُكْرِمُ أولياءه بكرامات، ونحن نعتقد معشر المسلمين بكرامات الأولياء.

والدليل على ذلك ما سمعتم عن مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهذه كرامة، وهي دليل على أن مريم من أولياء الله.

فالله ﷻ له من عباده أولياء يكرمهم بكرامات، ولكن ـ يا عباد الله ـ من هم هؤلاء؟ من هم أولياء الله؟ هل هم الذين يلبسون العمائم الخضراء؟! هل هم الذين يضربون أنفسهم بالسكاكين؟! هل هم الذين يأكلون الزجاج؟! هل هم الذين يطيرون في الهواء؟ هل هم الذين يمشون على الماء؟ من هم؟ هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فكل مؤمن تقي فهو لله ولي.

عباد الله! أولياء الله ليس لهم لباس معين ليعرفوا به، فكل من آمن بالله، وكل من اتقى الله ﷻ فهو من أولياء الله. وأولياء الله لا يقولون للناس: ها نحن أولياء الله، ولا يصورون أنفسهم بالفيديو ثم ينشرون ذلك، ولا يصورون أنفسهم وهم يضربون أنفسهم بالسكاكين، ويأكلون الزجاج والمسامير وينشرون تلك الصور بين الناس، ويقولون: ها نحن من أولياء الله، لا يا عباد الله، فهذا كله يخالف الكتاب والسنّة؛ فهم بذلك يزكون أنفسهم.

والله ﷻ ـ يقول ـ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وها هي مريم عليها السلام كان يأتيها رزقها وهي في محرابها، وما سمعنا أنها نادت على من معها في بيت المقدس أو قالت: يا زكريا تعال وانظر إلى الكرامات، ها هي الفاكهة والطعام تأتي من كل مكان، ما قالت مريم ذلك، حتى لما سألها زكريا ما قالت: إن هذه كرامات، إنما قالت: ﴿**هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ**﴾، ولذلك نقول لهؤلاء الذين يلبسون العمائم الخضراء، ويضربون أنفسهم بالسكاكين، ويجمعون الناس ويقولون: نحن من أولياء الله، نقول لهم: كبرت كلمة تخرج من أفواهكم إن تقولون إلا كذباً.

فأولياء الله لا يقولون: إنَّ لهم كرامات.

وقال أحد الصالحين: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء، ويمشي على الماء ـ ونحن نزيد: ويظهر في القمر ـ فاعرضوا أعماله على الكتاب والسنّة، فإن وافقت فهو من أولياء الله، وإن خالفت فهو من أولياء الشيطان.

ثانياً: على الإنسان أن يعتقد أن الرزق بيد الله:

كما قالت مريم لزكريا عندما قال لها: ﴿**يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾.

فقد أخبرنا الله ﷻ أنه هو الرزاق.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]. وأخبرنا الله ﷻ في كتابه أن الرزق مضمون.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

ولكن ـ عباد الله ـ كيف نتحصل على الرزق؟ بالتواكل؟! أم بالنصب والاحتيال والسرقة؟ أم بأكل الربا؟ كيف نتحصل على الرزق المضمون؟.

نتحصل عليه كما علّمنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه وكما علمنا رسولنا ﷺ في سنته.

١ ـ نتحصل على الرزق بتقوى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٢ ـ نتحصل على الرزق بالتوكل على الله وحده.

كما قال ﷺ: «**لو أنكم تتوكّلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»(١).

٣ ـ نتحصل على الرزق بشكر الله، ولا يكون ذلك إلا بعبادة الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٤٤)، هـ: (٤١٦٤)، حم: (١/ ٣٠)، ك: (٤/ ٣٥٤)، لس: (٥١)، ع: (١/ ٢١٢)، [«ص.ج» (٥٢٥٤)].

٤ ـ ونتحصل على الرزق المضمون بالأخذ بالأسباب المشروعة بأن نسعى ونمشي في هذه الأرض.

كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: ١٥].

أي: خذوا بالأسباب وابحثوا عن الرزق، ولكن بالأسباب المشروعة.

فيا ابن آدم، الرزق بيد الله، والرزق مضمون، واللهِ رزقك يطاردك أينما كنت كما يطاردك الأجل، فالموت يطاردك والرزق يطاردك.

الرزق مضمون؛ فقد قدَّر الله ﷻ لك رزقاً، فلن تموت ـ والله ـ حتى تتحصل على هذا الرزق، فأجملوا في الطلب.

فيا من ضيعتم الصلاة من أجل الرزق.

ويا من أكلتم الربا من أجل الرزق.

يا من قتل بعضكم بعضاً من أجل الرزق.

يا من فعلتم ما فعلتم وبارزتم الله بالمعاصي من أجل الرزق.

الرزق مضمون يُطلب بتقوى الله.

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يرزقني وإياكم التقوى وأن يرزقني وإياكم التوكل عليه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه





حَمْل مريم بعيسى ﵇ وولادته وكلامه في المهد

عباد الله!

في الجمعة الماضية تبيّن لنا أن أهل الكتاب اختلفوا في عيسى ﵇ بين الإفراط والتفريط، فاليهود قالوا: إنه ولد زنا، واتهموا أمه بالزنا! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

والنصارى غلوا في عيسى ﵇، فمنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

عباد الله! والاعتقاد الصحيح أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهذا كله من أمور العقيدة التي هي سبب لدخول الجنة.

لقوله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»(١).

فالاعتقاد بأن عيسى عبد الله ورسوله من أمور العقيدة التي هي سبب لدخول الجنة.

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تبيّن لنا أن مريم ابنة عمران قد اصطفاها الله ﷻ على نساء العالمين، وتبيّن لنا أن مريم ابنة عمران تربت

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٥٢)، م: (٢٨).

في رحاب بيت المقدس على مائدة الإيمان، وعلى مائدة الأخلاق والعفاف، والذي أشرف على تربيتها هو نبي الله زكريا عليه السلام.

وقلنا في الجمعة الماضية: إن الملائكة نزلت من السماء تبشر مريم بعيسى عليه السلام.

فكيف حملت مريم بعيسى عليه السلام؟ وكيف ولدت مريم عيسى عليه السلام؟ وماذا قالت مريم عندما ولدت عيسى عليه السلام؟ وماذا قال لها عيسى بعد ولادته؟ وكيف رجعت مريم تحمل عيسى إلى أهلها؟ وماذا قالوا لها وماذا قالت لهم؟ وماذا أجاب عيسى عليه السلام؟.

أسئلة تفرض نفسها علينا والإجابة عليها من كتاب ربنا.

فتعالوا بنا ـ عباد الله ـ إلى سورة مريم وهناك نجد الجواب.

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾، إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٦].

أمة الإسلام! عاشت مريم ابنة عمران في رحاب بيت المقدس تصلي، تدعو، تتربى على مائدة الإيمان، فراحت يوماً في حاجة لها من المسجد من الناحية الشرقية، وهناك اتخذت لنفسها حجاباً بينها وبين أهلها لا يراها أحد لتخلو بنفسها، لتعبد الله عز وجل. وهي في خلوتها، وإذا برجل يقف أمامها فتعجبت وخافت وارتعدت؛ فتاة في شبابها في مكان خالٍ وحدها يدخل عليها رجل لا تدري من أين دخل.

والله الذي لا إله إلا هو، لو أن رجلاً منا في مكان وحده، وفجأة وجد أمامه رجلاً لا يعرف من أين دخل، فإنه سيخاف ويرتعد فكيف بفتاة في مكان خالٍ وحدها، فلما رأت هذا الرجل لم تقل: من أين جئت؟ وكيف جئت؟ ولماذا جئت؟ وماذا تريد؟ ولكنها التجأت إلى ربها،

واستعاذت به ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ إنه جبريل عليه السلام! ـ والملائكة تتشكل كما قلنا في خطب الإيمان بالملائكة ـ جاءها جبريل عليه السلام في صورة رجل، ولكن مريم لم تعرف أنه جبريل فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ فاستعاذت بالله، والتجأت إلى الله، واحتمت بحمى الله، وذكَّرت هذا الرجل بالتقوى؛ لأنها تعلم أن الذي يتقي الله عز وجل لا يقع في الزنا.

فكشف الرجل عن هويته وقال لها: أنا رسول ربك، أنا ملك من عند الله ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾، فمريم قالت: لعله يحتال حتى يأخذ ما يريد، فردت عليه وهي تتعجب: أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر؟! الغلام لا يأتي إلا إذا التقى الرجل بالمرأة إما بالحلال وإما بالحرام، فقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾؛ أي: كيف آتي بالغلام ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾؟ فقال لها: إن هذا أمر من الله ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾، ومريم مؤمنة تعلم بأنه يجب عليها أن تقول: سمعنا وأطعنا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾، ليكون عيسى من مريم بلا أب آية على قدرة الله، كما أن الله عز وجل بقدرته آدم من تراب بلا ذكر ولا أنثى.

وكذلك خلق الله عز وجل بقدرته حواء من آدم من ذكر بلا أنثى.

والله عز وجل بقدرته يخلق الناس جميعاً من ذكر وأنثى، فالله عز وجل يريد أن تكون آية للناس، فخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون؛ أي: أنه قضى الأمر وانتهى فلا تجادلي ولا تتعجبي، فرضيت.

نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها، فسلكت النفخة طريقها حتى وصلت إلى مكان الحمل وهو الرحم، وهناك تم الحمل في بطن مريم

بأمرٍ من الله، فحملته وعادت إلى بيت المقدس تعيش كما تعيش، ومرت الأيام وعلامات الحمل تظهر على مريم، وتمر الأيام وبطنها تكبر، ومن معها في المسجد يتعجبون لما يعرفون عن مريم من صلاح وتقوى، ما هذا الذي نراه؟! فجاء أحدهم وأراد أن يسأل تلميحاً لا تصريحاً فقال: يا مريم إني سائلك سؤالاً، فقالت: سل، فقال: يا مريم هل يكون شجر بلا بذر؟ يا مريم هل يكون زرع بلا حب؟ يا مريم هل يكون ولد بلا أب؟ ففهمت مريم فقالت له: من الذي خلق الزرع والشجر أول ما خلق بدون حب ولا بذر؟ وقالت له: من الذي خلق آدم من تراب بدون أب ولا أم؟ فعرفوا أن الأمر على غير ما يفكرون، فتركوها.

فخرجت يوماً من المسجد لحاجة فأجاءها المخاض ـ وهو وجع الولادة ـ وما أدراك ما وجع الولادة!! ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ فتاة تلد لأول مرة، فالأمر شديد، والألم شديد، لا أحد معها، وحدها عند النخلة تعاني آلام الولادة وما فيها من التعب والشدة، ومع ذلك تفكر ماذا تقول لأهلها إذا رجعت إليهم تحمله، فقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾، ماذا تقول لأهلها؟ فلما قالت ذلك إذا بعيسى عليه السلام الذي ولدته منذ لحظات ينادي عليها بصوت فصيح: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾؛ أي: لا تحزني يا أمي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جعل الله تحتها نهراً صغيراً لتشرب منه وأمرها الله عز وجل أن تهز النخلة لتحصل على طعامها، فقال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾، فتوفر لديها كل ما تحتاجه المرأة التي وضعت لتوها من الأكل، والشرب، وقرة العين، قد وفرت لها بأمر من الله، فهي ليست بحاجة إلى أحد يخدمها، وقيل لها: كلي من الرطب، واشربي من النهر، وقري عيناً.

عباد الله! المشكلة الآن: ماذا تقول لأهلها؟ فقيل لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾؛ أي: قولي: إني صائمة لا أتكلم ـ والصوم عن الكلام كان جائزاً في شرع من قبلنا، ولكن الصوم عن الكلام لا يجوز في شرعنا.

عباد الله! مريم ابنة عمران حملت عيسى على يديها الآن، وقامت لتعود إلى أهلها، وما الذي يُعلمهم أن ذلك بأمر من الله؟ ومن الذي يفهمهم ذلك؟ ما عندهم إلا أن يشكوا أنها ارتكبت فاحشة الزنا ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ فتعجبوا! ما عرفوا عنها إلا الصلاح والتقوى، تربت في بيت الله، والذي أشرف على تربيتها نبي الله زكريا ﴿يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾، أي: يا أخت هارون في التقوى والصلاح ـ وهارون رجل صالح كان يُضْرَبُ عندهم به المثل في التقوى والصلاح ـ ما هذا الذي فعلتِه؟ ماذا فعلت ـ يا مريم؟ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾، فتكلم عيسى بلسان فصيح وهو لا يزال في المهد صبيّاً، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل: إني ابن الله، ولم يقل: أنا الله، ولم يقل: أنا ثالث ثلاثة، عيسى عليه السلام ينطق وهو في المهد، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾، اسمعوا وعوا يا من ضيعتم الصلاة، يا من تركتم صلاة الفجر، وفي من يجلس أمامي الآن كثيرون قد ضيعوا صلاة الفجر إلا من رحم ربي.

عباد الله! ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

هذا عيسى ابن مريم قد ولد، وسيموت، وسيبعث يوم القيامة كما نبعث، وسيقف للسؤال أمام الله كما تُسئل الرسل، والناس في أرض المحشر، فهو ليس ولد زنا كما قالت اليهود، وهو ليس ابن الله ولا هو الله ولا هو ثالث ثلاثة كما قالت النصارى، فالويل لمن قالوا: هو ابن زنا، ولمن قالوا: هو ابن الله، ولمن قالوا: هو الله، ولمن قالوا: هو ثالث ثلاثة. وهنيئاً لمن اعتقد أن عيسى هو عبد الله ورسوله.

إخوة الإسلام: ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: أن التقوى إذا تمكنت من القلوب فإنها تحول بين الإنسان وبين اقتراف المعاصي، فكلما ازدادت التقوى في القلب ابتعد الإنسان عن المعاصي والدليل على ذلك:

أن مريم عندما دخل الرجل عليها ذكرته بالتقوى لعلمها أن التقوى تمنع صاحبها من الزنا فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾.

• وذلك الرجل الذي دخل الغار مع أصحابه فسدت صخرة عظيمة عليهم الغار، وأرادوا أن يدعوا الله بصالح أعمالهم فقال الرجل: (اللّهم إنه كان لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فراودتها عن نفسها فامتنعت، فأخذتها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، يقول الرجل: فلما جلست منها كما يجلس الرجل من زوجته قالت الفتاة: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه». فلما ذكرته بالتقوى يقول الرجل: «**فقمت عنها ولم أزنِ بها**»[(١)]، فما الذي منعه من الزنا؟ إنها التقوى قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فعلى العاقل أن يتزود بالتقوى، ولذلك أمر الله ﷻ عباده الأولين والآخرين بالتقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١]، ورسولنا ﷺ في موعظته البليغة التي قال الصحابة بعدها: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله**»[(٢)]، فالعاقل من تزود بالتقوى في حياته، فالسفر طويل والبحر عميق والعقبة كؤود.

ابن آدم!

تزودْ من معاشك للمعادِ وقم لله واجمعْ خيرَ زادِ

(١) **صحيح**: انظر القصة بتمامها في: خ: (٢١٥٢)، (٢١٠٢)، (٣٢٧٨).

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

ولا تجمعْ من الدنيا كثيراً ... فإن المال يجمع للنفادِ
أترضى أن تكون رفيق قومٍ ... لهم زاد وأنت بغير زادِ

❊ ❊ ❊

ابن آدم:

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تُطوى وهن مراحلُ
ولم أرَ مثل الموت حقاً ... كأنه إذا ما تخطته الأماني باطلُ
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيامٌ وهن قلائلُ

ثانياً: الزنا فاحشة لا يحبها أحد؛ لأنها تطأطأ الرؤوس؛ لأنها تسوِّد الوجوه؛ لأنها تخرس الألسنة؛ لأنها عار لا يُمْحى.

● فلا يحب الزنا أحد، ولا يرضاه أحدٌ لأهله، وحتى الزاني لا يرضى لأهله الزنا، وإذا أراد الزاني أن يتزوج فإنه يبحث عن فتاةٍ لم تقع في الزنا مع أنه يزني.

● والدليل على أنه لا يحب الزنا أحد:

هذه مريم عندما دخل عليها الرجل في خلوتها خافت وقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾، وقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا﴾، خافت وارتعدت من فاحشة الزنا، وكذلك أهلها لا يحبون فاحشة الزنا، عندما عادت تحمل عيسى ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾.

فالزنا جريمة لا يحبها أحد، ولذلك حذَّرنا ربنا، وحرَّم علينا أن نقترب من الزنا.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢]، ساء هذا السبيل وهو سبيل الزنا.

فيا إخوة الإسلام: واللهِ إني لكم ناصح أمين، اتقوا الله في أعراضكم، اتقوا الله في نسائكم، والله إن فاحشة الزنا إذا وقعت في بيت دمرته، وطأطأت الرؤوس، وسودت الوجوه، فاتق الله يا عبد الله في عِرضك.

فليتق الله كل منا في زوجته، وابنته، فوالله إن الذي جاء بالمفسديون واشترى الملابس الفاضحة لابنته أو زوجته، والذي يسمح لزوجته وابنته أن تخرج كيف شاءت ومتى شاءت، فإنه لِيُقَرِّبها إلى فاحشة الزنا، وإذا وقعت الفاحشة في بيوتنا ندمنا ولات حين مندم.

ابن آدم! وتندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وتريد أن تمحو الجريمة ولكنها لا تمحى، فقبل أن تقع الجريمة في بيوتكم لا تقربوا الزنا، ولا تُقَرِّبوا النساء من الزنا. وعلى المرأة إذا أمرها زوجها بالحجاب فعليها أن تحتجب، وإذا أمرها زوجها بالخمار فعليها أن تختمر وإلا فهي آثمة وعاصية لله؛ لأن الله أمرها أن تطيع زوجها فإن عصته فهي عاصية لله ورسوله، فعلى كلٍ منا أن يحافظ على عرضه فلا تعرفوا قيمة العرض إلا إذا أخذ منكم، وعندها تندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

اللّهم استر على نساء المسلمين

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



٥٥

الدروس والعبر التي تُؤخذُ مِنْ ميلاد عيسى عليه السلام

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن ميلاد عيسى عليه السلام، وتبيّن لنا أن ميلاد عيسى عليه السلام من أم بدون أب هو آية من آيات الله، وآية على قدرة الله، وآية على وحدانية الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، فالله عز وجل إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تبيّن لنا من ميلاد عيسى عليه السلام أنه ليس كما ادعت اليهود أَنه ولد زنا، وأنه ليس كما ادعت النصارى أنه ابن الله، أو أنه هو الله، أو أنه ثالث ثلاثة، ولكنه كما أخبرنا ربنا في كتابه هو عبد الله ورسوله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وكما قال عيسى عن نفسه، كما أخبرنا ربنا في كتابه.

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٣٠].

عباد الله! وقبل أن نتكلم عن دعوة عيسى عليه السلام لقومه إلى عقيدة التوحيد أردنا أن نعيش وإياكم هذا اليوم مع الدروس والعبر التي تؤخذ من ميلاد عيسى عليه السلام.

إخوة الإسلام!

الدرس الأول: الزنا نار تحرق، وقد انتشر في المجتمع الإسلامي.

الدرس الثاني: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات جريمة.

الدرس الثالث: الغلو في الدين يجر إلى الضلال المبين.

أمة الإسلام: أما بالنسبة للدرس الأول، وهو الزنا نار تحرق.

فنعم والله، الزنا نار تحرق الشرف، وتحرق العرض والكرامة، فإذا حل بقوم طأطأ رؤوسهم، وسود وجوههم، وأخرس ألسنتهم، فالزنا عار لا يُمْحَىٰ، والزنا سبيل من أسوأ السُبل لا يسلكه إلا كلاب البشر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

كما قلنا في الجمعة الماضية لا يحب الزنا أحد، ولا يرضاه أحد في أهله، وها هي مريم عندما دخل عليها من دخل في خلوتها قالت وهي تخاف من الزنا: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، وقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

وقال قومها لها عندما جاءت تحمل عيسى: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

عباد الله: وقد أشرنا إلى ذلك في الجمعة الماضية، ولكن أحببت أن أقف عند الكلام على فاحشة الزنا للأسباب التالية:

أولاً: لأن الزنا ينتشر بكثرة في مجتمعات المسلمين، وهذا ينذر بالشر، وينذر بعذاب أليم.

قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

---

(١) صحيح: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، هب: (٤/٣٦٣)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

ثانياً: لأن انتشار الزنا علامة من علامات الساعة، فهو دليل على أنه قد أزفت الآزفة.

يقول ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد**»(١).

وقد رفع العلم وظهر الجهل حتى إن الناس اتخذوا رؤوساً جُهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. وإذ قد وقع ذلك ـ عباد الله ـ فمعناه أنه قد أزفت الآزفة.

ثالثاً: لأن انتشار الزنا سبب لانتشار الأمراض الخبيثة التي لم تكن في أسلافنا الذين مضوا.

ورسولنا ﷺ يقول: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»(٢).

وقد انتشر الإيدز بين المسلمين، وقد انتشر السل بين المسلمين، وقد انتشر السيلان والسرطان بين المسلمين، أمراض خطيرة فتاكة تنذر بالشر وتدل على أن الزنا ينتشر في مجتمعات المسلمين.

عباد الله: وحتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين جاء الإسلام وحذر من الزنا، وضيق على الزناة أينما كانوا، وضرب على أيديهم بيدٍ من حديد حتى لا ينتشر الزنا بين المسلمين؛ لأنه فاحشة وساء سبيلاً.

فجاء الإسلام وبيّن أن الزنا من أكبر الذنوب إذ جاء بعد الشرك والقتل، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله؛ أي الذنب

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٣).

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، هب: (١٩٦/٣)، طس: (٦١/٥)، ك: (٥٨٢/٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

أعظم؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تُزَاني حليلة جارك**»[1].

فجمع الرسول ﷺ بين الزنا والقتل والشرك بالله.

وقد جمع الله ﷻ بينها في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

ويقول الله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣].

عباد الله: وحتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين، فقد وعد الله ﷻ الزناة بالعذاب الأليم في الدنيا، وفي حياة البرزخ، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فالله ﷻ قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢].

هذا عقاب في الدنيا، فإذا زنا الزاني ـ وكان قد سبق له الزواج ـ فيرجم حتى الموت، وإذا زنا الزاني ـ ولم يسبق له الزواج ـ فيجلد مائة جلدة، هذا في الدنيا.

أما عذاب الزناة في حياة البرزخ:

فقد روى البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ رأى في منامه: «**ثقباً مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات، فاطلع فيه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٥٥)، م: (٨٦).

فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا ـ أي: صاحوا من شدة حره ـ **فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء هم الزناة والزواني**»[(١)]، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة.

أما هناك في الدار الآخرة:

يقول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملِكٌ كذاب، وعائل مستكبر**»[(٢)].

ولكن مَنْ تاب ـ يا عباد الله ـ من الزنا توبة نصوحاً تاب الله عليه.

عباد الله: وحتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين فقد حذرنا الإسلام من فتنة النساء.

فقال ﷺ: «... **اتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[(٣)].

ويقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[(٤)].

وقد أخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ عن فتنة النساء، وأنها في مقدمة الشهوات التي زينت للناس.

قال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فالمرأة فتنة وقد حذر الإسلام منها.

● ولذلك انظروا معي ـ عباد الله ـ فلقد جاء الإسلام وحرم على المرأة أن ترقق صوتها إذا تكلمت مع الرجال الأجانب.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

● جاء الإسلام وحرم على المرأة أن تتزين للرجال الأجانب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٤٠)، (١٣٢٠)، وهو جزء من حديث طويل.

(٢) **صحيح**: م: (١٠٧).

(٣) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

(٤) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).

• جاء الإسلام وحرم على المرأة أن تتعطر وتخرج للصلاة في المسجد، فما بالنا إذ تعطرت وتزينت ورققت من صوتها وذهبت إلى الأسواق وإلى أماكن الفجور واللهو!.

قال ﷺ: «**أيما امرأةٍ استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عينٍ زانية**»(١).

• وجاء الإسلام وحرم على المرأة أن تخرج من بيتها إلا للضرورة فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فالمرأة لبيتها، المرأة لزوجها، المرأة لأولادها، ما خلقت المرأة للشارع وما خلقت لتتزين للأجانب، إنما تكون الزينة لزوجها في بيتها.

• وجاء الإسلام وحرم على المرأة أن تخلو بالرجال الأجانب.

فقال ﷺ: «**لا يخلُونَّ رجل بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٢).

• وجاء الإسلام وحرم على المرأة التبرج.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأنا أقول: والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، إذا نظرنا إلى تبرج القرن العشرين وإلى تبرج الجاهلية قبل الإسلام لوجدنا أن تبرج الجاهلية قبل الإسلام كان فيه حشمة ووقار، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إخوة الإسلام: ومن باب النصيحة وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة، وحتى إذا وقع الزنا في بيتٍ فلا يلومَنَّ صاحبُه إلا نفسه، أقول يا أمة الإسلام:

الأسباب التي أدت إلى انتشار الزنا في مجتمعات المسلمين هي:

أولاً: التبرج.

---

(١) **حسن**: خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، هب: (٦/ ١٧١)، هق: (٣/ ٢٤٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٠١٩)].

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧١)، ك: (١/ ١٩٧)، [«ص.غ.هـ» (١٩٠٨)].

ثانياً: الاختلاط.

ثالثاً: المفسديون وأفلام الفيديو والأطباق اللاقطة (الستالايت) التي دخلت البيوت فأفسدت وأدت إلى وقوع الزنا في كثير من البيوت، ومن خلال الأسئلة التي توجه إلينا نرى أن كثيراً من أسباب وقوع الزنا هو وجود هذه الأجهزة في داخل البيوت.

رابعاً: تأخير الزواج للشباب والشابات، إما بسبب غلاء المهور، وإما بسبب الدراسة.

خامساً: كثرة الخادمين والخادمات في بيوت المسلمين.

فهذه امرأة تتصل وتقول: زوجي ذهب بي إلى المستشفى من أجل الولادة، ثم عاد وزنا بالخادمة! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

● **الدرس الثاني ـ قذف المحصنات المؤمنات الغافلات جريمة:**

وتعلمون أن اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ هم الذين قذفوا مريم واتهموها بالزنا.

والله ﷻ قال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦].

عباد الله: فاحذروا أن تفعلوا أفعال اليهود، وأن تتناقلوا في مجالسكم الأخبار الكاذبة وأن ترموا فلاناً بالزنا أو فلانة بالزنا فهذه جريمة، والله ﷻ ـ وحتى لا تنتشر الفاحشة في مجتمعات المسلمين ـ قد ضيق على الزناة وقطع الألسنة التي تقذف المؤمنات الغافلات بفاحشة الزنا.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

● ولعن الله القاذف في الدنيا والآخرة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، وذكر منها: «**قذف المحصنات**

الغافلات المؤمنات»[(١)].

عباد الله! احذروا أن تتناقلوا هذه الأمور وليتقِ كلٌّ منا الله في لسانه فلا يجوز ذلك أبداً، وحتى إذا رأيت بعينك امرأة تزني فإياك أَن تشيع ذلك في المجتمع ما لم تأتِ بأربعة شهداء، وإلا فالله ﷻ يقول: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

كل ذلك حتى لا تنتشر الفاحشة بين المسلمين. ابن آدم! أمسك عليك لسانك.

وإياك إياك أن ترمي رجلاً بالزنا؛ لأنك سمعت من الناس.

إياك إياك أن ترمي امرأة بالزنا؛ لأنك سمعت الناس يقولون، لا يا عبد الله إنها جريمة، لا تتكلم إلا أن تأتي بأربعة شهداء وإلا أمسك لسانك حتى لا تنتشر الفاحشة بين المسلمين، حتى لا تعطي مجالاً لمرضى القلوب، حتى لا تعطي مجالاً للمنافقين، حتى لا تعطي مجالاً لليهود؛ لأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

- **الدرس الثالث ـ الغلو في الدين يجر إلى الضلال المبين.**

وقد غلت النصارى في عيسى ابن مريم فقالوا: هو ابن الله، وقالوا: هو الله، وقالوا: هو ثالث ثلاثة.

والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٧١]، وجاء رسول الله ﷺ وحذر من الغلو في الدين.

فقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده**

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

فقولوا: عبد الله ورسوله»[(١)].

ومع ذلك فإنَّ الجهلة من المسلمين رفعوا الرسول ﷺ من منزلة النبوة والرسالة إلى منزلة الإلهية فأخذوا يدعونه من دون الله، ويستغيثون به من دون الله، والرسول ﷺ بريء مما يصنعون؛ بل وصل الحال بجهلة المسلمين إلى أنهم رفعوا من مكانة أصحاب القبور إلى منزلة الإلهية، فهم يعتقدون أن هناك من الأولياء والصالحين من يتحكم في هذا الكون فيعطي هذا ويمنع ذاك، وهذا ضلال مبين.

نقول: يا أمة الإسلام، احذروا الغلو في الدين فإنه يجر إلى الضلال المبين.

عباد الله! كيف دعا عيسى قومه إلى التوحيد؟ وماذا قال لهم؟ وماذا قالوا له؟ وهل قتلوه وصلبوه أم أَنه رُفع حياً إلى السماء؟ هذا الذي سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

اللّهم ثبّتنا على الإيمان



(١) **صحيح**: خ: (٣٢٦١).

٥٦

دعوة عيسى عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد

عباد الله!

في الجمعة قبل الماضية تكلمنا عن ميلاد عيسى عليه السلام.

وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن الدروس والعبر التي تؤخذ من ميلاد عيسى عليه السلام، وتبيّن لنا أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع دعوة عيسى عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد.

عباد الله! لما بلغ عيسى عليه السلام أشده، واستوى، آتاه الله عز وجل الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فقام عيسى عليه السلام في بني إسرائيل مقام الأنبياء.

أولاً: أخبرهم أنه رسول من رب العالمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ثانياً: أخذ يدلهم على الصراط المستقيم الذي انحرفوا عنه انحرافاً كبيراً، وضلوا عنه ضلالاً مبيناً، فقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وعبدوا غير الله فأخذ عيسى عليه السلام يقول لهم: يا بني إسرائيل، اعبدوا الله ربي وربكم، وقال لهم: هذا صراط مستقيم.

كما أخبرنا الله عز وجل على لسان عيسى عندما قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٥١].

ثالثاً: أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من الشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي

وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

رابعاً: أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام.

إن الدين عند الله الإسلام، وما من نبي جاء إلى البشرية إلا وهو يدعوهم إلى الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١]. والحواريون هم أتباع عيسى عليه السلام.

عباد الله! أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة التوحيد بالليل والنهار، لا يكل ولا يمل، والله عز وجل أيَّدَ عيسى عليه السلام بالمعجزات، كما يفعل ربنا ـ جلَّ وعلا ـ مع كل الرسل.

فكان عيسى عليه السلام يبرىءُ الأكمه والأبرص بإذن الله.

وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله.

وكان عيسى عليه السلام يأخذ من الطين، فيجعل منه كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيطير بإذن الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

عباد الله! ومع هذه المعجزات التي أظهرها الله على يد عيسى عليه السلام فلم يكتفِ قومه بذلك؛ بل طلبوا منه طلباً عجيباً غريباً فقالوا: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة: ١١٢]، ولا عجب في ذلك من بني إسرائيل، ولا غرابة في ذلك على بني إسرائيل، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]؛ بل وقد طلبوا

من موسى أكبر من ذلك فعندما نجاهم الله ﷻ من فرعون إلى الشاطىء الثاني فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: يا موسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فلا غرابة مِنْ بني إسرائيل أن يسألوا عيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، كما أخبرنا ربنا في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٣].

فما كان من عيسى عليه السلام إلا أن رفع يديه إلى السماء، ودعا الله ﷻ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

فقال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

إخوة الإسلام! ومع ذلك قام عيسى عليه السلام في قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد بدون كلل ولا ملل، فآمنت به طائفة وكفرت به طائفة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤].

الطائفة الكافرة أخذت تحقد على عيسى، وأخذت تمكر بعيسى، ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين، وأخذت تخطط وتمكر كيف تقتل عيسى وتتخلص منه، فمكروا وخططوا وجاؤوا من كل مكان ليقتلوا عيسى ويصلبوه، وبلغ ذلك عيسى عليه السلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ

ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٢ ـ ٥٤]، فأخذ عيسى حِذْره من هذه الطائفة، ولكنْ ذات يوم وعيسى مع أصحابه في بيت من البيوت وإذا بالطائفة الكافرة قد جاءت ليأخذوا عيسى ليقتلوه ويصلبوه حتى إذا وقفوا بالباب ألقى الله ﷻ ـ الذي يقول للشيء: كن فيكون ـ شبه عيسى على أحد أصحابه، ثم ألقى النوم على عيسى ثم رفعه مِنْ سقف الغرفة إلى السماء فنجَّاهُ بذلك من كيد الكافرين، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤].

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: أُلقي عليك النوم، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فالله ﷻ رفع عيسى حياً إلى السماء، فدخلت الطائفة الكافرة فوجدوا هذا الرجل الذي أُلقي عليه شبه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ولكنهم في شك من ذلك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

فالله ﷻ رفع عيسى حياً إلى السماء، وسينزل آخر الزمان على هذه الأرض ليحكم الناس بشريعة محمد ﷺ كما أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ.

قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**»(١)، وما من أحدٍ من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٦٤).

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، وما أدراك ما يوم القيامة! يوم يكون عيسى على قومه شهيداً أمام الله، والله ﷻ أخبرنا في كتابه بأنه يؤتى بعيسى ابن مريم عليه السلام والناس في أرض المحشر جميعاً ليُسْأَل سؤالاً، والله يعلم بأن عيسى عليه السلام لم يقل لقومه ذلك، ولكن توبيخاً لقومه الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وإنه هو الله، وإنه ثالث ثلاثة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، فيقول الله ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٩].

الذين عبدوا عيسى، الذين يقولون: إنه صُلب فداءً للبشرية ـ وما قتلوه وما صلبوه! ـ الذين افتروا على عيسى وقالوا: إنه ولد زنا! فسيقول عيسى أمام البشرية يوم القيامة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ابن آدم! عيسى عليه السلام وهو من أُوْلي العزم يقف أمام الجبار في يومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون ليُسْأَل كما تُسْأَلُ الرسل. ابن آدم! استيقظ، الرُّسل يسألهم الله يوم القيامة وأنت في غفلةٍ عن هذا اليوم!!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، الرسل تسأل يوم القيامة! فما بالنا ـ يا عباد الله ـ وقد حملنا الأوزار كاملة على ظهورنا يوم القيامة.

فيا ابن آدم: لا تنس الوقوف بين يدي الله.

ابن آدم!

مثِّل وقوفك يوم العرض عريانا	مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق	على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ	فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته	إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا	والمؤمنون بدار الخلد سُكانا

فيا عباد الله! اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير، واعصوا ما شئتم فأنتم راجعون إلى الله، وأعرضوا عن كتاب ربكم وعن سنّة نبيكم ما شئتم، فالوقوف بين يدي الله.

فمن علم أَنه لله عبد، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعِدّ للسؤال جواباً.

اللّهم استرنا يوم تبلى السرائر

اللّهم ثقّل موازيننا، اللّهم ولا تفضحنا يوم القيامة

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

تمَّت فهرست المجلد الأول

من كتاب العقيدة أولاً

بحمد الله تعالى

كتب صدرت للمؤلف

أ ـ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

ب ـ أحسن البيان، مجلد.

جـ ـ الدعاء النافع، مجلد.

د ـ سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

هـ ـ الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

و ـ تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

ي ـ حياة السعداء، مجلد.

ز ـ الفرقان من قصص القرآن، مجلد.